



جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا للتاريخ
وأخصاصة الإسلامية

دور ابن تيمية في الإصلاح خبر المغفل الألبخاني

سنة ٦٦١ إلى ٧٢٨ هـ

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد

الطالبة مريم محمد عوض بن لادن

إشراف

الأستاذ الشيخ الدكتور إبراهيم علي شعوط

١٤٠٢ هـ / ٢٠٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مکتوبات البحت

محتويات البحث

الصفحة	الموضوع
أ ، ب	- محتويات البحث
١	- شكر وتقدير
٣ - ١٧	- المقدمة : نطاق البحث وعرض لأهم المصادر والمراجع.
١٨ - ٣٨	- التمهيد : حالة المجتمع في عهد ابن تيمية
٣٩ - ٨٢	- <u>الفصل الأول</u> : ابن تيمية :
٤٠ - ٥٦	(١) نشأته وتربيته
٥٧ - ٦٣	(٢) تلامذته
٦٤ - ٨٢	(٣) علاقة ابن تيمية بالحكام والعلماء والعامّة.
٨٣ - ١٢٩	- <u>الفصل الثاني</u> : الزحف المغولي على الدولة الإسلامية واحتكاكهم بدولة المماليك في مصر والشام :
٨٤ - ٩٤	(١) انهيار المقاومة الإسلامية أمام المغول
٩٥ - ١٠٥	(٢) قيام دولة المغول بالعراق
١٠٦ - ١٢٩	(٣) علاقة المماليك في مصر بالمغول في العراق.
١٣٠ - ١٧٧	- <u>الفصل الثالث</u> : ابن تيمية ودوره في إصلاح المجتمع الإسلامي :
١٣١ - ١٤٩	(١) جهاد ابن تيمية في ميادين مختلفة
١٥١ - ١٧٧	(٢) دور ابن تيمية بعد موقعة وادي الخازندار
١٧٨ - ٢١٢	- <u>الفصل الرابع</u> : دور ابن تيمية القيادي في مجاهدة التتر ثم سجنه ووفاته :
١٨٠ - ١٩٢	(١) دور ابن تيمية في موقعة تل شقيب
١٩٣ - ٢٠٧	(٢) سجن ابن تيمية الوقائي والتأديبي
٢٠٨ - ٢١٢	(٣) وفاته

(ب)

الموضوع	الصفحة
- أهم الأحداث في حياة شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية .	٢١٣ - ٢١٤
- الخاتمة : نتائج البحث	٢١٥ - ٢٢١
- ملحق الفرائض	٢٢٢ - ٢٢٨
- ملحق الرسائل	٢٢٩ - ٢٤٣
- قائمة المصادر والمراجع	٢٤٤ - ٢٦٢

...

شکر و تقدیر

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد

فأقدم خالص شكرى وتقديرى للأستاذ المشرف الشيخ الفاضل الدكتور ابراهيم على محمود الذى أمدنى طيلة مراحل البحث بالتوجيه والأرشاد ، وأفادنى بخبرته وأفكاره وآرائه القيمة ، فجزاه الله عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بجزيل شكرى وامتنانى لكل من أمدنى من مكتبته الخاصة بالكتب القيمة التى أفادتنى فى هذا البحث ، ولكل من ساعدنى فى اخراج هذا البحث فللجميع أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم عنى خير الجزاء .

وأسأل الله العظيم أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يرشدنا لعمل ما يحب ويرضى . والحمد لله رب العالمين .

الطالبة

مريم محمد عوضى بن لادن

المقدمة

نشاط البحث وعرض الأهم
المصاوير والخرائط

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له .

أما بعد ، فهذا بحث بعنوان (دور ابن تيمية في الجهاد ضد
المغول الأيلخانيين) ولقد ذكرنا الأيلخانيين لكي نفرق بينهم وبين مغول
القبيلة الذهبية الذين اتجهوا بفتوحاتهم الى روسيا وبلغاريا . . . حيث
أسلموا منذ وقت مبكر ، وقامت بينهم وبين المماليك في مصر علاقات مودة ومحبة ،
بينما هؤلاء المغول الأيلخانيين هم الذين خرجوا من بلاد الصين وتوغلوا
في العالم الاسلامي واقتلعوا جذور الممالك الاسلامية الى أن وصلوا بغداد
وكونوا لهم فيها مملكة مستدة الأطراف شملت فارس والعراق .

كان لا اتصال حدود مملكتهم في بلاد الشام ببلاد مصر حيث سلطان
المماليك حكام مصر والشام ، ولطبيعة المغول التوسعية أن قامت الحروب بين
الدولتين استطاع فيها المماليك انزال الهزائم المتكررة بهم ، فلما رأى
السلطان غازان المغولي أنه لا قدرة له على حرب المماليك المسلمين أعلن
أنه اعتنق الاسلام وأنه يحارب لنصرة الاسلام ، ففهم المسلمون أنهم يقاتلون
أخوانا لهم في الاسلام ففترت عزائمهم وحلت بهم الهزيمة في موقعة وادي
الخاندار سنة ٦٩٩ هـ . فاستدعى الحال أن يكون هناك عالم عامل يكشف
خدعة المغول باسلامهم المزيف ويبعيد للجندى المسلم اعتباره ويبين للجيش
المصري أن اسلام المغول كان خديعة منهم ولم يكن اسلاما حقيقيا ، فكان
ذلك العالم هو الشيخ الامام القدوة تقي الدين أحمد بن تيمية ، ولقد كان

السبب في اختياري لهذا البحث هو شخصية ابن تيمية الفذة ودوره في أحداث تلك الفترة ، فهو نسيج وحده ، ونحن لا ندعي له العصمة فالعصمة لله وحده ولكنه كان رجل السيف والقلم أعطى لكل عمل حقه ، ولما كانت جهود الباحثين في تاريخ ابن تيمية كلها تقريبا موجهة الى شخصية ابن تيمية العلمية أردت أن ألقى بعض الضوء على دوره الجهادي في محاربة التتر المفلول .

ويشمل البحث أربعة فصول في كل فصل عدة نقاط كالتالي :

الفصل الأول :

١ - نشأة ابن تيمية وتربيته : تحدثت فيها عن ولادة ابن تيمية في حران سنة ٦٦١ هـ ثم فرار أسرته من حران الى دمشق بعد اقتراب الخطر المفلولي منها حيث حطت الأسرة رحالها في دمشق وتبوءت فيها مكانة كبيرة لمنزلتها العلمية الذائعة الصيت .

ثم تطرقت الى تلقى ابن تيمية للعلم من والده وقوة حافظته ثم ذكرت بعض شيوخه الذين تلقى منهم العلوم المختلفة ، ثم نشاطه العلمي حيث تأهل للتدريس والفتوى وهو دون العشرين ، كما تعلم وظيفة والده بدار الحديث السكري بعد وفاته سنة ٦٨٢ هـ ، ثم تحدثت عن مجالس علمه في دمشق وكثرة من يدرس عليه من الطلاب .

٢ - علاقة ابن تيمية بالحكام والعلماء والعامة : تحدثت فيها عن عدم خوف ابن تيمية من قول الحق مما جمع حوله المحبين وأثار ضده المفرضين الحاقدين ، ثم تطرقت الى علاقة ابن تيمية ومنزلته بين

محبية من الأمراء مع التعريف ببعض الأمراء ومكانة ابن تيمية في قلوبهم ثم ذكرت علاقته بالسلطان الناصر الذي كان شديد الحب له فقربه اليه ، الى أن استطاع خصومه بعد رحيله الى الشام أن يكيدوا له لدى السلطان فسجنه سنة ٧٢٨ هـ ، ثم تطرقت الى ذكر خصوم الشيخ من الحكام والعلماء وما ناله من أذى على أيديهم وعفوه عنهم حين تمكن منهم ، ثم ذكرت بعد ذلك محبة الشيخ من العلماء وتحملهم في سبيل ذلك كثيرا من المشاق والمتاعب.

وختمت الموضوع بعلاقة ابن تيمية بالحامة حيث تجلت محبتهم له في المواقف الحرجة التي وقفها الشيخ ابن تيمية من الحكام مما يدلنا على عظيم محبته ومكانته في قلوب الجماهير.

٣ - تلامذته : ذكرت فيه بعض تلامذة ابن تيمية لأنه مهما حاولنا حصر تلامذته فلن نستطيع ذلك لكثرتهم ، فذكرنا تلميذه الكبير ابن قيم الجوزية ، ونشأته وعلمه ، وثناء بعض الأئمة عليه وأشهر كتبه .

ثم تحدثت عن ثباته على جدأ أستاذته وتحمله في سبيل ذلك السجن والاضطهاد ثم ذكرت تلميذه الذهبي ثم ابن كثير ، وابن عبد الهادي والشيخة فاطمة بنت عباس .

الفصل الثاني :

ويشمل ثلاثة نقاط كالتالي :

١ - انهيار المقاومة الاسلامية أمام المغول : تحدثت فيها عن أصل التتر واحتكاكهم ببلاد خوارزم شاه وأسباب ذلك الغزو ، ثم انهيار المقاومة

الاسلامية ، أمام الزحف المغولي وسقوط المدن الاسلامية الواحدة
تلو الأخرى في أيديهم وتراجع السلطان محمد خوارزم شاه أمام قوتهم
ثم وفاته ، وحمل ابنه جلال الدين لواء المقاومة بعده حيث نجح في
البداية في صد هجمات التتر الى أن دب الاضطراب في جيشه وأدى
الى انسحاب أكبر قواده من الساحة ونهايه الى الهند حيث تبعه
كثير من الجند فكان هذا سببا في اضعاف جلال الدين واخفاقه
في صد هجمات التتر فطورد وقتل على يد أحد الأكراد .

٢ - قيام دولة المغول في العراق : تحدثت فيها عن أسباب الغزو

المغولي للعراق وفاقيل نحو دعوة ابن الحلقى الشيعى المغول لدخولها
وازالة الخلافة العباسية ، واقامة دولة وثنية مغولية بزعامه هولاكو
سنة ٦٥٦ هـ ثم ختمت الموضوع بذكر ملوك العراق من بني جنكيزخان
بعد تولى هولاكو للحكم في فارس والعراق ثم انتقال الحكم بوفاة
لابنه أرمضا وهكذا الى أن ذكرت أهم ملوكهم في تلك الفترة .

٣ - علاقة المماليك بالمغول في العراق : تحدثت فيها عن حالة بلاد

الشام ومصر في فترة قيام دولة المغول في العراق وكيد أمراء المماليك
بعضهم لبعض ، ثم توحيد الطك المظفر قطز للجهود واعلانه
الجهاد في سبيل الله ، فكانت بذلك بداية العلاقة بين الدولتين
علاقة عداء مستحكم استمر طوال فترة حكم الظاهر بيبرس والسلطان
المنصور قلاوون حيث قامت في عهده محاولة صلح بين الدولتين
الا أنها لم تتم لمقتل السلطان أحمد تغدار سلطان المغول ، فاستمر
العداء بين الدولتين حتى أعلن غازان اسلامه لكي يستطيع - من

خلاله - أن يحقق نصرا على المغاليك بعد هزيمة المغول في عين جالوت
فقامت المعارك بين الدولتين ، فنجح غازان في كسب الجولقة
باسلامه المزيف في موقعة وادي الخازندار إلا أن المسلمين تنبهوا
بعد ذلك بعد أن أعلن ابن تيمية تكفيرهم باسلامهم المزيف فقامت
بينهم موقعة تل شقيب ، انتصر فيها المسلمون بعد ما رفعوا لواء
الجهاد في سبيل الله ، وظل العداء بين الدولتين ظاهرا الى أن
ارتقى عرش المغول السلطان أبو سعيد وكان قد نشأ وترعرع في ظل
الاسلام ، فتبادل الرسائل مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون
والهدايا وسادت فترة هدوء ومحبة بين الدولتين استمرت الى
ما بعد وفاة أبي سعيد .

الفصل الثالث :

وتحدثت فيه عن النقاط الآتية :

١ - تحدثت فيه عن تفرد ابن تيمية عن علماء عصره بجراته وجهاده واقتراح
قوله بالعمل حيث جاهد بالكلمة والقلم واليد والسيف .

فجهاده بالكلمة يشمل محاضراته ومناظراته وتصديه لأهل
البدع والضلالات في المجالس التي كان يقيمها ليكشف عيوبهم
واظهارها للناس أمثال الصوفية والأحمدية .

أما جهاده بالقلم فيشمل جميع مؤلفاته ومصنفاته التي سجلت
أمجاده ومقيت على الدهر تراثا علميا شاهدا على سعة أفقه ومقدرته
العلمية النادرة ، ثم رسالته الخالدة الى ملك قبرص يدعو لمعاطلة
أسرى المسلمين بالحسنى ، وبين له محاسن الاسلام .

أما جهاده باليد فيشمل :

(١) محاربته للمنكر وإزالته له بيده بدون إذن ولي الأمر ثم رجوعه في هذا الأمر وإقراره بالخطأ .

(٢) جهاده بالسيف ويشمل معاركه الحربية التي خاضها ضد الكفرة والملحدين ، فذكرت اشتراكه في فتح عكا وما قام به هناك من أعمال بطولية ، ومشاركته في القتال بنفسه حيث ظهرت قدرته القتالية بين الجنود في الميدان .

٢ - دور ابن تيمية بعد موقعة وادي الخازندار : تحدثت فيها عن خطة

غازان التي اتبعها لمحاربة المسلمين ، وإعلان إسلامه للقضاء على أى محاولة يمكن أن تقف في وجهه ، وعن سير المعركة وأسباب الهزيمة التي أصابت المسلمين ، وتطرق إلى أفعال التتر القبيحة في بلاد الشام مما يناقض خبر إسلامهم وكشف ابن تيمية لخطةهم وتكفيرهم ، وحمله لواء المقاومة ضدهم حيث أعلن وجوب مقاومة التتار الكفار ، وأمر بالتدريب على استعمال السلاح لجميع المسلمين حتى يرد اعتبارهم .

الفصل الرابع :

ويشمل النقاط الآتية :

١ - دور ابن تيمية في موقعة تل شقيب : ذكرت فيه أوائل الموقعة حيث

جهز غازان جيشاً كبيراً لمحاربة المسلمين فسلط الله عليهم الثلج والبرد وردهم على أعقابهم ، ثم سیر غازان في السنة التالية سنة ٧٠٢ هـ فحدث الاشتباك الفعلى بين الدولتين في تل شقيب

أومج الصفر ، حيث كان لابن تيمية دور كبير في تقوية نفوس الجند وتشبيتهم واشتراكه الفعلى فى المعركة ، فتحقق النصر للمسلمين فى هذه الموقعة بعد أن صدقوا الله فى الجهاد .

وختمت الموضوع بقطع دابر المنافقين والروافض وكسر شوكتهم باستثارة ابن تيمية الهم لمحاربة الكسروانيين وقيادته للجيش لمحاربتهم وانتهاء المعركة لصالح المسلمين سنة ٧٠٥ هـ .

٢ - سجن ابن تيمية ووفاته : ذكرت فيه سجن ابن تيمية فى مصر والشام نتيجة لفتاوى ابن تيمية الجريئة التى هاجمت العرف السائد فى تلك الفترة وعارضت آراء العلماء فكان أن وضع فى السجن عدة مرات كان فى بعضها حماية له من سخط العامة وكيد خصومه ، وأحياناً تأدياً له بعد أن مس اعتقاد الناس فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن توفى سنة ٧٢٨ هـ .

وختمت الفصل بذكر جنازته وثناء الأئمة عليه وبعض المراثي التى قيلت فيه .

ثم ألحقت بالبحث ملاحق لنصوص وثائق رسائل متبادلة بين سلاطين المماليك والمغول ... الخ . وملحق خرائط توضيحية لبعض المناطق والمعارك .

التعريف ببعض المصادر والمراجع
التي استخدمت في البحث

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على عدد من المصادر القديمة والمراجع الحديثة ، استفدت منها فائدة كبيرة ، وسأقتصر هنا على ذكر بعض هذه المصادر التي اعتمدت عليها بصفة رئيسية ومن أهمها :

- ١ - العقود الدرية : ابن عبد الهادي (٧٠٤ : ٧٤٤ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .

كان ابن عبد الهادي تلميذا معاصرا لابن تيمية في فترة حياته الأخيرة وملازما له ، لذلك نراه يتناول في كتابه حياة ابن تيمية وثناء الأئمة عليه - ويذكر مصنفاته الكثيرة ثم يتدرج لذكر جهاد الشيخ للتر حيث أورد رسائل كاملة من الشيخ ابن تيمية لعث السلطان والمسلمين على مجاهدة التتر والمنافقين مستشهدا بما وقع أيام الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب ، وقد استفدت من هذه الرسالة كثيرا ، فقد تحدث فيها ابن تيمية حديثا جيدا ربط فيه الأحداث في عصره بما حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشهدا بالآيات القرآنية لتدعيم أقواله .

(١) توجد له ترجمة خاصة في داخل البحث في موضوع : تلامذته .

ثم تناول ابن عبد الهادي شجاعة الشيخ في معاركه ضد التتر
ثم الكسروانيين^(١) ومعاربته للروافض المفسدين مع شرح عقائدهم
الفاسدة ، ثم ذكر قيام خصوم الشيخ عليه وسجنه عدة مرات الى وفاته
بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ .

وقد أفادني الكتاب كثيرا لأنه مختص بحياة شيخ الاسلام
والأحداث الهامة في حياته .

٢ - البداية والنهاية : ابن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ)^(٢)

(١٩٧٧ م الطبعة الثانية - مكتبة المعارف - بيروت)

يتناول هذا الكتاب تاريخ الأنبياء عليهم السلام ثم يتدرج الى
سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدين ، وهكذا الى
أن يصل الى الأحداث عصره ، فهو يتدرج في ذكر الأحداث حسب
السنوات حيث يذكر فيها أهم الأحداث التاريخية في العالم الاسلامي
ثم يختم السنة بذكر أشهر من توفي فيها من الحكام والأمراء والعلماء ،
وهو يتكون من أربعة عشر مجلدا ، ولقد استفدت كثيرا من الجزأين
١٣ ، ١٤ حيث عني ابن كثير بأهم الأحداث التي حدثت لابن تيمية
وأبرزها في كتابه لم أجدها في أي كتاب تاريخي آخر ، فأبرز دور

(١) الكسروانيين : هم سكان جبل كسروان وهم من الروافض والبغاة الذين
خرجوا على تعاليم الاسلام الصحيح وهم من جنس الدرور
والنصيرية ، وهم في لبنان .

(٢) توجد له ترجمة خاصة في : تلامذته .

ابن تيمية في محاربته للبدع والخرافات ، واشتراكه في الجهاد ضد
المغول ثم الروافض ، كما تعرض لابتلاءات الشيخ وسجنه ، وبين
أسباب حقد خصومه عليه . هذا بالإضافة الى استفادتي من هذا
الكتاب في تراجم بعض الشخصيات .

٣ - الأعلام العلية (للبزار) هو محمد بن علي بن موسى بن الخليل
البخدادى الأزجى الفقيه المحدث ولد سنة ٦٨٨ هـ وتوفى سنة
٧٤٩ هـ ، عني بالحديث ، وحج عدة مرات ، كان يلازم مجالس
الشيخ ابن تيمية ، وأخذ عنه الكثير^(١) .
(دار الكتاب الجديد - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ -
١٩٧٦ م) .

أفرد البزار كتابه هذا لترجمة حياة ابن تيمية وجعله أربعة
عشر فصلاً في مولده ، وغزارة علومه وفي مؤلفاته ، وفي تعبدية وزهده ،
ثم تحدث فيه عن إثاره مع فقره ، وفي قوة قلبه وشجاعته وإحتماله
الشدائد في سبيل الله . ولقد استفدت من الكتاب استفادة كبيرة
لتناوله عدة جوانب من حياة ابن تيمية .

٤ - السلوك (للمقرئى) هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
ولد سنة ٧٦٠ هـ وتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، نشأ بالقاهرة وتفق على

(١) للاستزادة من ترجمته يراجع كتاب ابن رجب نيل طبقات الحنابلة ج ٤ ص
٤٤٤ - ٤٤٥ .

مذهب الحنفية ثم انتقل الى المذهب الشافعي - تولى الحسبة فى القاهرة ثم لازم داره للخلوة والعبادة ، كان يضرب به المثل فى علم التاريخ .^(١)

(الطبعة الثانية - لجنة التأليف والترجمة والنشر)

يتكون هذا الكتاب من أربعة أجزاء فى بعض النسخ المخطوطة - طبع منه الجزء الأول ويتكون من ثلاثة أقسام ، يبدأ الكتاب بعرض سريع لما كان عليه الناس قبل طمة الاسلام ثم ذكر القائمين بالمطة الاسلامية وتحدث عن دولة بنى بويه ودولة السلاجقة ثم ذكر قيام دولة صلاح الدين الأيوبي فى مصر ، ويعتبر هذا الكتاب تاريخاً لمصر من الدولة الأيوبية. ثم تدرج فى التسلسل الزمنى للأحداث التاريخية . ولقد استفدت كثيراً من القسم الثانى والثالث فى الوقائع الحربية التى حدثت بين المماليك والتتر مثل عين جالوت وتل شقحب وغيره ، ويمتاز أسلوب المقرئى بالتفصيل فى ذكر المواقع الحربية ودقائق المعركة مع اشارته فى بعض الأحيان الى أسباب هذه الممارك ، كما استفدت منه كثيراً فى دراسة الرسائيل المتبادلة بين التتر والمماليك حيث وضعت فى نهاية القسم الثالث على شكل ملاحق .

٥ - صبح الأعشى (للقلقشندي) هو أحمد بن على بن أحمد القلقشندي الشافعي ، نزيل القاهرة ، ولد سنة ٧٥٦ هـ وتوفى سنة ٨٢١ هـ

(١) للاستزاده من ترجمته يرجى الاطلاع على ابن العماد : شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

تفقه على المذهب الشافعي ومع في الأدب والانشاء ، كان مفضالا
وقورا ، ألف كثير من الكتب أشهرها ^(١)صبح الأعشى .
(مطابع كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة)

يتناول هذا الكتاب ما يتعلق بالانشاء والكتابة ، وماورد فيه
ويعتبر الكتاب بصفة عامة دائرة معارف أدبية وعلمية كبرى فهو يحوى
تاريخ وسير ولغة وأدب وفقه وتفسير وحديث وشرح للأمثال والحكم
العربية ، وسط لنظام الحكومات عامة والحكومات المصرية خاصة ،
ويتكون الكتاب من أربعة عشر جزءا .

ولقد استفدت كثيرا من الأجزاء ٤ ، ٧ ، ٨ فاستفدت من الجزء
الرابع فى بداية حكم هولاكو لفارس والعراق ثم انتقال الأمر الى
أبنائه بعد وفاته الى انهيار دولة الممولى .

أما الجزأين السابع والثامن ، فقد كان فيه نص الرسائل
المتبادلة بين سلاطين المماليك فى مصر وقنات الممولى فى العراق ،
وقد استفدت منه كثيرا حيث تعتبر هذه الرسائل وثائق تاريخية
تصور لنا العلاقة التى كانت بين الدولتين .

ومن المراجع التى استفدت منها كثيرا كتاب :

- ١ - رجال الفكر والدعوة فى الاسلام (لأبى الحسن على الحسنى الندوى)
(الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - دار القلم -
بيروت) .

(١) للاستزادة من ترجمته ينظر الى : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٧ ص
١٤٩ .

وهو كتاب من جزئين ، تناول الكتاب في جزئه الأول —
الحاجة الى التجديد والاصلاح وجهود الخليفة عمر بن عبد العزيز
في ذلك ثم تناول حياة عدة شخصيات اصلاحية أمثال الامام أحمد
بن حنبل وأبي الحسن الأشعري ، والامام أبي حامد الغزالي
والشيخ عبد القادر الجيلاني وجلال الدين الرومي ، بينما أفرد الجزء
الثاني كله لحياة شيخ الاسلام أحمد بن تيمية . ولقد استفدت من
هذا الجزء كثيرا حيث تناول العصر الذي نشأ فيه ابن تيمية والأوضاع
السياسية والاجتماعية والعلمية فيه . كما تعرض لنشأة ابن تيمية
وحياته وأهم الأحداث التي جرت للشيخ وجهاده للتر والكسروانيين
والروافض ومحاربه للبدع والخرافات ، وتعرضه في سبيل ذلك الى
السجن عدة مرات .

ثم تحدث عن دور ابن تيمية الاصلاح في تجديد عقيدة
التوحيد وابطال المقائد والتقاليد المشركة ، ثم تحدث عن كتابين
لابن تيمية وناقشهما وهما كتاب الرد على المنطقيين ، وكتاب
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . وختم الكتاب بذكر
بعض تلامذة الشيخ ابن تيمية .

٢ - محمد أبوزهرة ، ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه

(دار الفكر العربي)

كتاب قيم جدا تحدث فيه الكاتب عن ولادة ابن تيمية
ونشأته ومكانة أسرته العلمية ، وتولييه للتدريس ثم انتقاله من محراب
المعلم الى ميدان القتال حيث تحدث فيه عن دور ابن تيمية فسي

جهاد المفلول واستشارته لهم المسلمين لمحاربتهم .

ثم تحدث عن محنة الشيخ وسجنه المتكرر الى أن انتهى الأمر
بوفاته سنة ٧٢٨ هـ .

ثم تناول في كتابه آراء ابن تيمية التي انفرد بها ومنهجـه
في فهم القرآن الكريم . . . الخ .

وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب وأمدني بكثير من الأفكار
والآراء .

. . . .

التمهيد
حالة المجتمع الإسلامي
في عهد علي بن أبي طالب

التمهيد

حالة المجتمع في عهد ابن تيمية

عاش ابن تيمية في مجتمع فاجأته أحداث خطيرة اجتاحت العالم الإسلامي كما يحتاج السيل الجارف كل مافى طريقه من نبات وحيوان ، ففي الشمال والشرق هبت رياح عاصفة اقتلعت كل ما كان للمسلمين من حضارة وجاه وسلطان على أيدي المفلول ، ولعل من الأسباب التي أضعفت قوة المسلمين وأعجزتهم عن مقاومة الموجة الساحقة التي اجتاحت بلادهم ما كان داخل البلاد من أمراض وعلل **فرقت** لگتھم وشتت شطھم ان انتشرت الفرق الضالة من أصحاب البدع والغرافات التي أبعدت العامة عن فهم الشريعة الإسلامية على وجهها الصحيح ، وقد وجدت هذه الفرق أمثال النصيرية ، والدروز ^(١) ، وغيرهم الطريق مصهدا أمامها لنشر مبادئها الفاسدة لدى العامة ، حيث كانوا لا يفهمون الشريعة الإسلامية فهما صحيحا مما سهل على تلك الفرق ادخال ما يريدون باسم الشرع والأمر الذي جعلهم يقومون بمعاونة أعداء الدين في مهاجمة بلاد المسلمين كراهية منهم للإسلام وأهله .

(١) النصيرية : من غلاة الشيعة يرون ظهور الحق بتأليه الامام علي بن أبي طالب والأئمة ، رد عليهم ابن تيمية برسالة سماها النصيرية . أنظر : عبد السلام هاشم حافظ : الامام ابن تيمية ، ص ٦٤ .

(٢) الدروز : جماعة من سكان سورية ولبنان يقيمون بجبل الدروز في سوريا ومقاع كثيرة من لبنان يدعون أنفسهم الموحدين ، أصلهم اسماعيلية فاطمية يؤمنون بامامة الحاكم بأمر الله الفاطمي وهم محاربون أشداء يميلون إلى الاستقلال بشئونهم . أنظر : شفيق غريال : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٧٩٢ .

ولما كان هذا العصر يمتاز بوجود مجموعة كبرى من العلماء الأجلاء الذين أحسوا بأخطار البدع، والضلالات تسرى في جسم الأمة، والبلاء الذي فاجأهم على أيدي العنصر الهدام عنصر المغول ، وتجسدت أمامهم المسؤولية أمام الله عن حماية هذه الأمة من الفساد، والدفاع عنها ووقايتها من البلاء الذي يحتاج كل شيء في كيان الأمة، وخاصة عقيدتها الإسلامية . وكان على رأس هؤلاء العلماء امام عالم عامل هو الشيخ تقى الدين بن تيمية الذي نفخ في علماء عصره من روحه ما جعلهم يبدلون كل امكاناتهم العلمية والمالية في سبيل تنقية الأسلام مما علق به من البدع والخرافات وما أصاب المسلمين من الضعف، والجبن ليعيدوا الاسلام كما كان منهج عمل، وعقيدة، وفرع الروح المعنوية للمسلمين للدفاع عن الاسلام والتضحية في سبيله بكل ما يملكون .

فقاد هذه الحركة ابن تيمية ومعه زملاؤه من العلماء وجعلوا غايتهم هي ارجاع الأمة الإسلامية الى التمسك بالكتاب والسنة وتربية جيل من شباب المسلمين يحمل راية الجهاد لتكون له احدى الحسنيين ، اما النصر في الداخل على البدع والخرافات وفي الخارج على أعداء الاسلام واما الشهادة في سبيل هذه الغاية .

الحالة السياسية في عهد ابن تيمية :

ولد ابن تيمية كما ذكرنا سابقا سنة ٦٦١ هـ بعد تدمير بغداد قلب

العالم الاسلامي بحوالى خمس سنوات ^(١) ، فأدى انهيار القلب الى شلل بقية الأعضاء فتساقطت بقية بلاد العراق فى يد التتر الواحدة تلو الأخرى فنشأ ابن تيمية وهو يرى تخاذل المسلمين وتكاسلهم عن نصره دينهم مما أدى بهم الى هذا المصير.

ثم تطلع الصبى الصغير - وهو لم يتجاوز ست سنوات من عمره - بنظره فإذا بذلك الخطر يتخطى بلاد العراق الى الشام حيث كان الرعب قد سبقه الى هذه المنطقة حتى يثس بعض أهل المدن من المقاومة ضد هؤلاء الفزاة فأخذوا يقدمون فروض الطاعة والولاء الى ذلك الحد والغاشم ^(٢) ، ومن لم يقدم لهم فروض الطاعة ذهبوا اليه بجحافلهم الى عقرباره يدكون حصونه ويخربون بنيانه ويقتلون أبناءه فقاموا سنة ٦٥٨ هـ بمحاصرة حلب حصاراً شديداً سقطت بعده فى أيديهم فكان جزاؤها أن ذبحوا أبناءها وأكثروا فيها السلب والنهب والقتل ، ولم ينج منهم الا فئة قليلة جداً استطاعت الاختفاء عن أعينهم ^(٣) ، ثم واصلوا خططهم فى الاستيلاء على بلاد الشام كله حتى وصلوا الى غزة ^(٤) فدانت لهم تلك المنطقة وتحكموا فى رقاب المسلمين ، يذيقونهم العذاب والهوان . لاحظ ذلك كله ابن تيمية بقلبه

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ابن الوردي :

تتمة المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ٢٩٣ ، حيث ذكر أمثلة على ذلك ما فعله كبراء حماه حين سلموا مفاتيح المدينة الى هولاكو بعد سقوط حلب فى يديه . وللاستزادة فى هذا الموضوع يراجع تاريخ ابن الوردي .

(٣) ابن الوردي : ن . م . س ، ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٤) ابن الوردي : ن . م . س ، ج ٢ ص ٢٩٣ .

الصغير المرهف فهاله هوان المسلمين، واذلالهم وأخذ يقلب فكره ففى الماضى البعيد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فى عز الدولة الاسلامية التى دانت لها البلاد من الصين شرقا الى المحيط الأطلسمى غربا . وتساءل عن أسباب الهوان الذى يعيش فيه المسلمون الآن فعلم أن السبب فى ذلك كله هو بعدهم عن الاسلام والاستهانة بتعاليمه فهانت نفوسهم فلم يستطيعوا دفع هذا الشر عنهم .

وفى ظل الخنوع والاستسلام والذل من المسلمين أصاب التتر الغرور لكثرة انتصاراتهم فأرسلوا الى حكام مصر وكانوا من المماليك رسالة يتهددونهم فيها ويطلبون منهم التسليم والاذعان والا أذاقوهم كأس الذل والهوان^(١) . فكأنما كانت هذه الرسالة لكمة وجهت الى المماليك أيقظتهم من رقادهم ليراجعوا حساباتهم ويناقشوا أنفسهم فى سبب تخاذل المسلمين الذى مكن منهم عدوهم الى هذه الدرجة ، فأعلنوها حربا اسلامية برفع راية الجهاد فى سبيل الله لنصرة شريعته واعادة أمجاد الأمة الاسلامية التى ماكانت عليه . وسنذكر هنا نبذة عن تاريخ المماليك وقيام دولتهم حيث فى ظلها عاش ابن تيمية لنعرف تأثير الناحية السياسية عليه .

أصل المماليك :

فأصل المماليك رقيق أترك أسكنهم الطك الصالح نجم الدين أيوب

(١) أنظر نص الرسالة فى فصل علاقة المماليك فى مصر بالمغول فى العراق .

في مصر اعترافاً بشجاعتهم ووفائهم وعرفوا بالبحرية ^(١) . بعد وفاته استطاع رجل منهم وهو عز الدين أيك التركماني أن يتولى الحكم بمصر مقتـلـ توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ولقب نفسه الملك المعز فكان أول سلاطين المماليك ، وساعدته في ذلك زوجته شجرة الدر ^(٢) إلا أن حكمه لم يدم طويلاً فقتل سنة ٦٥٥ هـ ^(٣) فخلفه على الحكم ابنه نور الدين علي ^(٤) ولصغر سنه لم يستطع حكم البلاد فعمت الفوضى سائر أرجاء البلاد وجاء تهديد التتر لمصر ، فظهر عجزه عن التصدي لهذا الحدث الخطير كما عجز من قبل عن تسير أمور المملكة مما حدا بأحد مماليك أبيه وهو الأمير سيف الدين قطز ^(٥) أن يستولي على الحكم ويوحد صفوف الأمة ويجمع الأمراء والحكام على غرض واحد وهو رد عدوان المنول واعلاء شأن الأمة الإسلامية ويعود بها إلى تعاليم الإسلام فأعلن ذلك للناس وجعل شعاره في المعركة ضد التتار "واسلاماه" فأيدهم الله تعالى بنصره

(١) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٢٣٦ ، وسموا بالبحرية نسبة إلى النيل حيث كان مقرهم على ضفافه وكان يسميه المصريون بالبحر .

(٢) جارية الملك الصالح وهي من المماليك تزوجها الملك الصالح فأنجبت له خليل ، حكمت مصر مدة بعد وفاة زوجها ونياية عن ابنها ثم تزوجت الملك المعز أيك ، ثم تأمرت على قتله فجزاها المماليك بالقتل . أنظر : المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٣) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٣ .

(٤) ن . م . س : ج ٧ ص ٦٣ .

(٥) واسمه محمود بن محمود أبوه ابن عم جلال الدين منكبرتي من خوارزم شاه وأمه أخت جلال الدين . وسبى عند غلبة التتر على بلاد خوارزم وميـع في دمشق ثم انتقل إلى القاهرة وتوفي سنة ٦٥٩ هـ . أنظر : المقرئزي : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٣٥ ، ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٣٧٩ .

وهزم عدوهم شر هزيمة في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ^(١) فارتفعت
معنويات المسلمين وعادت لهم الثقة بأنفسهم حين عادوا إلى الله ، ثم
تولى الأمر بعد ذلك السلطان بيبرس البندقدارى ^(٢) ودام حكمه حوالي
ثمانية عشر عاماً قضاهما في محاربة التتر والفرنج واعتنى بأمر الجهاد عناية
كبيرة لأعلاء كلمة الله في الأرض كما اعتنى بإقامة الشريعة الإسلامية وتحكيم
شرع الله في مختلف الأمور ومحاربة المنكر بمختلف صورته ^(٣) .

(١) المقرئى : السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٤٢٩ - ٤٤٣ ، ابن خلدون :
العبر ج ٥ ص ٣٧٩ .

(٢) هو بيبرس البندقدارى تركى الجنس اشتراه الصالح نجم الدين أيوب
ترقى في خدمته ثم انتقل بعد وفاته إلى خدمة ابنه الملك المعظم
توران شاه ، وحين قُتل توران شاه تنقل بيبرس في بلاد الشام
ثم عاد إلى مصر وخرج مع الملك المظفر قطز لقتال التتر . ومن
مواقفه ضد دعاة الهزيمة في بداية الغزو المغولى أن بعض أمراء
دمشق أخذ يعظم هولاء لدى المسلمين ويشير بمصالحته والدخول
في طاعته فقام بيبرس وضربه وسبه وقال له (أنتم سبب هلاك المسلمين)
- تولى السلطنة بعد مقتل قطز وأقام خلافة عباسية صورية في القاهرة
بعد سقوطها في بغداد . أنظر : المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص
٤١٩ .

(٣) ما أورده ابن كثير فقال أن السلطان أمر بارقة الخمر وتبطليل المفسدا
والخوادل في البلاد كلها وأسقط المكوس التي كانت عليهم ، وحين
تعرضت له امرأة بالطريق ذكرت له غدر صاحب صور بابنها التاجر
وقتل وأخذ ماله فركب السلطان وأغار على صور فقتل كثيرا من الفرنج
وغنم أموالا كثيرة ، وحين سأله صاحبها عن السبب في ذلك ذكر لسه
غدره ومكره بالتجار المسلمين . أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ،
ج ١٣ ص ٢٥٤ .

في ظل حكم السلطان الظاهر ولد ابن تيمية وترعرع فرأى الخطر
المغولي يهدق بالعالم الاسلامي من جميع جهاته وما زالت مخيلته
تحتفظ بصورة فرار أسرته من حران هربا من المغول الى مكان ~~مهم~~ ويحميهم
ويحميهم ، ولم يكونوا الوحيدين الذين فروا وانما كانت كثرة القارين تؤثر
أيضا على ابن تيمية فصمم على أن يعمل على طرد هؤلاء الكفار من ديار
المسلمين متمسكا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو
يرى صور الجهاد الذي حمل لواءه السلطان بيبرس ضد المغول والفرنجة
على السواء ^(١) . فكان له تأثير كبير فيما بعد حين تهاون كثير من الأمراء
في رفع راية الجهاد وخلدوا الى الدنيا واغتروا بها وهي زائلة فكان
يذهب بنفسه لدفعهم للسير الى الجهاد مع بعض العلماء .

قام الظاهر بيبرس باحياء الخلافة المباسية في مصر ليأخذ حكمه
الصورة الشرعية المستمدة من الخليفة لتصبح كل مقاليد الأمور بيده ، ثم
قام بإنشاء المدارس وتشجيع العلماء حتى أصبحت القاهرة من أكبر المراكز
العلمية والسياسية والحضارية في العالم الاسلامي ^(٢) .

بعد وفاة الظاهر تولى الحكم بعده ابنه الملك العادل وكان عمره
سبع سنين فخلع لصفه سنه وتولى بدلا منه أتابكه الملك المنصور سيف الدين

(١) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٦ .

(٢) خاصة وأن أكثر العلماء أخذوا في الهجرة الى مصر بعد سقوط بغداد
وتعرض الشام للخطر المغولي .

(١) قلاوون^(١) وكان رجلاً قويا شجاعا تقيا أعلى راية الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين شرقا وغربا ، فأوقع بالتر الهزيمة سنة ٦٨٠ هـ في حمص^(٢) كما هزم الصليبيين في طرابلس الشام وطردهم منها .^(٣)

واصل بعد وفاته ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل طريق الجهاد فنازل قلعة الروم^(٤) ونصب عليها عشرين منجنيقا وفتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة فقتل النصارى وسبى نساءهم وأبناءهم وسماها قلعة المسلمين ، وبعد وفاته تولى السلطنة أخوه محمد الناصر وكان عمره سبع سنين فاستولى على الحكم لصغر سنه عدة ممالك إلى أن كبر وتسلم زمام السلطنة ودام حكمه حوالي ٣٢ اثنين وثلاثين عاما^(٥) استطاع فيها أن يوحد

(١) من جنس القبحاق ، جلب إلى مصر وهو صغير وكان من جملة المماليك البحرية ، تنقلت به الأحوال حتى صار أتابك الحسكر بديار مصر في سلطنة العادل سلامش ابن الظاهر ودام على ذلك ثلاث شهور إلى أن تم الاتفاق على خلع العادل وسلطنة قلاوون . أنظر : المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٦٦٣ .

(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٣٢٦-٣٢٧ ، المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٦٩٠-٦٩٤ .

(٣) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٤) قلعة الروم : قلعة حصينة غربي الفرات . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٠ .

(٥) حين تولى السلطان الناصر الحكم في المرة الأولى خلعه الأمير زين الدين كتبغا لصغر سنه وتولى السلطنة بدلا منه ، ثم قام عليه نائبه حسام الدين لاجين وخلعه وتولى السلطنة بدلا منه ، وبعد حكم دام حوالي سنتين قتل الأخير على يد المماليك ، فعاد الناصر للحكم للمرة الثانية وقام بتدبير المملكة بدلا منه الأميران سلاار والجاشنكير بعد (=)

جهود المسلمين ويعيد للدولة الإسلامية قوتها وهيبتها في أعين أعدائها .
ففي عهده أنزل المسلمون الهزيمة بالتر في موقعة تل شقحب وطهر ببلاد
الشام منهم وكانت فترة حكمه الممتدة جعلته أكثر السلاطين معاصرة لابن تيمية
كما كانت أهم الأحداث التي عاشها ابن تيمية من سجن واضطهاد فسق
عهده .

كان الماليك يحكمون بدین الاسلام في جميع أمور الدولة ، وكان
للعلماء والقضاة والفقهاء مكانة كبيرة عندهم ، فقد كان الماليك يحبون
الاسلام ، ويهبون بحماس للدفاع عنه لاعلاء كلمة الله ^(١) وكانوا هم الذين
يعينون القضاة والأئمة والشيخو وكانت أحكام القضاة واجبة التنفيذ الا أن
أساس السلطة وإدارة شئون المملكة كانت بيد السلطان وحاشيته ، وان خالف
في بعض الأحيان رأى العلماء ، لكن كان الأمر يختلف حين يوجد عالم
مسلم جرى قوى الايمان لا يخاف في الله لومة لائم أمثال الشيخ المر
بن عبد السلام وموقفه مع سلاطين الماليك حين أعلن عدم صحة بيعتهم

(=) أن ضيقوا على السلطان ، ففر منهم الى الكرك وانخلع من السلطنة
فتسلطن بيبرس الجاشنكير لمدة عشرة شهور عاد بعدها الناصر ليتولى
الحكم للمرة الثالثة حيث استمر في الحكم الى أن توفي . أنظر: المقریزی:
الخطط ج ٢ ص ٢٣٨ .

(١) كما حدث حين هب قطز لدفع التتر في عين جالوت ، والظاهر
بيبرس في حمص وغيره .

لأنهم رقيق الا اذا ثبت له أنهم أحراراً^(١) . وحين امتنع عن اصدار فتوى
بأخذ أموال الناس للاستعانة بها في حرب التتار حتى يضع الأسـراء
ما لديهم من كنوز ذهب وفضة^(٢) . فان لم تف بالتكاليف أجاز لهم أخذ
أموال الناس .

ومع حرص الممالك على الشريعة الاسلامية فاننا نجد بعض الممالك
يتأثر برجال الصوفية لا اعتقادهم الشديد فيهم ومحبتهم وتنفيذ ما يشيرون
به عليهم ولو كانوا على خطأ^(٣) .

الناحية العلمية والدينية والاجتماعية :

- كان المجتمع في عصر ابن تيمية يتكون من طائفتين :
- ١ - طائفة رجال العلم من الفقهاء والقضاة والنحاة وغيرهم .
 - ٢ - الطائفة الثانية هي عامة الشعب التي انتشرت فيهم البدع والخرافات
الى جانب بعض الفرق الضالة التي اتخذت شعار الاسلام ستاراً
لتطمئن فيه وتخربه من الداخل .

(١) محمد حسن محمد الله : عز الدين بن عبد السلام ص ١٦٣ .
(٢) المقرئ : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩٨ .
(٣) كما حدث للشيخ ابن تيمية على يد الأمير بيبرس الجاشنكير الذي أمر
بسجن ابن تيمية ارضاء لشيخه الصوفي نصر المنجي الذي غضب
لطمع ابن تيمية في ابن عربي كما سنرى في فصل لاحق .

فمن ناحية العلماء نجد هناك كثيرا من الذين نبغوا في مختلف جوانب المعرفة وكانوا مثالا للمسلم العالم العامل بأمور دينه ودنياه فألفوا كثيرا من أمهات الكتب الاسلامية والموسوعات العلمية حتى عرف هذا العصر بعصر الموسوعات العلمية ، وتركوا لنا تراثا ضخما نعتز به الى جانب علوم من سبقهم أمثال العلامة الشيخ تقى الدين أبو عمرو بن الصلاح^(١) الذى ألف المقدمة المشهورة بمقدمة ابن الصلاح وشيخ الاسلام وسلطان العلماء العز بن عبد السلام^(٢) وكتابه القواعد الكبرى والامام محى الدين

(١) تقى الدين ابن الصلاح الحافظ شيخ الاسلام أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الكردى الشهرزورى الموصلى الشافعى ولد سنة ٥٧٧ هـ ، تفقه ورع فى المذهب وأصوله وفى الحديث وعلومه وصنف التصانيف مع الفقه والديانة ولجلالة قدره كان اذا أطلق علماء الحديث لفظ الشيخ فيكون المراد به هو ، وقد أشار الى ذلك صاحب الألفية بقوله فيه :

وكلما أطلقت لفظ الشيخ ما أريد الا ابن الصلاح بهما .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٢١ .

(٢) شيخ الاسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى ثم المصرى الشافعى الامام العلامة وحيد عصره ولد سنة ٥٧٨ هـ برع فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والعربية فاق الأقران وبلغ رتبة الاجتهاد رجل اليه طلبه العلم من سائر البلدان . ألف كثيرا من الكتب ، كان فيه زهد وورع وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر تولى خطابة دمشق فأزال كثيرا من بسوس الخطباء فاجتنب الثناء على الطوك وكان يدعولهم ، وحين بلغ خبر موته للسلطان الظاهر قال لم يستقر ملكى الا الساعة لأنه لو أمر الناس فى بما أراد لبادروا الى امتثال أمره ، توفى سنة ٦٦٠ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(١) النووى وشرحه لصحيح مسلم والمحدث الكبير معاصر ابن تيمية شيخ الاسلام
تقى الدين ابن دقيق العيد^(٢) ، وكتابه الامام وكتاب أحكام الأحكام شرح عمدة
الأحكام والأصول المتكلم علاء الدين الباجي^(٣) ، كما كان هناك مؤرخون
ومحدثون كبار تتلمذ بعضهم على الشيخ ابن تيمية أمثال العلامة الحافظ ،
المؤرخ شمس الدين الذهبى^(٤) وكتابه سير أعلام النبلاء وكتابه تاريخ الاسلام

(١) شيخ الاسلام محيى الدين أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري بن خزام الفقيه
الشافعى ولد سنة ٦٣١ هـ قرأ القرآن ودرس الفقه والحديث واللغة
والأصول وسرع فيهم حج مع والده ثم سكن دمشق بالمدرسة الروحية
- توفي سنة ٦٧٦ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
(٢) تقى الدين محمد بن على بن وهب الشافعى المالكى ابن دقيق العيد
تفقه على والده فى المذهب المالكى وعلى الشيخ المعز بن عبد السلام
فى المذهب الشافعى حقق المذهبين وأفتى فيهما . كان يقول :
" ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلا الا أعددت له جوابا بين يدي الله
تمالى " - توفي سنة ٧٠٢ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٥ .
(٣) علاء الدين أبو الحسن على بن محمد الباجي - نسبة الى باجة مدينة
بالأندلس - المصرى الشافعى ولد سنة ٦٣١ هـ تفقه بالشام على ابن
عبد السلام ولى قضاء الكرك ، قال عنه ابن شهبه : " كان أعلم أهل
الأرض بمذهب الأشمورى " - توفي سنة ٧١٤ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٤٤ .
(٤) شمس الدين الذهبى محمد بن أحمد بن عثمان قايمار الامام العلامة
حافظ لا يجارى أتقن الحديث ورجاله وكان عالما بتراجم الناس أكثر
من التصنيف ، ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفى سنة ٧٤٨ هـ .
أنظر : الكتبى : فوات الوفيات ج ٣ ص ٣١٥ .

وغيره من الكتب التي أثرت المكتبة الإسلامية ، والحافظ علم الدين البرزالي ^(١) .
والحافظ العلامة جمال الدين المصري ^(٢) وكتابه تهذيب الكمال والمؤرخ الكبير
ابن كثير ^(٣) صاحب البداية والنهاية كما نبغ في عصره علماء أكفاء كانوا مرجع
الخلق وانتشر صيتهم في الآفاق كالقاضي كمال الدين بن الزمكاني ^(٤) وقاضي

-
- (١) الحافظ علم الدين القسم بن محمد بن يوسف البرزالي الشافعي ، محدث
الشام صاحب التاريخ والمعجم ولد سنة ٦٦٣ هـ درس الفقه على
الشيخ تاج الدين الفزاري وصحبه ولي مشيخة دار الحديث النورية
والنفسية صنف في التاريخ ٧ مجلدات توفي بخليل محرم ، وله
من العمر ٧٤ عاما . أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٢ .
* خليل حصن بين مكة والمدينة - أنظر : ياقوت : المعجم ج ٢ ص ٣٨٧ .
(٢) أبو الحجاج يوسف عبد الرحمن العلامة الحافظ المصري الشافعي شيخ
المحدثين عمدة الحفاظ تفقه على مذهب الشافعي تعلم العربية وشرع
فيها ، طلب الحديث بنفسه وله عشرون سنة ، قيل بلغ عدد مشيخته
نحو الألف ، روى الحديث حوالي ٥٠ سنة ، وولي دار الحديث
الأشرفية لمدة ٢٣ سنة ، توفي سنة ٧٤٢ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٣٦ .
(٣) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصري ، ثم الدمشقي الفقيه
الشافعي ، ولد سنة ٧٠٠ هـ كان كثير الاستحضار قليل النسيان
قال عنه الذهبي : " هو الامام المحدث البار " انتهت اليه رئاسة
العلم في التاريخ والحديث والتفسير ، له كتاب جصع المسانيد العشرة
وطبقات الشافعية ، توفي سنة ٧٧٤ هـ .
أنظر : الأوسى : جلاء العينين ص ٣٤ .
(٤) كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد الزمكاني الأنصاري
الشافعي قاضي قضاة دمشق ولد سنة ٦٦٧ هـ كان اماما بصيرا بمذهبه
وأصوله قوى العربية صحيح الذهن فصيحاً أدبياً أفتى وعمره فوق العشرين
له كثير من التصانيف بعضها في الرد على ابن تيمية في مسألة الطلاق
والزيارة ، توفي سنة ٧٢٧ هـ . أنظر : ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩
ص ٢٧٠ .

القضاة جلال الدين القزويني^(١) والقاضي تقى الدين السبكي^(٢) والعلامة
النحوي أبي حيان الأندلسي^(٣) وغيرهم كثيرون . كان يواكب هذه النهضة
اهتمام واضح من الحكام فقد أنشئت في مصر والشام المدارس الكثيرة ودور
الحديث والمعاهد العلمية التي كان هؤلاء العلماء ينشرون العلم عن
طريقها وتشدد اليها رجال الشباب وطلاب العلم أمثال المدرسة الكاظمية^(٤)

-
- (١) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الدمشقي الشافعي، ولد
سنة ٦٦٦ هـ تفقه على أبيه واشتغل في أنواع العلوم، ولى الخطابة ثم القضاء
بدمشق ثم قضاء مصر، ألف كثير من الكتب منها تلخيص المفتاح في
المعاني والبيان . أفتى ودرس وناظر وتخرج على يديه الكثيرون - توفي
سنة ٧٣٩ هـ . أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٣ .
- (٢) الإمام العلامة شيخ الاسلام تقى الدين علي بن عبد الكافي السبكي
الشافعي ولد سنة ٦٨٣ هـ درس التفسير والحديث والفقه والأصول
واللغة والنحو ورع فيهم ، تخرج على يده الكثير ، ولى قضاء الشام بعد
جلال الدين القزويني صنف نحو ١٥٠ كتاب - توفي سنة ٧٥٦ هـ .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٨٠ .
- (٣) العلامة أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الفرناطسي ،
له مصنفات جليلة منها تفسير القرآن العظيم وشرح التسهيل وكان عالما
في النحو واللغة والتفسير سمع الحديث من نحو ٤٥٠ شيخا تجول في
كثير من البلاد إلى أن استقر في القاهرة ، تخرج على يده الكثيرون .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
- (٤) تعرف بدار الحديث الكاظمية أنشأها السلطان الملك الكامل محمد
بن أبي بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ هـ وهي ثاني دار عملت للحديث بعد
دار الحديث التي بناها نور الدين زنكي بدمشق وقد وقفها الملك
الكامل على المشتغلين بالحديث النبوي وفقهاء الشافعية وجعل لها
أوقافا كثيرة للاتفاق عليها .
أنظر: المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٣٧٥ .

والمدرسة الصالحية^(١) والمدرسة الظاهرية^(٢) وكانت سبل الطم والبحث ميسرة وفي متناول الجميع فكانت المكتبات الضخمة التابعة للمدارس أو المستقلة عنها تحتوى على أمهات الكتب فى كل مجال من مجالات المعرفة مثل المكتبة التابعة للمدرسة الكاملية حيث كانت وحدها تحتوى على مائة ألف كتاب^(٣) كذلك المكتبة الظاهرية فيها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم^(٤).

نبغ كثير من العلماء فى مختلف التخصصات كما ذكرنا سابقا وألفوا فى ذلك كثيرا من الكتب وكان بجانب هؤلاء طائفة أخرى من العلماء كان يغلب عليها النقل والاقتباس دون التعمق فى العلم^(٥).

-
- (١) بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ ، كان يلقي فيها أربع دروس فقه فى المذاهب الأربعة فى الأسبوع ، وجعل لها أوقافا كثيرة . أنظر: المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٧٤ .
 - (٢) بناها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ جعل لها أوقافا كثيرة وأمر ألا يستعمل فيها أحد بدون أجره والحق بها مكتب تعليم أطفال المسلمين الأيتام القرآن الكريم وأجرى لهم الجرايات والكسوة وكان يلقي فيها دروس الفقه والتفسير والقراءات وغيره . أنظر: المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .
 - (٣) الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ج ٢ ص ٢٩ .
 - (٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٧٩ .
 - (٥) الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ج ٢ ص ٢٨ ، محمد ابن المبارك : آراء ابن تيمية ص ١٢ .

ونلاحظ أن بعض أتباع المذاهب الفقهية قد تفشت فيهم العصبية المذهبية حيث كان بعض أتباع كل مذهب يحصرون الحق في مذهبهم على غيره ولو كان الصواب عند غيرهم مخالفين بذلك أئمة المذاهب الأربعة الذين كانوا يقدرون علم بعضهم البعض ويثنى كل واحد منهم على الآخر فلم يكن الخلاف بينهم خلاف استبداد بالرأى وإنما كان خلاف مجتهدين مخلصين كل بحسب فهمه للنص القرآني أو السنة ، فالامام مالك رحمه الله يقول امام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (وكل منا قوله راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر).

كان للاختلاف الشديد بين أتباع المذاهب الأربعة من عرفوا بالسطحية في الفهم في ذلك الوقت من العوامل المهمة التي جعلت ابن تيمية يقسم بافهامهم خطأ ما هم عليه من سوء الاعتقاد في الأئمة فقام بتأليف كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) مبينا فضل الأئمة الأربعة لكلهم بدون تخصيص أو تفضيل أحد على الآخر ونشأت بعد ذلك مدرسة لابن تيمية ترى أن الخلاف بين أتباع المذاهب على الأفضلية والألوية بحسب قوة الدليل الشرعي عند كل منهم مع احترام بعضهم البعض وتقدير علمهم سواء كانوا شيوخا أو تلاميذا ومع ما بينه ابن تيمية لتلاميذه وما انتشر عنه نجد أن بعض الفقهاء من الحنابلة والأشاعرة كان العداء مستحكما بينهم فكان كل فريق منهم يكفر الفريق الآخر^(١) مخالفين بذلك أئمتهم . فقد كان أبو الحسن الأشعري

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٣٠ .

امام الأشاعرة مقدر لأمامية وعلم أحمد بن حنبل فيقول عنه (أنه: الامام
الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال) ^(١).

وبصور لنا عبد الرحمن الشرقاوى الخلاف المذهبي في محاوره دارت بين
بعض العلماء والشيخ ابن تيمية حيث يقول ابن تيمية (الاشتغال بالخلاف
المذهبي صرف همنا الى هذا الخلاف وعكفنا على تقليد الأئمة الكبار والفنا
الجمود عند آرائهم . فاذا تكلفنا مشقة البحث عن الرأي الحق في مذهب
غير مذهب امامنا تخرجنا من اتباعه - لماذا ؟ ... لنتجمد على
مذهبنا!) ^(٢).

ويذكر ابن تيمية أن البعض يغض من قيمة الأئمة الآخرين مع أنهم
جميعا بدون تخصيص ورثة الأنبياء ، ولا أحد من الأئمة يقصد مخالفة
الكتاب والسنة في شيء دقيق ولا جليل فهم متفقون على وجوب اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم ، وكانوا جميعا يوصون تلاميذهم (اذا صح لكم حديث
يخالف قولنا فاتركوا قولنا واتبعوا الحديث) واستشهد لذلك بأبي يوسف
حين قدم المدينة ورأى أوقاف الصحابة فعدل عن رأيه في بطلان الوقف
رغم أن أبا حنيفة وأصحابه يرون ذلك لأنه حبس للمال وقيد على الإرادة ^(٣).

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ١ ص ١٥٣ .

(٢) الشرقاوى : الأهرام ص ١٣ - ٨/٩/١٩٨٢م .

(٣) ن ٢٠٠ س : ص ١٣ - ٨/٩/١٩٨٢م .

ومجوار هؤلاء العلماء كان بعض العامة يعانون من الجهل والتخلف
الشيء الكثير فلم يثقفوا العلم ولم ينهلوا من معين المعرفة فبعدوا عن
الشريعة الإسلامية الصحيحة مما ساعد على تفشي البدع والخرافات بينهم
وتفشي عادات وتقاليد ليست من الإسلام ، والتي عمل أعداؤه على نشرها
بين الناس لكي ينخروا في أساس الدولة الإسلامية ليدب فيها الفساد
والانحلال يبعدهم عن شريعة الله فيسهل عليهم القضاء عليها فقام البعض
باسم الدين يشوه معالمه فدفعوا الناس إلى الإيمان بأشياء بدعية فيها
إشراك بالله سبحانه وتعالى مثل الصخرة التي كانت بنهر قلو ط حيث كانت تزار
وينذر لها النذور ويتمكون بها لجلب النفع لهم ولدفع المضرّة عنهم (١) .

كما وجدت الطرق الصوفية الضالة الطريق مهبطاً لها لبث أفكارها
وآرائها الأحادية ، فسرعان ما التف حولها الناس بل وبعض الحكّام ،
فانتشرت في تلك الفترة بين العامة حلقات الذكر الغير صحيحة ، إذ كان فيها
الذكر بنفمة خاصة ويرقصون فيها حتى يسقطوا على الأرض ، ويتمرغوا مستغيثين
بأصحاب الأضرحة من الأولياء والصالحين ، وشاع بين الناس أن زعماء
الصوفية هؤلاء لديهم كرامات وأنهم أولياء الله فخافهم الناس ، ولم
يجسروا على نقدهم أو التعرض لهم بسوء لاعتقادهم الشديد أنهم أولياء
الله .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤ .

كما انتشرت في تلك الفترة أفكار ابن عربي^(١) بين الناس ولاقت هوى في نفوسهم فقد كان ينادى بوحدة الوجود وتغاني المخلوق في الخالق فيسقط التكليف فإذا أحب المخلوق الخالق حل فيه الخالق (نستغفر الله من هذا الشرك) فيصبح المخلوق غير مكلف بالعبادات وغيرها . . . فهجر أتباع هذا المذهب الضال العبادات وأهدروا الأعراف الخلقية وارتكبوا ما شاءوا من المعاصي بحجة حب الله .

فاستدعى هذا الوضع المتدهور أن يكون هناك طماء أفذاذ يرفضون الرضوخ لهذا الوضع وترك الناس على علاقتهم من بعد عن الشرع الاسلامي الصحيح فهبوا للدفاع عن العقيدة الاسلامية وحفظها من تشوهات الصوفية المنحرفة وما شابهها لكي يعود الناس الى الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ ابن تيمية وأصحابه فجزاهم الله عن الاسلام وأمتة خير الجزاء .

(١) صوفي معروف بمذهبه في وحدة الوجود يلقب بالشيخ الأكبر ، وهو أبو بكر محمد بن علي ابن عربي ولد بمرسيه درس الفقه والحديث بأشبيلية ثم ارتحل الى الشرق فدخل مصر والحجاز وما بين النهرين وأقام بدمشق وتوفي بها ، كان في العبادات والمعاملات ظاهريا وفي العقائد باطنيا ، تبلغ مصنفاته ٢٠٠ مصنف وأتهم بأنسه يشيع المذاهب المضلة في الاتحاد والحلول .

أنظر: شفيق غريال : الموصوعة العربية الميسرة ص ٢٢ .
ويراجع كتاب طلعت غنام : أضواء على التصوف ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

كانت هذه هي الأوضاع السائدة في المجتمع الإسلامي في عصر ابن تيمية حيث شب فيه وترعرع وعاش فكان له أثر كبير في تشكيل حياته واتجاهه حيث استفاد من العلماء والمدارس وسبل المعرفة وفق نفس الوقت يرفع لواء التجديد والإصلاح فيما خالف الشريعة الإسلامية الفراء ..

.....

الفصل الأول

ابن تيمية

• نسأله وتربيته

• تلامذته

• علاقته بالحكام والعلماء والعامة

نستألف وتریدینا

(١) نشأته وتربيته

نشأته :

هو أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية الحنبلي^(١) ، الحافظ تقى الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي الفقيه المحدث^(٢) .

ولد في عشيرة من ربيع الأول ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م في مدينة حران^(٣) ، وفي أسرة علم وفقه ، فقد كان جده مجد الدين أبو البركات فقيها حنبلياً ، واماماً مقرئاً ومحدثاً ومفسراً أصولياً نحويًا^(٤) .

- (١) يقال أن سبب التسمية بابن تيمية أن جده حج وكانت امرأته حاملاً فلما كان في تيماء (بلدة قرب تبوك) رأى جارية حسنة الوجوه خرجت من غيباء ، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية ، فلما رفعوها إليه قال : " ياتيمية يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء فسمي بها " ، أنظر : ابن عبد الهادي : الحقوق الدرية ص ٢ ، الألوסי : جلاء العينين ص ٥ ، عبد السلام هاشم حافظ : الامام ابن تيمية ص ١٠ . وذكر ابن عبد الهادي أيضاً رواية أخرى أن جده محمد كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها ص ٢٠ .
- (٢) الكتبي : فوات الوفيات ج ١ ص ٧٤ ، البغدادي : هدية العارفين ج ١ ص ١٠٥ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٨٨٢ ، كحالة : معجم المؤلفين ج ١ ص ٢٦١ ، البيطار : حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٨ ، غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٠ .
- (٣) البزار : الأعلام العلية ص ٢٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١ ص ١٤٤ ، محمد كرد علي : ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٨ (حران مدينة بين الرها والرقعة على طريق الموصل والشام والروم) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣٥ .
- (٤) الألوסי : جلاء العينين ص ٢٨ .

قال الذهبي : (قال لي شيخنا أبو العباس بن تيمية : كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول : ألين للشيخ المجد والفقہ كما ألين الحديد لدأود^(١)) ، ووالده الشيخ شهاب الدين أبي أحمد عبد الحليم بن عبد السلام نزيل دمشق ، سمع من والده وغيره ، أتقن العلوم ، ودرس وأفتى وصنف وصار شيخ البلد (في حران) بعد أبيه ، قال الذهبي عنه :

" كان اماما محققا كثير الفنون له يد طولى في الفرائض والحساب والهيئة دينا متواضعا ومن أنجم الهدى وانما اختفى من نور القمر وضوء الشمس " يشير بذلك الى اشتهار أبيه وابنه - كان للشيخ شهاب الدين كرسى بالجامع الأموي في دمشق حين انتقل اليها يلقي درسه عليه في أيام الجمع^(٢) ، وقد تفقه عليه ولداه أبو العباس وأبو محمد^(٣) ، فلا عجب أن نرى ابن تيمية قد برع في أنواع العلوم وهو قد نشأ في ظل هذه الأسرة .

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٧ ، الألويسي : جلاء العيينين ص ٢٨ ، الندوي : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٧٦ ، الألويسي : جلاء العيينين ص ٢٩ ، الندوي : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٣٥ .

(٣) شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القسم . ابن تيمية الفقيه الامام المتقن أبو محمد ولد سنة ٦٦٦ هـ بحوران قدم مع أهله الى دمشق رضيحا فسمع عن أبي اليسر ، ابن علان ابن الصرفي وغيرهم ، تفقه في المذهب حتى أفتى ورع في الفرائض والحساب وعلم الهيئة استدعى غير مرة للمناظرة فناظر وأفحم الخصوم توفي سنة ٧٢٧ هـ . أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٧٦ .

كان عصر ابن تيمية مليئاً بالقلق والفتن ، وفظائع التتروقاتهم على العالم الاسلامي حيث استطاعوا اخضاع جزئه الشرقى تحت سيطرتهم ، كما استولوا على بغداد وشمال بلاد الشام حتى وصلوا قرب حران .

وكان ابن تيمية قد بلغ من العمر سبع سنين حين أغار التترو على حران مما حدا بأسرة ابن تيمية أن تفر من حران الى دمشق بجميع ماله بها من تراث علمي فنقلت معها مكتبتها الثمينة التي كانت تعزبها ، حيث لم ترضى بمفارقتها رغم المصاعب الكثيرة التي ستلاقيها من وراء ذلك ، فحطت كتبها على مركبة ، وخرجت هاربة ليلا من حران لم يفارقها الخوف أثناء ذلك من مباغطة التترو لهم ، خاصة وأن معهم النساء والصبيان ، وزاد من مشقة الرحلة وصعوبتها أن المركبة كانت بدون دواب لعدم توفرها في تلك الأثناء ، فكانت تجرباً لأيدي وهم يتضرعون الى الله سبحانه وتعالى - مستمعين به - لكي ينجيهم من هذه الغمة ، حتى أنجاهم الله من التهلكة ووصلوا دمشق بسلام^(١) . ولنا أن نتصور مدى تقدير هذه الأسرة للعلم وحبها له لهذه الدرجة فقد كانت بطريقتها هذه ستعرض نفسها للهلاك لو استطاع التترو اللحاق بهم ، فلم يكن في الوقت متسع الا للوصول بهم بدون متاع ، فمابالنا ومعهم هذه الأثقال من الكتب التي تطلبت منهم وضعها في عربة وجرها بأنفسهم ، ولكن الله سلمهم وأيدهم بنصره .

(١) ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢ ، الاستانبولي : ابن تيمية بطل الاصلاح الديني ص ١٠ ، الندوي : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٣٦ .

ما كادت الأسرة تحط رحالها في دمشق حتى شاع خبر قدومها بين الناس ، إذ أن شهرة الأسرة العلمية قد سبقتهم إلى البلاد ، فقد كان أهل العلم عارفين من هو عبد الحليم ابن تيمية وأبوه مجد الدين أبو البركات ومدى تضلعهم في العلم ، فلم تخط سوى بضعة أيام حتى باشر الشيخ عبد الحليم التدريس ونشر العلم في الجامع الأموي ، ودار الحديث السكريه ، وصار في وضع كريم بين الطلبة وعلماء المذهب الحنبلي ، فلم تشعر الأسرة في دمشق بالفرة أو الوحشة بل باشرت حياتها كما لو كانت في حران .^(١)

في ظل دروس أبيه تربي ابن تيمية وانتهى من حفظ القرآن الكريم منذ وقت مبكر ، ودرس علوم الفقه والحديث والعربية ، وكان رغم صغر سنه يفتش مجالس العلم والوعظ عند والده ومقبة العلماء في حلقاتهم ويشاركهم في المذاكرات العلمية ، مما أدى إلى توسع عقله ونمو مداركه ، وتفتح ذهنه ، فتحدث عنه معاصروه ومؤرخوه أنه رغم صغر سنه لم يكن يتجه كالصبيان إلى الملاعب والملاهي ويضيع فيها وقته ، بل كان جل وقته يقضيه في مجالس العلم والذكر والاطلاع ، ولم يلتفت إلى ملاذ الدنيا وحوائجها فذكر لنا البزار عن شيخ ابن تيمية الذي علمه القرآن : " أن والده دفع للشيخ أربعين درهما لكي يعطيها لابن تيمية ترغيبا له في حفظ القرآن الكريم ووجهه أن يعطيه مثلها كل شهر إن استمر في الحفظ ، إلا أن ابن تيمية

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، الندوى : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٣٦ ، ٣٧ .

رفضها وقال لشيخه (ياسيدى انى عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجرا)^(١) .

قوة حافظته :

كان ابن تيمية مشهورا منذ الصغر بقوة ذاكرته وسرعة حفظه ، وقد ورث هذه النعمة عن والده وجدته حيث أنعم الله عليهم بها ، وقد فاقهم فيها ابن تيمية ، فذكر لنا تلميذه ابن عبد الهادى أن أحد شيوخ حلب قدم دمشق وسأل عنه فدلوه عليه فاختر قوة حافظته بأن ألقى عليه بضع عشرة حديثا من متون الحديث ، ثم طلب منه أن يسمعه اياها فقرأها عليه كأحسن ما يكون ، ثم طلب منه أن يمحوها وألقى عليه عدة أسانيد ثم طلب منه أن يسمعه اياها ، فأسمعه اياها كالمرة الأولى ، فقام الشيخ الحلبى وهو يقول : (لئن عاش هذا الصبى ليكون له شأن عظيم)^(٢) .

شيوخه :

تلقى الشيخ ابن تيمية العلوم المختلفة على عدة شيوخ منهم الشيخ

(١) البزار : الأعلام العلية ص ٤٤ .

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٤ ، الاستانبولى : ابن تيمية بطر
الاصلاح الدينى ص ١٠ ، ١١ .

زين الدين أحمد بن عبد الدائم^(١) ، وأبن أبي اليسر^(٢) ، والكمال بن عبد السيد^(٣) ،
والمجد بن عساكر^(٤) ، والجمال يحيى بن الصيرفي^(٥) ، والشيخ شمس الدين

(١) أبو بكر أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدس الصالح ولد سنة ٦٢٥ هـ
كان عابدا ذا كرامات متقلا جيد الفهم أصيب بالعمى وثقل السمع في أواخر
عمره ، توفي سنة ٧١٩ هـ .

أنظر : ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٢٧٠ .
(٢) مسند الشام تقى الدين أبو محمد اسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر
شاكر بن عبد الله التنوخي الدمشقي ولد سنة ٥٨٩ هـ فيه خير وعدالة
وله شعر جيد توفي سنة ٦٧٢ هـ عن ثلاث وثمانين سنة وهو من كبار
الحفاظ .

أنظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٩٠ .
(٣) الكمال بن عبد السيد أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن الفقيه
أبي البركات الخضر الحارثي الدمشقي ولد سنة ٥٨٩ هـ وتوفي سنة
٦٧٢ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٨ .
(٤) شرف الدين أبو العباس أحمد بن هبة الله بن عساكر الدمشقي
الشافعي ولد سنة ٦١٤ هـ روى الكثير ، توفي سنة ٦٩٩ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٤٥ .
(٥) المفتي جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح
ابن رافع الحراني الحنبلي ، كان أستاذا عالما متفنا صاحب عبادة
وتعبد وصفات حميدة ، توفي سنة ٦٧٨ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٣ .

(١) الحنبلى ، وأحمد ابن أبى الخير^(٢) ، والقاسم الأربلى^(٣) ، والكمال
عبد الرحيم^(٤) ، والشيخ شرف الدين المقدسى^(٥) ، وزينب بنت مكى^(٦) ،

- (١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن داود بن الياس الحنبلى ولد سنة ٥٩٨ هـ رحل فى طلب العلم ، حفظ المقنع وعرف الفرائض ، كان ذا ديانة وافرة وصدق وأمانة توفى ٦٧٩ هـ .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٤ .
- (٢) أبو العباس أحمد بن أبى الخير سلامة بن ابراهيم الدمشقى الحداد الحنبلى ولد سنة ٥٨٩ هـ ، روى الكثير كان خياطاً أضمر آخر عمره كان يحفظ القرآن الكريم ، توفى سنة ٦٧٨ هـ .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٠ .
- (٣) الأمير الأربلى العدل أبو محمد القسم بن أبى بكر ابن القسم سمع جميع صحيح مسلم ورواه ، توفى سنة ٦٨٠ هـ .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٧ .
- (٤) الكمال أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الملك بن يوسف بن محمد بن قداسة المقدسى الحنبلى الصالح سمع من ابن طبرزد وغيره ، توفى سنة ٦٨٠ هـ ، أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٦ .
- (٥) الامام الخطيب المدرس المفتى شرف الدين أبو العباس أحمد بن نعمية بن جعفر المقدسى الشافعى ولد سنة ٦٢٢ هـ سمع الكثير ، صنف وأجاد وأفاد ولى نيابة القضاء بدمشق والتدريس والخطابة بها ، أذن فى الافتاء لجماعة من العلماء الفضلاء منهم ابن تيمية وكان يفتخر بذلك ويفرح به فيقول أنا أذنت لابن تيمية بالافتاء ، كان يتقن علوم كثيرة ، توفى سنة ٦٩٤ هـ .
أنظر: ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٤١ .
- (٦) زينب بنت مكى بن على بن كامل الحرانى الشيعنة المعمرة العابدلة أم أحمد ازدحم عليها الطلبة وعاشت ٩٤ سنة توفيت سنة ٦٨٨ هـ .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٤ .

وأحمد بن شيان^(١) ، والشيخ زين الدين بن المنجا^(٢) ، والشيخ شمس الدين بن عمر^(٣) ، وأبو بكر اليهودي^(٤) ، وخلق كثير وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مئتي شيخ^(٥) ، سمع مسند الامام أحمد عدة مرات ، كما سمع كتب الحديث الصحاح الستة وأخذ الفقه والأصول عن والده ، كما تعلم العربية ورع فيها ثم أخذ كتاب سيويه فتأمله وفهمه ودرسه بنظر ناقد وعقل فاحص ولا يخفى علينا أهمية هذا الكتاب الكبيرة في النحو حتى اذا ما ذكر الكتاب عرف أنه كتاب سيويه فخالف فيه في بعض مسائله ،

-
- (١) بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيان بن تغلب بن جيدر الشيباني الصالحى المطا ثم الخياط راوى مسند الامام أحمد كان متواضعا رحمه الله ولد سنة ٥٩٦ هـ توفى سنة ٦٨٥ هـ عن تسع وثمانين سنة .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٠ .
- (٢) العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى أحد من انتهت اليه رئاسة المذهب أصولا وفروعا مع التبحر فى العربية والنظر والبحث وكثرة الصيام والصلاة ولد سنة ٦٣١ هـ درس وأفتى وناظر من تصانيفه شرح المقنع فى أربع مجلدات وتفسير كبير للقرآن الكريم توفى سنة ٦٩٥ هـ ودفن بسفوح قاسيون . أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٣٣ .
- (٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى ولد سنة ٥٩٧ هـ سمع من أبيه وعمه الشيخ موفق الدين عنى بالحديث وتفقه على يد عمه درس وأفتى وأقرأ العلم زمنا طويلاولى شيخه دار الحديث ، كان كثير ذكر الله توفى سنة ٦٨٢ هـ .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٧٦ .
- (٤) لم يذكر أبو بكر اليهودى من ضمن شيوخه سوى ابن كثير فى البداية والنهاية ج ٢٤ ص ١٣٧ ولم أجد له ترجمة .
- (٥) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٨٠ ، الألوسى : جلاء المئينين ص ٦ .

وانتقد مواضع ضعفه ، وأخذ على سيويه أخطاءه ، كما حفظ ابن تيمية كثيرا من منشور كلام العرب ومنظومه ، ودرس أحوال العرب في الجاهلية كما اعتنى بدراسة تاريخ الاسلام ودولته .^(١)

كذلك أقبل على تفسير القرآن الكريم هرز فيه فقال ابن الوردي " وأما التفسير فسلم اليه ، وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير أو الفقه أو..... نحو من أربعة كراريس ^(٢) ، وتعلم الخط والحساب ^(٣) والعلوم الرياضية كالجبر - ونظر في الكلام والفلسفة هرز في هذه العلوم على أهلها ورد على رؤسائهم وأكابرهم .^(٤)

نشاطه العلمي :

تأهل ابن تيمية للفتوى والتدريس وهو دون العشرين ^(٥) ، وقد أمدّه الله بقوة الذاكرة والحفظ وطء النسيان وسرعة استحضار الآيات والأحاديث للاستدلال ، حتى قال غير واحد أنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه ، وتضلع

-
- (١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٨٠ ، الندوي : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٣٩٠ .
- (٢) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٤٠٩ ، الألوسي : جلاء العيين ص ١٠ .
- (٣) ابن عبد الهادي : المقود الدريه ص ٣ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٤٠٨ .
- (٤) الألوسي : جلاء العيين ص ٦ .
- (٥) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٨١ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٤٠٨ ، الألوسي : جلاء العيين ص ٦ .

بعلم الحديث وحفظه فقالوا : (ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس
(١)
بحديث) .

توفي والده وهو ابن احدى وعشرون سنة ، فقام بوظائفه من بعده
مدة ، فدرس بدار الحديث السكرية ٦٨٣ هـ ، وحضر عنده مجموعة من
العلماء والقضاة ، منهم الشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية ،
وابن المرحل ، وابن المنجا ، وغيرهم من كبار العلماء ، فذكر ابن
تيمية درسا عظيما في البسطة بهر الحاضرين به ، فأثنوا عليه جميعا ، وكان
الشيخ تاج الدين الفزاري يحب ابن تيمية وشديد التعظيم والاكرام له ،
وقد أعجب بدرسه هذا كثيرا فعلق بخطه على درسه هذا .
(٢)
(٣)
(٤)
(٥)

-
- (١) ابن الوردى : تتمة المختصر ج ٤ ص ٤٠٩ ، ابن العماد : شذرات
الذهب ج ٦ ص ٨١ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٦ .
- (٢) عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الدين أبو محمد الفزاري الامام العلامة
العالم ، تولى التدريس في المدرسة البادية بمشق واجتمعت فيه
فنون كثيرة من العلوم النافعة والأخلاق اللطيفة وفصاحة المنطق وحسن
التأليف وعلو الهمة ، له كتاب الأقليد ولد سنة ٦٣٠ هـ وتوفي سنة ٦٩٠ هـ .
أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٥ .
- (٣) عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن المرحل سمع الحديث
هرع في الفقه وفي علوم شتى منها علم الهيئة وله فيه مصنف درس وأفستي
وتولى خطابه بمشق ، توفي سنة ٦٩١ هـ .
أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٥ .
- (٤) هو الشيخ زين الدين ابن المنجا ، وقد تقدمت ترجمته .
- (٥) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٨١ ، ابن كثير : البداية
والنهاية ج ١٣ ص ٣٠٣ .

واصل ابن تيمية خط والده فكان يجلس في كل يوم جمعة بالجامع ، في نفس مكان والده لتفسير القرآن الكريم ، فكان يورد في المجلس في تفسير القرآن العظيم نحو كراسين أو أكثر من حفظه بدون سابق تحضير^(١) . قال البزار: " كان اذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقض المجلس بجملته والدرس بزمه وهو في تفسير بعض آية منها"^(٢).

كان رحمه الله قد جعل من وقته فترة معينة تقدر بربع النهار لشرح القرآن الكريم ، بدون أن يكون هناك سابق تحضير لما يريد أن يلقيه فقد كان يدع من حضر يقرأ ما تيسر له ، ثم يشرع هو في تفسيره وكان غالباً ما ينهي درسه لمصلحة السامعين ، فانه كان يفهمهم أنه لولا مضي الزمن المعتاد لزادهم في الشرح والتفسير^(٣) . وكان ذلك من كريم خصاله فلم يكن يريد أن يضيق على الحاضرين ويخرجهم باستيقائهم أكثر من الوقت المعتاد حرصاً على أشغالهم.

كان مجلسه يضم كثيراً من طلاب العلم فيفترون من بحره الواسع لكثرة علمه وتبحره الواسع في شتى المجالات ويصف لنا ابن كثير حالة مجالسته فيقول : " كان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير ، من كثرة ما يورد من العلوم المتنوعة المحررة ، مع الديانة والزهادة والعبادة ، سارت بذكره

(١) ابن الصمد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٨١ ، ابن كثير : البداية والنهاية

(٢) البزار : الأعلام ٣ ص ١٣ .
العلية ص ٢٣ .

(٣) ن ٢٠٠ ص : ص ٢٣ .

الركبان في سائر الأقاليم والبلدان^(١) .

حدث في دمشق سنة ٦٩٣ هـ ما أجهج عاطفة ابن تيمية الايمانية وأثار حميته الدينية بشكل عملي حيث قام رجل في دمشق اسمه عساف النصراني يشتم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد شهد عليه جماعة من الناس بذلك فتوجه الشيخ ابن تيمية مع الشيخ زين الدين الفارقي^(٢) شيخ دار الحديث ، فدخلا على الأمير عز الدين أيك الحموي وقصا عليه الحكاية فطلب النصراني وعقد له مجلس بحضور الشهود ، ثم أسلم النصراني وانتهت المسألة^(٤) فألف ابن تيمية في هذه الحادثة كتابه المشهور " الصارم المسلول

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠٣ .
- (٢) عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فهر بن الحسن أبو محمد الفارقي شيخ الشافعية ولد سنة ٦٣٣ هـ سمع كثيرا من الحديث اشتغل ودرس بعدة مدارس ، وأفتى لمدة طويلة ، كانت له همة وشهامة وصرامة ، عمر دار الحديث بعد خرابها أيام قازان وقد باشرها النووي ٢٧ سنة كانت معه الشامية البرانيه وخطابة الجامع الأموي لمدة ٩ شهور توفي سنة ٧٠٣ هـ .
- أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٠ .
- (٣) تولى نيابة دمشق مدة ثم عزل عنها الى صرخد ثم انتقل الى نيابة حمص ، توفي سنة ٧٠٣ هـ .
- أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٠ .
- (٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، محمد العدوي مجلة هذه سبيل ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

على شاتم الرسول^(١) .

توفي الشيخ أبو البركات ابن المنجا شيخ المدرسة الحنبلية بدمشق سنة ٦٩٥ هـ فخلفه الشيخ ابن تيمية^(٢) فيها فجمع بذلك شياخة المدرسة الحنبلية والدروس التي خلف فيها والده رحمه الله .

استمر ابن تيمية بالدروس والتدريس في دمشق وكان اقبال الناس عليه كبيرا سواء من الخاصة أو العامة وأصبحت مجالس علمه تطبق شهرتها الافاق حتى أن طلاب العلم كانوا يقدمون عليه من خارج دمشق ليسألوه ويستفتوه ، كما حدث حين قدم عليه سنة ٦٩٨ هـ بعض أهل حماه ووجهوا استفتاءً اليه يسألونه فيه عن تحقيق العلماء في الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه في هذه الآيات : (الرحمن على العرش استوى) ، (ثم استوى الى السماء) وما أشبهها كذلك حديث (ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن) وغيره من الأحاديث ، فأجابهم الشيخ بتفصيل كبير وایضاح واف تحدث فيه عن مذهب السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين

(١) رتب ابن تيمية هذا الكتاب على أربعة مسائل :

- ١ - أن الساب يقتل سواء كان مسلماً أو كافراً ..
- ٢ - يتعين قتله وان كان ذمياً فلا يجوز المن عليه ولا مقاداة .
- ٣ - في حكمه اذا تاب .
- ٤ - في بيان السب والفرق بينه وبين الكفر . أنظر : ابن تيمية :

الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٤٤ .

والعلماء والمتكلمين المتقدمين (أمثال أبي الحسن الأشعري^(١)) وغيره مستدلاً بأقوال هؤلاء ومؤلفاتهم مما يدل على مدى معرفته وعلمه بالمذاهب والمساوئ الفكرية .

وكان يرى ابن تيمية أن الإيمان بصفات الله تعالى من واجبات الدين مع الاعتراف بحقيقتها التي تتفق مع جلال الله تبارك وتعالى ، ويجدر بذاته العلية وليس كمثله شيء مع التنزه الكامل عن كل تشبيه أو تجسيم وكل نفي وتعطيل أنه لا يقيس صفات الله عز وجل على صفات الخلق ، وفي نفس الوقت لا ينكرها ولا ينفىها من شدة المبالاة والافراط في تنزيه الله تعالى ، ولا يؤولها تأويلاً يبعدها عن الحقيقة ويتركها مجرد كناية ومجاز ، بل يرى أن الله سبحانه وتعالى يستوى على العرش استواء يليق بجلاله وأنه يملك يدين ورجلين وسمعا ومصرأولكن ليس كأيدينا ولا كسمعننا ولا كبصرنا بل (ليس كمثله شيء) . أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له

(١) علي بن اسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ، تزوجت أمه بعد وفاة أبيه بأبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره فترى في حجره وصار نائبه وأمين سره وظل على ذلك أربعين سنة إلى أن أراد الله له الرجوع إلى دين الحق والصواب فخرج إلى الجامع وقال : أنا تائب عن معتقد المعتزلة راد عليهم مخرج لفظائهم ومعائبهم أنظر :

الندوى : رجال الفكر والدعوة في الإسلام ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

كفوا أحد، وألف في ذلك ما يعرفه بالسألة الحموية تكلم فيها عن آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك مع الشرح وابدأ رأيي في هذا الموضوع .^(١)

كان للشيخ ابن تيمية حاسدون وحاقدون دسوا عليه في هذا الموضوع ليتمكنوا من النيل منه ، فدسوا له عند القاضي جلال الدين الحنفى فوافقهم وأرسل الى ابن تيمية يأمره بالحضور فلم يحضر مما سبب غضب القاضي عليه الا أن الأمير سيف الدين جاغان^(٢) وكان محبا له انتصر له وتشدد في معرفة الذين سمعوا في الشيخ فمرف أكثرهم فعزهم فهدأت الأحوال قليلا واستطاع الشيخ ابن تيمية أن يواصل دروسه فجلس على عادته يوم الجمعة مفسرا لقوله تعالى : " وانك لعلو خلق عظيم " .^(٣)

فذكر الحلم وما ينبغي استعماله وتأثيره في الناس ، فأقبل عليه الناس من العامة والخاصة من العلماء ينهلون من علومه ومعارفه^(٤) فيذكر لنا أحد هؤلاء العلماء عن مجالس علمه في دمشق فيقول : (وأما ذكر دروسه فقد كنت في حال اقامتي بدمشق لا أفوتها ، وكان لا يهين شيئا من

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) سيف الدين جاغان ولي نيابة دمشق كان فيه خير ودين ، توفي بأرض البلقاء في أول الكهولة سنة ٦٩٩ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٤٦ .

(٣) سورة القلم ، آية (٤) .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤ ، ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

العلم ليلقيه ويورده بل يجلس بعد أن يصلّى ركعتين فيحمد الله ويشئني عليه ويصلّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يشرع فيفتح الله عليه بآيات وأحاديث وأقوال العلماء ونقد بعضها وتهيين صحتة أو تزييف بعضها وإيضاح حجته ، وهو مع ذلك يجرى كما يجرى السيل (١) .

رغم غزارة علم ابن تيمية وكثرة اقبال الناس والعلماء على دروسه إلا أنه كان يفتش بنفسه مجالس العلم والعلماء رغبة منه في الاستزادة من المعلومات والاستفادة من علم الآخرين .

... ..

(١) البزار : الأعلام العلية ص ٢٨ ، ٢٩ .

تلازمة

(٢) تلامذته

لقد تخرج على يد الشيخ ابن تيمية علماء أفذاذ واصلوا طريقه
وكانت لهم مواقف حميدة في الدفاع عن الاسلام، من أمثال هؤلاء :

١ - الامام ابن قيم الجوزية :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الامام
شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قسيم
الجوزية ، ولد رحمه الله سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ . ^(١) برع
في علوم كثيرة من تفسير وفقه ونحو وحديث وفي علم الأصول والفسر
وفي علم الكلام ، شهد له علماء كثيرون بهذا ، حتى قال عنه
ابن العماد : " الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي
والأصولي المتكلم " ^(٢) .

قال عنه البغدادى : " ولا رأيت أوسع منه علما ولا أعرف بممانى
القرآن والسنة وحقائق الايمان منه ، وليس هو المعصوم ولكن لم
أر فى معناه مثله " ^(٣) .

-
- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٤٩ ، الألوسى : جلاء
العينين ص ٣٠ ، البغدادى : هداية العارفين ج ٢ ص ١٥٨ ، كحالة
: معجم المؤلفين ج ٩ ص ١٠٦ .
- (٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٦٨ .
- (٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٤٤٨ .

لقى ابن القيم مثل أستاذة كثيرا من الأئمة ، فحبس عدة مرات وأُوفِيَ بسبب سيره على خط شيخه ، فقد أنكر شد الرحال إلى قبر الخليل عليه السلام فحبس لذلك ، كما حبس مع الشيخ ابن تيمية في المرة الأخيرة بالقلعة ووضع في مكان منفرد ، ومضى فمضى السجن إلى أن مات الشيخ فأُفرج عنه .^(١)

كان رحمه الله يستغل جميع أوقاته في الاستزادة من العلم ، فكان طوال أيامه مشغولا بتلاوة القرآن الكريم والتدبر في معانيه ، والتفكير في آياته ، ففتح الله عليه أبواب علوم كثيرة .^(٢)

كان لبراعته في العلوم الشرعية أن تصدى للاقراء والافتاء سنين طويلة ، حتى ذاع صيته وانتفع به كثير من الناس وأفتى كثيرا من الفتاوى وألف الكثير في شتى أنواع العلوم ،^(٣) منها تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته ، سفر الهجرتين ، مراحل السائرين ، الكم الطيب ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، وغيره من الكتب .^(٤)

-
- (١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٤٤٨ ، ابن المصنف : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٦٨ .
- (٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤٤٨ .
- (٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤٤٩ ، ابن تيمية : النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٤٩ .
- (٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤٤٩ .

٢ - الحافظ الذهبي :

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز التركماني الذهبي ، كان أحد أربعة حفاظ ذلك العصر ، وهم المزى - البرازالي - الذهبي - السبكي (تقى الدين) . ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ .^(١)

أخذ العلم من عدة شيوخ ، منهم هبة الله بن عساكر ، والشيخ ابن دقيق العيد ، وغيرهم ، برع رحمه الله في التفسير والحديث والتاريخ ورجالهم ، وكان شيخ الجرح والتعديل ، قال عنه السبكي : " رجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها " .^(٢)

ذاع صيته في البلاد ، حتى أصبح محل طلاب العلوم ، وتخرج على يديه كثير من العلماء ، منهم السبكي صاحب طبقات الشافعية حيث قال : " وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة وأدخلنا في عداد الجماعة " .^(٣)

وقال عنه الكتبي : " الامام العلامة حافظ لا يجارى أتقن الحديث ورجاله وكان عالما بتراجم الناس " .^(٤)

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٥٣ ، الألبوسى : جلاء العينين

ص ٣٢٠ السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢١٦ .

(٣) ن . م . س : ج ٥ ص ٢١٦ .

(٤) الكتبي : فوات الوفيات ج ٣ ص ٣١٥ .

له التصانيف الكثيرة منها تاريخ الاسلام الكبير في ٢١ مجلدا ومختصره في عدة مجلدات ، ومختصر العبر في خبر من غير ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ، المغني في الضعفاء ، طبقات الحفاظ ، التجريد في أسماء الصحابة ، مختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وغيره من الكتب القيمة .^(١)

٣ - الحافظ ابن كثير :

الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٧٠٠ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ^(٢) كان رحمه الله قليل النسيان ، كثير الاستحضار ، فأفاده ذلك فسي سرعة التعلم ، حتى ألف في صفحه كتاب (أحكام التنبيه) وقد برع في علم التفسير ، والحديث والتاريخ وألف فيهما الكتب الكثيرة ، أفق وحديث حتى طارت شهرته في الآفاق ، قال عنه الذهبي :
" هو الامام المحدث البار " .^(٣)

تتلمذ على ابن تيمية وكان محبا له متبعها لكثير من آرائه وفتاويه مثل مسألة الطلاق حتى أنه أودى بسبب ذلك . له كثير من التصانيف في شتى العلوم مثل تفسيره للقرآن وكتابه (البدايات

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢١٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٥٥ ، الألويسي : جلاء العينين ص ٣٣ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٣١ ، الألويسي : جلاء العينين ص ٣٤ .
(٣) الألويسي : جلاء العينين ص ٣٤ .

والنهاية في التاريخ) ، ومختصر تهذيب الكمال وغيره (١) .

٤ - الحافظ ابن عبد الهادي :

هو الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الصالح الفقيه الحنبلي (٢) .

كان فقيها ومحدثا عني بالحديث وفنونه ورجاله ، تفقه فسي المذهب الحنبلي حتى أخذ يفتي فيه ، تتلمذ على يد علماء أفذاذ منهم أبو بكر بن عبد الدائم والشيخ تقي الدين ابن تيمية ولازمه مدة كما لازم الحافظ المزني وأخذ عنه علم الرجال كما أخذ من الذهبي وغيرهم كان محبا للشيخ ابن تيمية كثيرا نلاحظ ذلك من خلال كتابه الذي ألفه في ترجمة الشيخ ابن تيمية وهو المسمى العقود الدرية في مناقب ابن تيمية حتى أننا نلاحظ أثر محبته فلم يورد مثالب لابن تيمية بل يشتمل الكتاب على مناقب ابن تيمية فقط .

له تصانيف كثيرة منها الصارم الجكي في الرد على ابن السبكي وكتاب تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي ، المحرر في الأحكام ، العمدة وغيره .

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٣١ ، الألويسي : جلائ

(٢) العيني ص ٣٤ : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٤٣٦ .

ولد سنة ٧٠٥ هـ وتوفي سنة ٧٤٤ هـ ودفن بسفح قاسيون
رحمه الله .^(١)

٥ - الشيخة فاطمة بنت عباس :

الشيخة الصالحة العابدة الناسكة أم زينب فاطمة بنت عباس
ابن أبي الفتح بن محمد البغدادي ، كانت من العالمات الفاضلات
ومن تلامذة الشيخ ابن تيمية ، كانت تحضر مجالسه وتستفيد منه
واذا أشكل عليها أمر تسأل الشيخ وتلح عليه في ذلك ، وكانت
سريعة الفهم ، وتستحضر كثيرا من المفني ، كان الشيخ ابن تيمية
يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم . .

وانه كان يستعد لها من كثرة سائلها ، وحسن سؤالها ،
وكانت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، وتقوم على الأحمدية مظهرة
لبدعهم ومنكراتهم في مؤاخذاتهم للنساء والمردان ، وأنكرت أحوالهم
وحيلهم ، كما قامت على بقية أهل البدع والمنكرات ، وفعلت من
ذلك ما لا يقدر عليه كثير من الرجال ، كما قامت بتحفيظ النساء
القرآن الكريم .

توفيت سنة ٧١٤ هـ بظاهر القاهرة .^(٢)

.. ..

-
- (١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٤٣٩ ، ابن العماد :
شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤١ ، الألوסי : جلاء العينين ص ٣٤ ، ٣٥ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧٢ .

علاقته بالحكام والعلماء
والعامة

(٣) علاقة ابن تيمية بالحكام والعلماء والعامة

” لا يخشى رجلٌ غيرَ الله الا لمرضٍ في قلبه ” عبارة كانت محفورة في قلب الشيخ ابن تيمية تسير معه أينما اتجه أو ارتحل تنير له الطريق ، وتسير به نحو الايمان الكامل فلا خوف من أحد أيا كان سلطانا أو حاكما أو قاضيا فما دونهم في سبيل قول الحق ، فلو اجتمعوا جميعا لأيدائهم فان الله يردهم عنه ولن يصيبه منهم شيء متمثلا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : ” وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ” (١) . لذلك لم يكن يخاف ابن تيمية في الحق لومة لائم فكان اذا رأى منكرا سارع بتغييره كائنا من كان صاحبه ما جعل له كثيرا من الحساد والأعداء بالاضافة الى المحبين لدينه وعلمه وشجاعته ، ولم يكن ابن تيمية يمتاز عن أقرانه من العلماء بالعلم فقط وانما امتاز عنهم بالجرأة والصراحة في ابداء آرائه وفتاواه وفي انكار البدع والخرافات ومهاجمة المتصوفين الدخلاء . مما أثار ضده كل من لم يوافق في ذلك ، كما أعجب به كثيرون ووقفوا بجانبه ، ومن هنا كان تعرضه

(١) نص الحديث عن أبي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ” كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : (يا غلام أنسى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، وان استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) - رواه الترمذی ، وقال حديث حسن صحيح ، نقلا عن كتاب شرح الأربعين حديث النووية للإمام ابن دقيق العيد ص ٥٥ .

لغضب الحكام، وحققت خصومه من بعض العلماء ومن العامة الذين كانت تثيرهم مواقف العلماء ضده ومحاولة بعض الحكام الضرب على يده .

منزلة الشيخ بين الحكام :

كان الشيخ ابن تيمية على علاقة حسنة مع الحكام الذين يقدرون العلم والدين فلم يستطع المفرضون أن يوغروا صدور الأمراء عليه بل على العكس نجدهم يسارعون لنجدته ويضربون بيد من حديد على المفرضين^(١) والواشين .

أما بعض الأمراء الذين لا هم لهم سوى الحكم مع قلة العلم والمعرفة فقد وجد أصحاب النفوس المريضة من أعداء الشيخ الطريق إلى نفوسهم لتنفيذ مآربهم وخططهم فنال الشيخ منهم الأذى عدة مرات .

ومن أمثال محبيه :

١ - الأمير سيف الدين جاغان :

من أمراء دمشق كان على درجة كبيرة من الديانة والخير ، يعرف لابن تيمية قدره وكان معجبا به يحاول جهده دفع الأذى عنه وعن أصحابه ، وحين وقعت للشيخ ابن تيمية المحنة سنة ٦٩٨ هـ ،

(١) مثل انتصار الأمير سيف الدين جاغان لابن تيمية ضد خصومه سنة ٦٩٨ هـ ، كما مر معنا في الصفحات السابقة .

حيث آذاه بعض العامة ، كما ألقى بعض أصحابه وتلامذته ففى السجون ، انتصر له هذا الأمير ودفع عنهم الأذى ، وشد ففى عقاب المتسببين فى ذلك وعزر جماعة منهم ^(١) .

٢ - الأمير جمال الدين آقوش الأقرم :

كان نائبا فى الكرك ثم تنقل بين مصر والشام الى أن استقر بنبابة دمشق .

كان يكن للشيخ ابن تيمية محبة عظيمة ويحاول جهده أن يبعد الأذى عنه فحين طلب الشيخ ابن تيمية الى مصر سنة ٧٠٥ هـ توقع الأقرم حدوث الشر له فأشار عليه بعدم الذهاب على أن يرأسل هو السلطان ويحاول اصلاح القضايا بينهما ، ورغم علمه بشدة المهمة التى سيواجهها الا أنه لم يبال بذلك ما دام فيها حماية ابن تيمية ^(٢) .

٣ - الأمير سلا ر :

من الأمراء الماليك ، كان نائبا فى مصر وشريكا لبيبرس الجاشنكير فى الحكم ^(٣) ، وكان كثير المحبة للشيخ ، استضافه فى منزله

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٠١ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٨ .

(٣) كان الأميران سلا ر والجاشنكير بيدهم مقاليد الأمور فى عهد السلطان الناصر فى فترة حكمه الثانية ثم حين خلع نفسه واتجه الى الكرك تسلطن الجاشنكير وأشرك معه سلا ر .

أنظر: ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢٣٢ - ٢٣٦ .

بعد خروجه من السجن سنة ٧٠٥ هـ ، ورغب في اقامته في مصر
ليستفيد أهلها من علمه ودينه بدلا من ذهابه الى الشام ^(١) ، وكان
يحاول بقدر استطاعته حماية الشيخ من غضب أعدائه وخصوصا
وتخفيف وطأة السجن عليه ، وحين استشاره بييرس الجاشنكير في
اصدار أمر بقتل ابن تيمية بعد فتواه بمنع الاستغاثة برسول الله
صلى الله عليه وسلم وغيرها من الفتاوى التي لم تناسب حاسديــه
رفض سائر هذا القرار ودافع عن الشيخ ابن تيمية الى أن جعل
الحكم السجن فقط لحمايته من كيد أعدائه ومؤامراتهم ^(٢).

علاقة ابن تيمية بالسلطان محمد الناصر :

في بداية سلطنة الناصر لم يكن له رأى أو تصرف في الحكم لصغر سنه
فقد كان له الأهم فقط فلم يكن يستطيع الدفاع عن ابن تيمية ، أو غيره
أو حتى عن نفسه لتسلط الأمراء عليه واستئثارهم بالسلطنة ونسبه ،
لذلك كان يراقب الأحوال والأوضاع من بعيد ، تطل من عينه نظرات
الحزن والأسى على ابن تيمية وهو ملقى في السجن ، لذلك ما أن عاد
الى السلطنة للمرة الثالثة ^(٣) ، واستقر في الحكم حتى كان أول أمر أصدره
الأفراج عن الشيخ واحضاره من سجن الاسكندرية واكرامه ، وقد بلغ من
محبه للشيخ وتعظيمه له أنه كان جالسا في مجلس الحكم والقضاة والأعيان

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤٥ .
(٢) الشرقاوى : الأهرام ص ١٣ - ٨/٩/١٩٨٢ م .
(٣) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٢٣٩ .

محيطون به فاذا به ينهض واقفا لاستقبال الشيخ واحتضانه ثم يأخذه الى الشرفه ويستفتيه في قتل أعداءه من العلماء ثم يعود به الى مجلسه ويجلسه بين يديه ويثنى عليه أمام خصومه ثناء كثيرا مما زادهم غيظا وكدا (١).

لقد بلغ من كثرة محبة السلطان للشيخ واجلاله أنه كان يقبل يده وحين حاول ابن تيمية سحبها منه قال له : " ان لم نقبل يدك نقبل يد من؟ وأنا لم أقبل يد أحد سواك وابن دقيق العيد رحمه الله " (٢) وكان اذا انقطع عنه ابن تيمية يرسل له السلطان يستدعيه اليه يطلب منه النصيحة فيقدمها له ، وينكر كثيرا من المنكرات التي أحدثها الناس في أمر السلطان بالعمل بما أشار عليه ابن تيمية (٣) ، لدرجة أن السلطان عزل والي دمشق بإشارة ابن تيمية حين بلغه استبداده بأهل دمشق وانتزاعه الأموال الكثيرة منهم ، وتنكيله بالعلماء الأفاضل حين نصحوه بالعدل (٤).

(١) ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢٧٩ - ٢٨١ ، ابن كثير :

البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) الشرقاوي : الأهرام ، مقالة ص ١٣ - ٤٢ / ٩ / ١٨٢٦ م .

(٣) ن . م . س : ومن المنكرات التي ذكرها الشيخ للسلطان زهاب

النساء الى العرافين لكتابة الأحجية لاستبقاء حب الأزواج وليرزقن بالأولاد وهذا شرك بالله تعالى وزهاب للأموال والأعراض ، فقد كان بعض العرافين رجالا يتزينون بزي نساء فيفسقوا في بعض الأحيان بمن تأتيهن . كذلك خروج النساء الى الأسواق متبرجات وزيارتهن للقبور مما يفرى من في قلبه مرض .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٦٢ .

كان لهذه المكانة التي وصل اليها ابن تيمية لدى السلطان الناصر أن تألب عليه خصومه وزاد حسدهم له ، فقد صار له مكانة كبيرة لدى السلطان لدرجة أنه يعزل ويولي الولاية والقضاة ، فإذا سيفعل بهم السلطان لو شكاهم اليه ابن تيمية ^(١) ، فما عليهم الا أن يسيئوا العلاقة بينهما ، ويحاولوا ابعاد الشيخ ابن تيمية عنه ، فكذبوا عليه وأوغسروا صدر السلطان ضده ، متهمين الشيخ بأنه يريد سلب الملك من السلطان ، مستدلين بجذبه لقلوب العامة ، ومحبتهم والتفافهم حوله ، فأحضر السلطان ابن تيمية وسأله عن مدى صحة هذا الخبر ، فلم يكثر ابن تيمية لهذا الكلام وأجابه بكل هدوء واطمئنان وثقة بالنفس ورفع صوته لسمع خصومه فقال : " أنا أفعل ذلك والله ان ملكك وملك المفلول لا يساوى عندي فلسين " فضحك السلطان كثيرا وصدقته ، لنزاهته وترفعه عن المناصب ، فلم يلب للسلطة عملا أو أخذ منهم أجرا ، وكذب الواشيين وردهم بغيظهم لم ينالوا من الشيخ شيئا ^(٢) ، ولولا المحبة العميقة التي يكنها السلطان للشيخ لأهلكه بكثرة ما يسعى ضده المفرضون ، ممن أقاويل زورا ومهتان ينسبونها اليه .

فكر خصوم ابن تيمية في طريقة جديدة يستطيعون بها أن يدسوا ضده لدى السلطان ، بحيث يبعده عنه ابعادا كليا ، فبحثوا ونقبوا

(١) الشرقاوي : الأهرام ، مقالة ص ١٣ ، ١٩٨٢/٩/٢٢ م
(٢) البزار : الأعلام العملية ص ٦٥ ، ٦٦ ، البيطار : حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٥ .

طويلا الى أن عثروا للشيخ على فتوى قديمة أخذوها وذهبوا بها الى السلطان وهم فرحون فقد نجحوا هذه المرة في الكيد له لأن ابن تيمية هذه المرة قد مس اعتقاد السلطان ، وهو متمسك برأيه مهما حاول ابن تيمية اقناعه بعكس ذلك ، وابن تيمية كان يعرفه خصومه لا يمكن أن يتنازل عن رأيه ارضا لخاطر السلطان طالما أنه على الحق والصواب ، فكان ان وجدوا له فتوى كان قد أصدرها بمنع الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم بشخصه وان هذا شرك صريح بالله سبحانه وتعالى ، فيجوز الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم والتوسل بدعائه وشفاعته يوم القيامة لا بذاته ، مستدلا بما حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تشفع بسيدنا العباس فلو كان يجوز التشفع بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لما تركه عمر الى العباس^(١) ، كذلك رأى ابن تيمية في مسألة السفر لزيارة قبره الشريف عليه الصلاة والسلام مقية قبور الأنبياء عليهم السلام والصالحين حيث منع ابن تيمية شد الرحال لزيارة القبور^(٢) .

أصدر السلطان مرسوما باعتقال الشيخ ، ووضعوه في قلعة دمشق ومنعه من الفتوى وملاحقة أصحابه وتلاميذه وتعزيرهم ، وذلك في سنة

(١) ابن تيمية : التوسل والوسيلة ص ٦٤ ودعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاستسقاء المشهور قوله (اللهم انا كنا اذا أجد بنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعمر نبينا) .

(٢) ان رأى ابن تيمية أن زيارة القبور للدعاء والشفاعة من الميت كما كان متفشيا بين العامة في ذلك الوقت ، مدعاة للكفر بالله وطريق لا تخاذ القبور أو ثانا تعبد من دون الله بينما رأى أن زيارتها للدعاء للميت والاستغفار له فهو جائز .

وللاستزادة في هذا الموضوع نرجو مراجعة كتاب ابن تيمية التوسل والوسيلة ص ٢٣ - ٣٠ . الخ .

٧٢٦ هـ وظل الشيخ ابن تيمية في سجن القلعة الى أن انتقل الى رحمة
الله (١).

خصوم الشيخ :

كان الأمير بيبرس الجاشنكير يكن العداوة والكراهية للشيخ ابن تيمية وحين ارتقى الى السلطة لاقى منه ابن تيمية الأمرين بتحريض من شيخ الأمير بيبرس الجاشنكير الشيخ نصر بن المنبجي ، الذي كان أشيرا لديه ولا يرفض له طلب ، فسجن الشيخ عدة مرات (٢) ، كان في أحداها سيصدر أمر بقتل الشيخ ، فدافع الأمير سار عنه فحماه الله ودفع عنه الأذى ، كما كان الجاشنكير يكره ابن تيمية لمحاربتة للصوفية الذين يدعون أن الانسان مسير لا مخير حيث شجعهم الحكام في ذلك ، ان لاقى هوى في نفوسهم فبذلك يستطيعون التحكم في الشعب ، فيما أنهم مسيرون اذا فليقبلوا تحكم السلاطين المستبدين فهذه ارادة الله لا خيار لهم فيها فأخذ ابن تيمية يحارب هذا الفكر ومدعيه ، الى أن تنبه كثير من أتباع الصوفية فانشقوا على أنفسهم ورجع بعضهم الى طريق الحق والصواب (٣) ، فأيد الله سبحانه وتعالى عبده ابن تيمية ومكنه ودحر عدوه وأزال سلطانه (٤).

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٢٣ .
(٢) ل. م. س. : ج ١٤ ص ٤٩ - ٥٠ .
(٣) الشرقاوي : الأهرام ، ص ١٣ ، ٨/٩/١٩٨٢ م .
(٤) وذلك بعودة السلطان الناصر للحكم وقتله بيبرس الجاشنكير والافراج عن ابن تيمية ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥١ - ٥٢ .

كان لابن تيمية خصوم من العلماء الكبار يكيدون له في الخفاء ويعادونه ، بينما كان آخرون يؤيدونه ويدافعون عنه ، فأما خصومه فلم ينالوا منه وانتصر عليهم بوقوف كثير من الحكام الى جانبه ، وحين قويت شوكة ابن تيمية لم يعامل خصومه بمثل ما عايطوه به انما صفح عنهم وبرهن لهم على أن قلوب العلماء لا تحمل ضغينة لأحد انما تحمل النصح والصفح والمعاملة باحسان .

خصوم ابن تيمية من العلماء :

١ - المنبجي :

الامام القدوة العابد أبو الفتح نصر بن سليمان المنبجي المقرئ كانت له سيره حسنة ومحاسن كثيرة ، وكان محبا للعزلة بزاويته بالحسينية ، فكان يتردد عليه فيها الكبراء والأعيان والجند لزيارته ولا ستفتائه في شتى الأمور ، وكانت له محبة لمحي الدين بن عربي ومناصرة له ، تولى وزارة الأعيان بمصر وكانت له منزلة كبيرة لدى بيبرس الجاشنكير فكان لا يرفض له طلبا ، كان يناصر ابن تيمية العداء لرأيه في ابن عربي حيث أرسل ابن تيمية للمنبجي رسالة يكرر فيها ابن عربي (١) .

(١) عبد الرحمن بدوي : تاريخ التصوف الاسلامي ص ٧٨ .

ولموقف ابن تيمية من غلاة الصوفية ، قدس له عند الجاشنكير حيث سجنه عدة مرات ، الا أن ابن تيمية لم يعامله بالمثل لأن ذلك ليس من أخلاقه ، فحين زالت دولة الجاشنكير ، وأفرج السلطان الناصر عن ابن تيمية ، ذهب اليه المنبجي وطلب منه أن يشفع له لدى السلطان وأنه سيجي لابن تيمية جميع ما يطلبه منه ، حتى رأيته في ابن عربي سيوافقه فيه ، فقال له : " وأنا والله لن أخالفك أبدا ، وحتى رأيك في شيخنا ابن عربي أقسم بالله أن أسكت عنه ولن أفكر فيه " (١) .

أهي المساومة يطلبها المنبجي من ابن تيمية يتنازل فيها عن مبادئه وآرائه لمن كان سابقا بين يديه يفعل به كما يحلولة ، اذا فقد آن الأوان لكي ينتصر ابن تيمية لنفسه ويذيق خصمه بعض ما لاقى في سبيل الدعوة الى الله ، الا أن ابن تيمية لن يسادر بالانتقام وهو القائل أنا لا أنتصر لنفسي ، فهو وان ألقوه في السجون فهو شاكر لهم لأنه فهم أنهم لم يؤذوه بل بالعكس قدموا له فرصة عظيمة ، كان يرى أن الله من بها عليه للاستزادة من كتابه الكريم ، حيث كان كثيرا ما يتلو القرآن العظيم ويدون تفسير بعض الايات القرآنية ، فلم يعامل ابن تيمية خصومه بالمثل بل سامحهم ، وفعل أكثر من ذلك وما زال بالسلطان الى أن غفى عنهم .

(١) الشرقاوى : الأهرام ص ١٣ ، ٢٢/٩/١٩٨٢ م .

وقد أثبت ابن تيمية بمغفوه ودفاعه عن خصومه عن ايمان قوى وأخلاق حميدة وترفع عن الثأر والحق لم تتوفر في خصومه .

وتوفي المنبجى رحمه الله بمصر عن بضع وثمانين سنة، سنة ٧١٩ هـ ودفن بزاويته بالحسينية (١).

٢ - الصدر بن الوكيل :

هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن زين الدين عمر بن مكى المعروف بابن المرحل شيخ الشافعية ، ولد سنة ٦٦٥ هـ ، سمع الحديث على المشايخ ، أجاد معرفة المذهب الشافعى (٢) الا أنه لم يكن قويا فى النحو فكان يقع منه اللحن ، تعلم الطب والفلسفة وعلم الكلام ، كان يرميه الناس بارتكاب العظائم ، واتهم بأنه يتعاطى الحشيشة وغيرها من المحرمات ، كان من أعداء ابن تيمية يناظره فى المجالس الا أنه كان يعترف له بالتفوق والمقدرة الباهرة مع كراهيته لأصحاب الشيخ ، ولم يعامله ابن تيمية بالمثل بل كان يثنى عليه وعلى علومه وفضائله ويشهد له بالاسلام واذا سئل عنه وعن أفعاله القبيحة (٣) كان يقول عنه الشيخ " كان مغلطا على

-
- (١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٥٢ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٣ .
(٣) حين رماه البعض بالقبائح والمنكرات ، حيث عمل له محضر وحكم بتمزيهه أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٨ .

نفسه متبعا مراد الشيطان منه يميل الى الشهوة^(١) ، توفي سنة
٧١٦ هـ بالقاهرة^(٢) .

٣ - زين الدين ابن مخلوف :

زين الدين علي بن مخلوف بن ناهض النويري المالكي ، قاضي
المالكية بمصر كانت ولايته القضاء ٣٣ سنة ، كان مشكورا السيرة
لا تأخذه في الحق لومة لائم ، أخذ عليه معاداته الشديدة لابن
تيمية بسبب فتواه الحموية ، ومسألة الاستغاثة بالنبي صلى الله
عليه وسلم ، وشد الرحال الى قبره الشريف فلم يدخله وسعا فلى
عدائه له والنيل منه الا أن ابن تيمية لم يعاطه بالمثل فيذكر لنا
ابن مخلوف كريم خصال ابن تيمية فيقول : " ما رأينا مثل ابن تيمية
حرضنا عليه فلم نقدر عليه ، وقد رعلينا فصفح عنا وحاجج عنا^(٣) .
توفي رحمه الله وله من العمر ٨٧ سنة سنة ٧١٨ هـ^(٤) .

محبي الشيخ ابن تيمية كثيرون ، فمهما كتبنا عنهم قلن نوفيهم
ولن نحصيهم وسندكرهنا بعض من وقف بجانبه ولم يرهب قوة ولا سلطانا :

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨٠ .
(٢) ن . م . س : ج ١٤ ص ٨٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٥ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٤ ، ٩٠ .
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٤٩ .

أنصار ابن تيمية من العلماء :

١ - ابن النجيج :

هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الله بن عبد القاهر بن عمر الحراني المعروف بابن النجيج ، كان رحمه الله قد صاحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية فترة طويلة ، وكان معه في موطن عظيمة صعوبة لا يستطيع الاقدام عليها الا الابطال فسجن معه عدة مرات وكان من أكبر خدماته وخواص أصحابه فناله الأذى لذلك عدة مرات فما زاده ذلك الا زيادة في محبة الشيخ والصبر على الأذى واحتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى ، وكان رحمه الله حسن السيرة عند الناس عالما فقيها زاهدا ، توفي قرب المدينة المنورة فحمل اليها وغسل وصلى عليه بالروضة الشريفة ودفن بالبقيع سنة ٧٢٣ هـ .^(١)

٢ - القاضي ابن النجيج :

زين الدين بن النجيج نائب قاضي الحنابلة بالجامع المظفرى بدمشق ، كان فيه علم ودين ونزاهة ، ولم تكن فيه محاباة فسى القضاء ، مشهورا بالفضائل والعبادات ، يحب الشيخ ابن تيمية كثيرا ، ويحضر مجالسه ، توفي سنة ٧٤٩ هـ ودفن بسفح قاسيون .^(٢)

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١١٠ .

(٢) ن ٤٠٠ س : ج ١٤ ص ٢٢٧ ، قاسيون : جبل مشرف على مدينة دمشق في سفحه مقبرة أهل الصلاح . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٩٥ .

٣ - قاضي القضاة الحريري :

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين الأنصارى الحنفى ولد سنة ٦٥٣ هـ . سمع الحديث ودرس الفقه فبرع فيه ، درس فى أماكن كثيرة فى دمشق ثم تولى قضاءها ، ثم طلب لِقضاء مصر واستمر فى منصبه الأخير هذا فترة طويلة لنزاهته ، فلم يكن يقبل هدية من أحد ولا تأخذه فى الحق لومة لائم ، كان يحب الشيخ ابن تيمية كثيرا وله مكانة عظيمة فى قلبه ويقدره ويجله فكان يقول : " إذا لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن يكون " ، وسأل أحد أصحابه أتعب الشيخ ابن تيمية فقال له : نعم ، فقال له والله لقد أحببت شيئا مليحاً ، وما ذلك الا لفرط محبته للشيخ . توفى رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ ، ودفن بمصر .^(١)

٤ - الشيخ عبد الله الجزيري :

عبد الله بن موسى الجزيري من كبار الصالحين العابدين القانتين كان رحمه الله وقورا مهيبا ، كثير المطالعة سريع الفهم ، كان لفرط محبته للشيخ ابن تيمية يلزمه كظله ، وينقل من كلامه أشياء كثيرة يفهمها فى حين يصجز غيره عن فهمها ، توفى سنة ٧٢٥ هـ .^(٢)

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٤٢ .

(٢) ن . م . س : ج ١٤ ص ١١٩ .

هـ - الشيخ ابن دقيق العيد :

قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد القشيري المصري
الامام العالم - تفقه على والده على المذهب المالكي ، ثم أخذ
الفقه الشافعي من الشيخ العزبن عبد السلام فجمع بين المذهبين
وأفتى فيهما ^(١) ، رحل في طلب الحديث ، وصنف فيه اسنادا ومنتها
عدة مصنفات ، انتهت اليه رئاسة العلم ، ورحل اليه طلاب العلم
من كل مكان ، تولى قضاء مصر سنة ٦٩٥ هـ .

اجتمع بالشيخ ابن تيمية وتباحثا في عدة مسائل خرج منها
ابن دقيق العيد معجبا بابن تيمية عارفا لقدرة وكثرة علمه وقال من
اعجابه به " ما أظن بقى يخلق مثلك " .

وحين أراد الناس معرفة رأيه في ابن تيمية بعد مناظرتهم
قال لهم : " رأيت رجلا سائر العلوم بين عينية يأخذ
ما شاء " ^(٢) .

توفي سنة ٧٠٢ هـ ^(٣) .

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٧ ، السبكي : طبقات الشافعية
ج ٦ ص ٣٠ .
- (٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٥ ، ٦ ، الألويسي : جلاء
المصينين ص ١١٠ .
- (٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب
ج ٦ ص ٦٠ .

علاقة ابن تيمية بالعامّة :

سهما تحدّثنا عن هذه النقطة فلن توفّيها حقّها إذ أن حب العامّة لابن تيمية فاق الوصف ، فقد كان قريبا منهم يدافع عنهم ويذل ما فوّسعه لابعاد الأذى عنهم فكان حبهم له كبيرا ، وكان لشخصية ابن تيمية أثر كبير في حب العامّة له فما كان ينزل مكانا الا ويلتف حوله الناس لجمال حديثه وطيب عشرته وغزارة علمه ودماثة خلقه .

ففي دمشق يخرج الناس جماعات لاستقبال الشيخ حتى تزدهم الطرقات بهم وإذا خرج من البلد خرجوا أيضا لتوديعه ونفوسهم حزينة لفراقه .^(١)

وحين وصل غزة وألقى فيها أحد دروسه في الجامع التّف الناس حوله وتجمعوا محبة فيه واعجابا به .^(٢)

وحين قام حكام مبربنفيه الى الاسكندرية رغبة في اهلاكه وهو وحيد غريب حدث له العكس فالتف حوله الناس وأحبوه وأكثروا من زيارته .^(٣)

وحين قام جماعة من الفوغاء بضرب الشيخ ابن تيمية حين رأوه وحيدا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٧٠ .

(٢) ن.م.س: ج ١٤ ص ٣٨٠ .

(٣) ابن عبد الهادي : المقود الدرية ص ٢٦٩ .

بجامع مصر ، هب لنجدته أهل الحسينية بعد أن سمعوا بالخبر وقالوا له لو أمرتنا بهدم مصر كلها لفعلنا فسألهم الشيخ لأى شئ فقالوا له لأجلك . فقال هذا ما يحق ، فقالوا نذهب لمن آذوك فنقتلهم ونخرب بيوتهم فنهاهم الشيخ عن ذلك ، وحين أكثروا من الكلام قال لهم الشيخ : " أما أن يكون الحق لى ، أولكم ، أو لله ، فان كان لى فهم فى حل منه ، وان كان لكم فان لم تسمعوا منى ولا تستفتونى فافعلوا ما شئتم ، وان كان الحق لله ، فالله يأخذ حقه ان شاء كما يشاء ، فوافقوه على ما أراد وتبعه خلق كثير الى الجامع لحمايته حتى ازدحمست الطرقات .^(١)

وأما ذلك كثير من محبة العامة للشيخ مما لا يمكننا أن نحصىه مهما حاولنا ، وذلك قليل فى حق ابن تيمية فقد كان هو أيضا كثير المحبة للناس يعود مريضهم ، ويفيق على محتاجهم ، ويزيل الأذى عنهم فقد كان رحمه الله يخصص يوما فى الأسبوع لزيارة المرضى فى المارستان ، يدعو لهم ويرفع من معنوياتهم ، ويدفع لهم نفقات تعيينهم كل بحسب حاجته .^(٢)

-
- (١) ابن عبد الهادى : المعقود الدرية ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .
(٢) بیمارستان نور الدين محمود زنگى ، بناء بدمشق . أنظر : البزار : الأعلام العلية ص ٤٠ .
(٣) البزار : الأعلام العلية ص ٥٧ .

كما كان يعطى المحتاجين قبل أن يسألوه بما يتيسر له وان لم يكن معه شيء كان ينزع ثوبا من على جلده ويدفعه اليه ويقول له بعه بما تيسر وانفقه ، مع الاعتذار له لكونه لم يكن عنده نفقة^(١) ، وأمثال ايثاره للناس بما عنده كثيرة مما لا يسعها المقام ما زاد تعلق العامة به ومحبتهم له .

... ..

(١) البزار : الأعلام العملية ص ٥٢ ، البيطار : حياة شيخ الاسلام
ابن تيمية ص ١٢ - ١٣ .

الفصل الثاني

الترغيب المغوي على علي الدولة الإسلامية
ولا عتقا لهم برون الحما يكر في مصر والسم

- انهيأر القاروة الإسلامية أمام النول

- قيام دولة النول بالعراق

- علاقة المايكة بالنول في العراق

الخيار المقابلة الإسلامية
لصام المنعول

(١) انهيار المقاومة الاسلامية أمام المغول

أصل التتر أو المغول :

يرجع التتر في أصلهم الى بلاد الصين في منطقة دلفماج وهي تبعد عن بلاد التركستان بما يزيد على مسيرة ستة أشهر بالامكانيات في زمانهم ، وهم لا يدينون بدين مع اعترافهم بالله تعالى بدون اعتقاد أو شريعة^(١) ، وكانوا أقرب الى الوثنية ، انتشروا في الصين وروسيا ، يقول عنهم ابن العماد : " انهم من الترك يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئا ولا يحصون كثرة " .^(٢) استطاع أحد ملوكهم ويدعى جنكيز خان أن يوحد كلمتهم ويخضع جميع البلاد الى ما وراء النهر لسلطانه وذلك سنة ٥٩٩ هـ .^(٣)

أسباب الغزو المغولي لبلاد الاسلام :

كان من أسباب اجتياح السيل المغولي لبلاد الاسلام أن جنكيز خان احتاج الى كسوة وثياب من صنع بلاد المسلمين ، فأرسل مجموعة من

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٦١ ، المقريزي : السلوك ج ١ ق ١

ص ٢٤١
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٦٥ .

(٣) الفياث : التاريخ الفياثي ص ٤١ ، ابن واصل : مفـرج

الكروب في أخبار بني أيوب ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧ .

التجار الى بلاد خوارزم^(١) لشراء ما يحتاجه من هناك ، وحين وصل التجار الى مدينة أترار لفتوا اليهم الأنظار بثرائهم وما معهم من نفائس الجواهر فأرسل نائب المدينة الى سلطانه محمد خوارزم^(٢) يخبره بحالهم فأمره بقتلهم وأرسل ما معهم اليه ، وحين وصلت النفائس الى خوارزم شاه باعها الى تجاربخاري وسمرقند^(٣) . فكان لهذا العمل أثر شديد في نفس جنكيزخان ازاء هذا الانتهاك الصارخ، لمكانته في دولته فأرسل رسالة الى السلطان خوارزم شاه يتهدده فيها ويتوعده لقتله التجاري^(٤).

ونحن لا نبرر فعلة خوارزم شاه هذه انما نرى أنه لعل الدافع الذي جعل خوارزم شاه يتصرف مع التجارب بهذه الطريقة أن ذلك كان نابعاً من الظروف التي كانت في ذلك العصر ، ان أن طبيعة حياة المفسول

(١) يطلق لفظ خوارزم على الناحية (الاقليم) بجملته ومدينته العظمى الجرجانية وهو يقع حول نهر ~~سجسون~~ ~~وجيخون~~ اللذان يصبان في بحر خوارزم - وأكثر ضياع خوارزم ومدنها ذات أسواق وخيرات ودكاكين . - أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

(٢) هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان حكم لمدة ٢١ سنة اتسع فيها ملكه من العراق الى تركستان ومغربي الهند وغزنة كلها وسجستان كان عالماً بالأصول والفقه و..... أنظر : ابن الوردي : تنمية المختصر ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٨٢ - ٨٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ٤ ص ٣٨ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ٤ ص ٤٠ .

البدوية جعلتهم مجموعة قبائل رحالة تعتمد في رزقها على الترحال^(١) ما جعلها تحتك ببلاد خوارزم شاه وتلتحم مع عساكره في عدة مواقع عسكرية جعلت خوارزم شاه يعاملها معاملة قطاع الطرق فقطع الصلات الحسنة معهم ، كما منع نوابه في الأقاليم من التعامل معهم أو امدادهم بما يطلبون أو يحتاجون اليه ، لذلك نرى نائبه في أترار^(٢) حين وصله الجار يحتار في طريقة تعامله معهم فيرسل للسلطان يستشير في أمرهم فكان ما ذكرناه .

ولعل الدافع الذي جعل خوارزم يتصرف معهم هذا التصرف هو العداوة التي كانت بين الفئتين حيث خشي خوارزم شاه أن يكونوا عيوناً لأعدائه تزبونرى تجار لا خفاء ما ربههم وليسهل عليهم الحصول على ما يريدون من معلومات عن دولته والحصول على ما يحتاجون من كسوة وغذاء يتقوا بها ضده ، وما يؤكده هذا الرأي ما أورده ابن الأثير حيث قال : " وصاروا يحاربون عساكر خوارزم شاه فلذلك منع الميره عنهم من الكسوات وغيرها"^(٣) .

-
- (١) فقد ذكر ابن واصل أنهم أهل خيام وعمد فهم قبائل بدوية تعيش على الأغنام والخيول كثيرا التنقل والترحال في البراري والقفار .
أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ٤ ص ٣٦ .
- (٢) أترار أو أطرار : اسم مدينة حصينة وولاية واسعة في أول حدود الترك بما وراء النهر على نهر سيحون .
أنظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٢١٨ .
- (٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٦٢ ، والميره : الطمام يمتاراه الانسان وقد (ماس) أهله من باب باع .
أنظر : الرازي : مختار الصحاح ص ٦٤٠ .

حين وصل تهديد جنكيزخان الى خوارزم شاه أمر بقتل الرسول—
وحلق لحى الجماعة التى صحبتته وأعادهم اليه ليخبروه بما فعل بالرسول
وأنه سيعد له جيشا لا قبل له بمحاربتة .^(١)

جهز جنكيزخان جيشا كثيفا وسيره لمحاربة خوارزم شاه جزاء ما فعل
بالتجار والرسول ، فالتقى الجيشان حيث استمات كل منهم فى القتال
الى أن انتهى الأمر بتحاجز الفريقين وذهاب كل الى بلاده .^(٢)

قام بعد ذلك خوارزم شاه بتحصين بخارى وسمرقند بالحسكر والعدة
والعتاد^(٣) ، ثم سار الى خوارزم لتجميع الجيوش هناك استعدادا للموقعة
الفاصلة^(٤) ، الا أن تحصين المدينتين لم يجد نفعا ، فقد حاصرها جنكيزخان
حصارا شديدا الى أن طلب أهلها منه الأمان فأعطاهم اياه^(٥) ، وحين تمكن
منهم أعمل فيهم السلب والنهب والقتل ، واستخدم فى ذلك جميع ضروب

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٤٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ

ج ١٢ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ١٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ابن واصل :

مفرج الكروب ج ٤ ص ٤١ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٤١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ

ج ١٢ ص ٣٦٥ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٤١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج

١٢ ص ٣٦٥ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج

١٢ ص ٣٦٥ .

الوحشية حيث أسروا النساء والصبيان وفعلوا بهم الفواحش أمام أهليهم^(١).

لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام انتهاكات التتر الوحشية ، فقاتلوا بشجاعة دون نسائهم وأهليهم فقتل كثير منهم وأسر البعض فكثر الضحايا في البلد وبكى النساء والصبيان والرجال لهول هذه الأيام^(٢).

كان جيش التتر يتصف بالهمجية والوحشية التي استخدموها في مقاتلة أهل البلاد حيث كانوا يؤمنون أهل البلد ثم يخذلونهم ويعملون فيهم السلب والنهب والقتل ويلقون النار في الدور والمساجد والمدارس بل ويستخدمون أهل البلاد من الأسرى المفلحين في مقاتلة اخوانهم في الدين لارهابهم بكثرة عدد جيوشهم^(٣). وطريقتهم هذه استطاعوا أن يستولوا على سمرقند ونيسابور ومازندران^(٤).

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٤٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٦٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٨٣ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٤٨ ، كما يذكر ذلك ابن الأثير فيقول أنهم استخدموا أسرى مدينة بخارى في محاربة أهل سمرقند حيث جعلوا على رأس كل عشرة أسرى علم ليظن أهل سمرقند أنهم مقاتله أتوا مدد للتتر . الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٦٧ .

(٤) سمرقند : بلد معروف مشهور ، وهو قصبه الصفد ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤٦ ، والصفد : كوة عجيبة قصبته سمرقند وهي قرى متصلة بالأشجار والبساتين من سمرقند الى قرب بخارى . ياقوت (=)

قام جلال الدين بن خوارزم شاه بعد وفاة والده برفع لواء الجهاد
ضد التتر من غزنة^(١) ، حيث جهز جيشا كثيفا التقى بالتتر في بلىق^(٢) ،
وتقاتلوا قتالا شديدا لمدة ثلاثة أيام ثبت الله فيه المسلمين وأنزل عليهم^(٣)
نصره .

بعد ذلك قام جنكيز خان بتجهيز جيش كبير وأرسله مع بعض أبنائه لمقاطعة
جلال الدين فالتقى مع جيش المسلمين في كابل^(٤) ، حيث استبسل
المسلمون في حربهم مع الكفار جهادا في سبيل الله الى أن تحقق لهم النصر

-
- (=) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٠٩ .
- نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان معدن الفضلاء ومنبع العلماء
وهي دهليز المشرق . ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٤١ .
- مازندران : اسم لولاية طبرستان . ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص
٣٧٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٧٠ .
- (١) غزنة : اسمها الصحيح عند العلماء غزنيين ، وهي مدينة عظيمة وولاية
واسعة وهي الحد بين خراسان والهند وهي قصبة زابلستان . ياقوت :
معجم البلدان ج ٤ ص ٢٠١ ، وزابلستان كوره واسعة جنوب بلىخ
وهي زابل والمعجم يزيدون السين وما بعدها في أسماء البلدان .
- ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٢٥ .
- (٢) بلىق : ناحية بغزنة . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤٨٩ .
- (٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٦٢ .
- (٤) كابل : اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى أوهند وهي ولاية ذات
مروج كبيرة بين الهند وغزنة (والآن عاصمة أفغانستان) . ياقوت :
معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢٦ .

فغنموا غنائم عظيمة ، وأنقذوا كثيرا من أسرى المسلمين من يد التتر^(١) .

لم يذق المسلمون حلاوة انتصارهم طويلا فسرعان ما تفرقت كلمتهم ونشب بينهم الخلاف من أجل حطام الدنيا ، فقد اختلف صاحب هراه^(٢) ، مع الأمير سيف الدين بغراق^(٣) ، في الغنيمة وتقاتلوا من أجل ذلك مما أدى لمقتل أخ لبغراق ، فغضب وقرر الرحيل الى الهند وقال : أنا أهزم التتر ويقتل أخى لأجل هذا السحت^(٤) ، فتبعه كثير من الجند ، ولم تجدد محاولات جلال الدين في إثثائه عن عزمه^(٥) .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٩٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٦٢ .

(٢) هو ملك خان كان بينه وبين خوارزم شاه نسب . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٩٦ ، وهرة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان . ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩٦ .

(٣) هو أمير من الأتراك الخلق كان شجاعا مقداما ذا رأى ومكيدة في الحرب باشر الحرب مع التتر بنفسه ، وقال لعسكر جلال الدين تأخروا أنتم فقد ملثتم منهم رعبا ، وكان السبب بعد الله في كسرة التتر . ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج ١٢ ص ٣٩٦ ، والخلق صنف من الأتراك ، وقعوا في قديم الزمان الى أرض كابل ، وهم أصحاب نعم على خلق الأتراك في لباسهم وزيهم . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢٦ .

(٤) السحت : كل حرام قبيح الذكر وقيل هو ما يخبث من المكاسب وحرم . ابن منظور : لسان العرب ج ٢ ص ٣٤٦ ، ويقصد بغراق أنه لأجل هذا الحطام يقتل أخوه .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٦٢ - ٦٣ .

ضعف موقف المسلمين برعيل بفراق وكثير من الجند الى الهند
 ما جعل جنكيزخان يسارع لاستغلال هذه الفرصة ، ليضرب المسلمين قبل
 أن يعاودوا التجمع مرة أخرى فضم اليه غزنة والرى ، ومراغة ، وهمدان ،
 وأذربيجان واللات (٢) .

حاول جلال الدين أن يوحد صفوف المسلمين بضم كثير من الولايات
 اليه كما راسل نائب خلاط (٣) يطلب منه المساعدة ضد التتر كما حاول تحذير
 الخليفة في بغداد من خطورة الموقف ويطلب منه المدد لوقف السيل المفلو (٤) .

-
- (١) الرى : مدينة مشهورة من أعلام المدن ، كثيرة الفواكه والخيرات بسين
 نيسابور وقزوين . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١١٦ .
- (٢) مراغة : بلدة عظيمة من أشهر بلاد أذربيجان ، ياقوت : معجم
 البلدان ج ٥ ص ٩٣ .
- همدان : مدينة حصينة واسعة الأنهار ملتفة الأشجار وهي من أحسن
 البلاد وأنزهها . ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٠ .
- (٢) أذربيجان : مملكة عظيمة يغلب عليها الجبال فيها قلاع كثيرة وخيرات
 واسعة ، لا يحتاج السائر فيها الى حمل الماء معه إذ أن المياه
 جارية تحت أقدامه أينما توجه . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٢٨ .
- وقد استولى جنكيزخان عليها صلحا فأبقى ملكها أوزبك بن البهلوان على
 ملكه بعد أن قدم له فروض الطاعة والولاء ، وكان أوزبك هذا ملكا
 ضعيف الهمة في محاربة التتر ، ويقضى معظم وقته في الشرب . ابن
 الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٣٧٤ .
- اللات : بلاد واسعة وأمة كثيرة ، ليس فيها مدينة مشهورة فيها مسلمون
 والغالبية نصارى . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٥ .
- (٣) خلاط : بلدة عامرة مشهورة ذات خيرات واسعة وهي قصبة أرمينية
 الوسطى بها بحيرة مشهورة . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٠ .
- (٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٤٩٨ .

لم يمهل التتر جلال الدين لاستكمال خطته فقد سارعوا اليه والتقوا به في معركة فاصلة انتهت بهزيمته هزيمة منكرة ، تفرق فيها عسكره في كل ناحية ، بينما استطاع هو أن يفر من التتر بنفر قليل من عسكره^(١).

لم ينعم جلال الدين بنجاته طويلا إذ ما لبث أن وقع في أيدي قطاع الطرق من الأكراد فسلبوه ونهبوه ، وحين أراد زعيمهم القضاء عليه عرفه جلال الدين بشخصه ورغبه بالأموال والهدايا للبقاء على حياته فوافقه على ذلك ، الا أن أحد الأكراد كان له ثأر مع جلال الدين حيث قتل له أخاه من قبل فأسرع ورماه بحربة كانت في يده أجهزت عليه^(٢).

وبانتهاء حياة السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه انهارت مقاومة المسلمين الفعلية كقوة رفعها هذا السلطان بعد وفاة والده في وجهه التتر في بلاد المشرق الاسلامي ، حيث سقطت بعد ذلك المناطق الواحدة تلو الأخرى في أيدي المغول بدون مقاومة فسقطت في أيديهم قلعة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٤٩٨ .
(٢) النسوي: سيرة جلال الدين منكرتي ص ٣٨١ - ٣٨٢ ، ابن كثير :
البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣٢ ، المقرئ: السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٨٠ .

الموت^(١) وخضعت معظم بلاد فارس للتتر وذلك وصل الخطر المفوق الى
عقر دار الخلافة العباسية في العراق^(٢).

.. ..

(١) قلعة الموت : مقر الاسماعيليه وهي قلعة خصبة جدا من نواحي قزوين
قام الوزير نصر الدين الطوسي وزير ركن الدين خورشاه زعيم الاسماعيليه
في ذلك الوقت باقناعه بتسليمها لهولاكو ليأمن سلامته . . ففعل
ذلك .

أنظر: المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٢١ فى الحاشية .
(٢) نرجوا الاطلاع على خريطة رقم ١ .

قيام دولة المنصور بالمرقا

أسباب الغزو المفقولي للعراق :

اختلف المؤرخون في السبب الرئيسي الذي حداً بجنكيزخان لاكمال تسديد ضرباته المدمرة للعالم الاسلامي ليصل الى قلبه النابض ، ونعني به الوصول الى بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية في ذلك الوقت ، وقـــــد ساعده على اتمام هذا المشروع بعد المسلمين عن دينهم وانتشار اللهبو والعبث والتفر فيهم من أقصاهم الى أدناهم ، والخليفة المستعصم (١) وما دونه في غفلة عما يحسك خارج بغداد بل وفي داخلها ، فالمفقول يتجولون في بلاد المشرق الاسلامي شرقا وغربا بدون رادع ، وفي الداخل كان الوزير ابن العلقمي (٢) يحيك المؤامرات ويدبر الوسائل للانتقام من الخليفة العباسي ومن حوله من أهل السنة لأقامة خلافة علوية ، ولأخذ بثأر الشيعة من السنيين نتيجة للمذابح التي كانت بينهما ، فقام بارسال الرسل الى التتر يرغبهم في دخول بغداد ، ويهون عليهم أمرها حتى تم

(١) هو أمير المؤمنين أبو أحمد عبد الله ابن المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله . . . ابن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن أبو جعفر المنصور ، كان فيه لين ورقة وانقياد وضعف رأى أمام الوزراء ولم يكن رجل ذلك الوقت. أنظر: السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٠ .

(٢) مؤيد الدين محمد بن علي العلقمي كان أدبيا شيعيا رافضيا في قلبه

هقد وكراهية للاسلام وأهله . السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٠ .

(٣) وذلك حين اعتدى الشيعة على السنيين في بغداد فقام أهل السنة

بالتالى بمذابح عظيمة ضدهم مما أغضب ابن العلقمي الا أنه لم يستطع

حيالها أن يفعل شيئا فأضمر في نفسه شرا . السبكي : طبقات الشافعية

ج ٥ ص ١١٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٩٦ .

له ما أراد^(١).

بينما نجد أن ابن الطقطقى يدافع عن ابن العلقمى وينفى عنه تهمة التواطؤ مع التتر وخيانتة للإسلام والمسلمين^(٢)، إلا أن أكثر المراجع تذكر خيانتة، ونحن نرجح ذلك لكراهته لأهل السنة ورغبته فى إقامة خلافة علوية.

إلا أنه بالإضافة الى ترغيب ابن العلقمى للتتر بدخول بغداد، كان هناك الرغبة فى التوسع لدى هؤلاء كويين جنكيزخان وعدم اقتناعهما كان تحت يده وذلك لحياة البداوة التى كان يعيشها التتر وكثرة التنقل والترحال إذ أنهم بعد أن يفتحوا المدن ويدمروها ينتقلوا الى غيرها فلم يكونوا طلاب حضارة إنما طلاب مال وغنائم، إلا أنه بدون دعوة ابن العلقمى ما كانوا احتلوها بهذه السهولة كما سنرى، وقد ساعدتهم فى ذلك أن الخلافة العباسية قد غرقت فى الترف والنعيم والتطاحن فى سبيل الوصول الى المناصب والملاذات الدنيوية فتكاسلوا وضمزت نفوسهم وهمهم عن التناصح ورفع لواء الجهاد فى سبيل الله لنصرة دينه^(٣). وحين أحست الخلافة العباسية بالخطر الفنى دنا منها ندموا على ما فرطوا، ولما وصل المستوح

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٦ ، ابن الصمد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٥ ، المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٠٠ ، السبكى : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٠ ، شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

(٢) ابن الطقطقى : الفخرى فى الأداب السلطانية ص ٢٧١ .

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٣٧١ ، شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٣ - ٩٤ .

الكاسح الى أطراف العراق حيث الموصل لم يجد صاحبها^(١) بدا من مدافعة التتر بالمداينة وبذل الأموال والعطايا لهم وارسل الرسائل في الخفاء الى الخليفة العباسي لطلب النجدة حيث لم تكن لديه القدرة الكافية لصددهم وحده ، لأن الأمراض والبلايا قد أصابت العالم الاسلامي كله فضلا عن دار الخلافة ، وحين وصلت رسائل صاحب الموصل للخليفة^(٢) فاق من سباته ليجد نفسه والمسلمين في خطر محقق وقد ذهبت منه فرصة عظيمة لأنسه لو تدارك هذا الخطر منذ بداية أمره لما وصل اليه في عقر داره ، اما الآن والدولة في انهيارها دينيا ببعدها عن شرع الله ، ومعنويا بتخاذل الناس عن لقاء العدو ، فكان من الصعب الوقوف في وجه هذا الخطر.

وقد لعب ابن العلقمي دوره في تضليل وغش الخليفة بما فيه مصلحة التتر^(٣) ، حيث كان يهون على الخليفة أمرهم حين رآه يعمل على توحيد الجهود^(٤) ، ويشير عليه بمصانعتهم لحفظ دماء المسلمين ومحاولة تقلييل

-
- (١) الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأرمني الأتابكي كان صارما شجاعا مدبرا ، توفي سنة ٦٥٧ هـ وقد نيف على الثمانين .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٨٩ .
- (٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤ .
- (٣) شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .
- (٤) حيث أرسل الخليفة رسولا الى الملك الناصر الأيوبي صاحب دمشق يطلب منه مصالحة الملك الممزاويك التركماني صاحب مصر وأن يجتمعا معا على محاربة التتر . السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٣ .

عدد الجيش العباسي اقتصادا في النفقات لارسال المال المقتصد كهدايا لمداينة هولاء ليكف يده عن البلاد فوافق الخليفة على ما أراد^(١).

لم تكن الأموال العظيمة التي بذلها الخليفة لهؤلاء لتشجيع شهيتهم ولترده عن رغبته في فتح بغداد بل على العكس زادت منها، ولم ترو ظمأه للدماء فقد استولى على ما جاءه وتقدم بعساكره متقويا بها بعد أن أوهق الخليفة نفسه في سبيل ارسالها اليه ، فسار هؤلاء الى بغداد لمحاصرتها، فلم يستطع عسكر بغداد الاستمرار في تجاهل المضول وقد قدموا اليهم فسي عقر دارهم فخرج ركن الدين الدويدار في مجموعة من العسكر لملاقاة المضول فالتحموا معهم على بعد مرحلتين من بغداد انكسر فيها المسلمون ولحقهم^(٢) التتر بالسيوف فقتل البعض وهرب آخرون وغرق الكثيرون في الماء^(٣).

اتجه التتر الى محاصرة بغداد واخضاعها لسلطان هولاء فزلوا على نهر دجلة في مواجهة دار الخلافة وضرب هولاء سورا على عسكر بغداد وأحاط بها حتى لا تستطيع فككا منه ، منتظرا أي فرصة للانقضاض والتهام فريسته بأسرع وقت^(٤).

-
- (١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٦ ، المقرئ : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤١٢
ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١ ، شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .
- (٢) شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .
- (٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤ .
- (٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤ ، شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

بعد انهزام جيش بغداد قطع الخليفة الأمل في أى مقاومة عسكرية لدفع المغول عن بغداد لذلك حين أشار عليه ابن العلقمى بالذهاب لمصانعة التتر وقرار الصلح بينهم سارع بالموافقة^(١) فسارع الوزير وخرج الى هولاكو وأخذ منه الموائيق والعهود بعدم الاضرار به وجعله نائبا له على بغداد مقابل تسليمه اياها بدون جهد ولا تعب بل وأكثر من ذلك تعهد له الوزير بأن يسلمه الخليفة فى يده مع كبار رجال دولته ، فوافقه هولاكو على ما أراد فرجع الى خليفته وأخبره زورا ومهتانا بأن هولاكو أراد حقن الدماء وإبقاء الخلافة على ما هو عليه شريطة أن يصاهره الخليفة فيتزوج ولده وولى عهده من ابنة هولاكو ، تحير الخليفة قليلا الا أن الوزير حبب اليه هذا العمل لما فيه حقن دماء المسلمين وصلاحهم فهسى الطريقة المأمونة لكى يكف عنهم خطر التتر فوافقه الخليفة على ما أراد وكان^(٢) كما قال السيوطى^(٣) كان خليا من رأى والتدبير ، فأشار عليه الوزير بأن مصانعة للتتر واكرامهم يحصل به المقصود ففعل ذلك".

استمر الوزير فى اكمال خطته فأشار على الخليفة بالخروج بنفسه الى أهل العروس ونعنى به هولاكو مع كبار رجال دولته من قضاة وفقهاء وعلماء وحاشية لكى يوف ابنه اليها وعمل مراسيم عقد النكاح. وحين وصلت

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤ .
(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٥ ، شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٦ .

قافلة الزواج الى المعسكر المغولي كانوا يدخلونهم طوائف كلما دخلت طائفة ضربوا أعناقها ولم يبقوا على أحد منهم^(١) الى أن أتى دور الخليفة فأمر هولاء أن يقتلوه ، فقتلوه له أن هذا أن أريق دمه كان سبب خراب ديارك لأنه خليفة الله في أرضه وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحير هولاء من هذا الأمر فأنقذه من ذلك الموقف المحير نصر الدين الطوسي^(٢) حيث أشار عليه بطريقة لقتل الخليفة بأن يوضع في طست ثم يقتل وذلك يضمن عدم اراقة دمه^(٣) .

حين انتهى هولاء من القضاء على الخليفة وكبار رجال دولته التفت الى بغداد وأهلها غافلون عما تم للخليفة وطائفة ، فأخذهم هولاء على حين غرة ، وبصف لنا ابن كثير حالهم فيقول " وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوما . فبقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد الا الشاذ من الناس ،

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية

ج ١٣ ص ٢٠١ ، شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

(٢) نصير الدين الطوسي ولد سنة ٥٩٧ هـ كان بارعا في شتى العلوم خاصة

في علم الفلك أقام مدة عند الاسماعيليين في قلعة الموت حيث أغرى

صاحبها ركن الدين خورشاه بتسليمها الى هولاء ثم دخل هو بعد

ذلك في خدمة هولاء فكان مسموع الكلمة لديه فبنى له في مراغمة

دار للرصد . للاستزادة من ترجمته أنظر : المقرئ : السلوك ج ١ ق ٢

وأيا : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠١ .

(٣) وقيل أن الخليفة غم في بساط وقيل رفسوه حتى مات لكي لا يراق دمه . أنظر :

السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية

ج ١٣ ص ٢٠١ ، شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٥ .

والقتلى فى الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم
وانثنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الهواء الشديد
حتى تعدى وسرى فى الهواء الى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير
الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء والماء والفناء^(١) . وكذلك
سقطت بغداد سنة ٦٥٦ هـ فى أيدي التتر بدون مقاومة تذكر، بعد
أن قتل من أهلها أكثر من مليون نسمة^(٢) .

قام هولاء بعد ذلك بالاستيلاء على الكنوز والأموال العظيمة
كما انتهك حرمة بيوت الله ومنع من بقى فيها من المسلمين من إعلان
الاذان^(٣) . ويقول السبكي معلقا على ما حدث لبغداد: " هذه بغداد
التي لم تكن دار كفر قط وجرى عليها هذا الذى لم يقع قط منذ قامت
الدنيا مثله " ^(٤) .

-
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٣ .
(٢) شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٥ .
(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤ - ١١٥ ، ابن العماد : شذرات
الذهب ج ٥ ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣
ص ٢٠٢ .
(٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٦ .

ملوك العراق من بني جنكيزخان :

(١) ذكرنا فيما سبق سقوط بغداد بيد هولاكو بن جنكيزخان سنة ٦٥٦ هـ واستيلائه على هذه المدينة خضع له كثير من المناطق المجاورة لها اما صلحا واما عن طريق المقاومة البسيطة التي لا تذكر فخضعت لـه بذلك بلاد العراق وفارس^(٢) وأصبح هو الحاكم الفعلي في البلاد بدلا من خلفاء بني العباس فكان أول ملوك التتر في العراق حيث حكمها حوالي عشر سنوات كان يرسل منها الجيوش لمحاربة بلاد الشام في محاولة لا خضاعها تحت سيطرته فأخضع بعض المناطق لسلطانه الى أن تمت هزيمة جيشه في موقعة عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز سلطان المماليك فأصيب هولاكو بالصرع الى أن مات في سنة ٦٦٣ هـ فانتقل الأمر الى ابنه أبغسا الذي استمر على خطة أبيه فأكمل ارسال الجيوش لمحاربة المسلمين الذين أنزلوا به الهزيمة في موقعة حمص ثم توفي سنة ٦٨١ هـ^(٣) بعد أن دام فسي الحكم حوالي ١٨ ثمانية عشر سنة ، فانتقل الملك بعده الى أخيه تگدار بن هولاكو فأسلم وحسن اسلامه وتلقب بأحمد سلطان وكانت بينه وبين سلطان

(١) هولاكو هو مقدم التتار وقائدهم ، آباد البلاد والعباد ، خرج مع جيش المفضل فأخذ المماليك وطوى حصون الاسماعيلية وأذربيجان من الروم والعراق ، فكان ذا سطوة ومهابة وعقل وحزم ودهاء وخبرة بالحروب وشجاعة وكرم ، مع فرط ومحبة لعلوم الأوائل من غير أن يفهمها مات على كفره بعد أن خلف سبعة عشر ولدا .

أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢) نرجو الاطلاع على ملحق الخرائط ، خريطة رقم ٢ .

(٣) الفياث : التاريخ الغياثي ص ٤٢ - ٤٣ .

مصر علاقات حسنة وتبادل هدايا الا أنه لم يدم في الحكم طويلاً^(١) إذ أنه أجبر العسكر المغولي على الاسلام فلم يرضوا بذلك فثاروا عليه وقتلوه ، ثم قاموا بتولية ابن أخيه بدلاً منه فقفز على الحكم أرغون بن أبخا بن هولاكو^(٢) وذلك سنة ٦٨٣ هـ فاستمر في الحكم لمدة سبع سنين الى أن توفي سنة ٦٩٠ هـ^(٣) ، فانتقل الملك بعده الى أخيه كيخيتو فخرج عن الياسة^(٤) وأفسد السيرة فأصاب المغول منه البلايا فوثب عليه أبناء عمه وقتلوه وتولى بدلله بيده وبن طوقاي بن هولاكو ، وذلك سنة ٦٩٤ هـ ، الا أنه لم يستمر طويلاً في الملك فقد دارت الحرب بينه وبين غازان بن أرغون ابن أبخا بن هولاكو فانتصر عليه غازان وقتل بيده و فدانت البلاد لغازان فوط أمره بها^(٥) وكان سياسياً محنكاً ، فبعد أن استتب الأمر له ففى العراق أخذ يجهز الجيوش لمحاربة المماليك في مصر وأعلن اسلامه فتبعه بقية الجيش وكان الغرض من اسلامه أن يضمن النصر على حكومة المماليك فجرت بينهما معارك عربية انتصر في بعضها وهزم في الأخر مثل موقعة وادى الخازندار التي انتصر فيها وموقعة تل شقيب التي هزم فيها فلم تقم بعدها له قائمة فتوفى سنة ٧٠٣ هـ .

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢٠ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠٤ .
- (٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢٠ .
- (٤) الياسة : أصل كلمة سياسة وهي مجموعة قوانين وضعها جنكيزخان لتسيير شئون المغول . أنظر : المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٢٠ .

تولى الملك بعده أخوه خدابندا أو خريندا ابن أرغون فلم يستمر طويلا فتولى الملك بعد موته ابنه أبو سعيد وهو آخر ملوك المغول الأقوياء وكانت بينه وبين الناصر قلاوون مراسلات وتبادل هدايا^(١) بالود بمعد الوحشة التي كانت بينهما ، سنتناولها في الفصل القادم .

بعد وفاة أبي سعيد هذا تفرقت المملكة بيد عدة أشخاص وصارت مملكة طوائف تفرقت كلمة التتر بعد اجتماعهم ، فبعد أن كانت بيد سلطان واحد أمره مطاع ، أصبحت في أيدي متفرقة كل طائفة تقيم لها حاكما وتدعى أنه من سلالة القان ، وهكذا إلى أن انتهت دولتهم بقدره الله^(٣) .

... ..

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٤٠ .
(٢) ن.م.س : ج ١٤ ص ٩٨ ، ٩٩ .
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢١ .

علاقته المماثل في مصر
بالمغول في العراق

علاقة المماليك في مصر بالمغول في العراق

ذكرنا فيما سبق دخول العراق تحت سيطرة ونفوذ هولاكو ،
وسنتناول هنا علاقة التتر في العراق بالمماليك في مصر وهي علاقة جوار
حيث أن منطقة الشام كانت منطقة جذب وطرده بينهما لأنه كانت حالة
عداء مستحكم بينهما أدى إلى نشوب الحرب عدة مرات بينهما التي
أن أراد الله أن يهدي هؤلاء القوم حيث هذبهم بالاسلام بعد همجيتهم
فانقادوا مستسلمين اليه وهم الذين دكوا الحصون والقلاع ليقتضي الله أمرا
كان مفعولا ، وسنتناول هنا ابتداء العلاقة بين أول ملوك المغول وهو
هولاكو بن جنكيزخان بدولة المماليك في مصر فبعد سقوط بغداد بأيدي
التتر قام هولاكو باخضاع المناطق المجاورة فكانت خطته ارسال بعض
الجيوش الصغيرة لاخضاع بعض القلاع والحصون^(١) أو بارسال رسائل
تهديد للملوك الكبار في محاولة منه لادخالهم تحت سيطرته بدون حرب ،
واراقة دماء وان لم يذعنوا له فليس لهم الا السيف^(٢) . ومما ساعد هولاكو على
تجرئه هذا ، أن بلاد الشام في تلك الفترة كانت خاضعة لنفوذ سلاطين
مصر المماليك وان كان فيها عدة ملوك أميين يتولون حكم المناطق
ويكيد بعضهم لبعض كما سرى ، بل وأدهى من ذلك أن معظم المسلمين

(١) وذلك حين أرسل ابنه على رأس جيش إلى حلب حيث استولوا عليها .

أنظر : ابن الوردي : تنمية المختصر ج ٢ ص ٢٩١ ، ابن كثير : البداية
والنهاية ج ١٣ ص ٢١٨ .

(٢) حيث أرسل ثلاث رسائل للملك الناصر صاحب دمشق سنذكر رسالة واحدة
في الملاحق ان شاء الله تحت رقم (١) كما أرسل رسالة للسلطان الملك
قطز .

كانوا في لهو وعجث كل أمير يريد الظفر بأكبر قدر من الممالك ولو استعان في سبيل ذلك بأعداء الاسلام لكي يكيد لأخيه ففترت الهمم وسلط الله عليهم شر خلقه ، والممالك في مصر لم تكن حالهم أحسن من حكام الشام فكل أمير يريد أن يستأثر بالسلطة ، خاصة وأن سلطان مصر كان صبيها صغيراً هو علي ابن المعز ^(١) وقد خرج أمر مصر من يد الأيوبيين بموت الملك الصالح أيوب بينما نجد أن بلاد الشام مازالت بأيديهم وكل ملك يكيـد للآخر فالملك الناصر في دمشق وحلب ضد الملك المغيث في الكرك وهم جميعاً ضد سلطان مصر بل تعدى الأمر أكثر من ذلك حيث أرسل الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاكو بالهدايا والأمسـوال ويطلب منه نجدة تعيينه على أخذ مصر من الممالك ، فيجيبه هولاكو إلى طلبه بأنه سيرسل إليه عشرين ألف فارس وحين وصل هذا الخبر إلى دمشق

-
- (١) هو الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيك كان عمره خمسة عشر سنة حين تولى السلطنة سنة ٦٥٥ هـ بعد مقتل والده الملك المعز أيك التركماني . أنظر : ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٢٨٠ .
- (٢) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد ابن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين الأيوبي كان ملكاً على دمشق وحلب وأعمالهما جرت له عدة أحداث إلى أن وصل به آخر الأمر أن قبض عليه هولاكو وأمر بقتله بعد انهزامة في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ . أما ابنه العزيز هذا فقد كان مع والده في أسر التترو وظل عندهم إلى أن مات . أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٤٠ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٣٠٤ .
- (٣) الملك المغيث عمر ابن العادل أبي بكر بن الكامل كان ملكاً على الكرك كاتب هولاكو وحشه على القدوم للشام مرة أخرى بعد موقعة عين جالوت فأجابوه بأنهم قادون في عشرين ألف لفتح مصر ، وحين وقع الخبر (=)

كان بها بعض المماليك البحرية فسارعوا بالخروج من دمشق خوفاً من
الملك الناصر واتجهوا الى المغيـث بالكرك وحرصوه على أخذ مصر لنفسه
بدلاً من الناصر.^(١)

لقى هذا الأمر هوى في نفس المغيـث فجهز جيشاً لمحاربة الملك
قطز صاحب مصر ، فسار اليه قطز وهزمه هزيمة منكراً فر على أثره
المغيـث الى الكرك.^(٢)

وقد كان لاضطراب الملوك والأمراء في بلاد الشام أثر كبير في استغلال
هولاكو لهذه الفرصة لضرب العالم الاسلامي قبل أن يفيق من سباته
العميق ، فأرسل رسالة الى الملك قطز سلطان مصر مع رسله يتهدده
فيها ويتوعده هذا نصها :

” من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الأعظم : باسمك اللهم باسط
الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك

-
- (=) للسلطان الظاهر اعتقله سنة ٦٦١ هـ ثم أعده بعد أن أخرج فتاوى
الفقهاء بقتله . أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٨ ،
ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٢١٠ .
- (١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤١٠ - ٤١١ .
- (٢) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ والكرك قلعة حصينة
جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين ايله وحمير
القلزم هيت المقدس ، وهى على سن جبل عال تحيط بها الأودية .
أنظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٥٣ .

الذين هربوا من سيوفنا^(١) الى هذا الاقليم يتمتعون بأنعامه ويقتلون من كان
سلطانهم بعد ذلك .

يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية
وما حولها من الأعمال ، أننا جند الله في أرضه خلقنا من سخطه وسلطاننا
على من حل عليه غضبه فسلموا الينا أموركم تسلموا ، قبل أن ينكشف الغطاء
فتندموا وقد عرفتم أننا ضربنا البلاد ، وقتلنا العباد ، فلکم منا الهرب ،
ولنا خلفكم الطلب ، فما لكم من سيوفنا خلاص ، خيولنا سوابق وسيوفنا
قواطع وقلوبنا كالجمال وعدونا كالرمال ومن طلب حربنا ندم ، ومن قصد
أماننا سلم ، فان أنتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم فلکم مالنا وعليكم ما علينا ،
فقد أعذر من أنذر وقد ثبت عندكم أننا كفرة وثبت عندنا أنكم الفجيرة ،
فأسرعوا الينا بالجواب قبل أن تضرم الحرف نارها وترميكم بشرارها فلا يبقى
لكم جاه ولا عز ، ولا يعصمكم منا جبل ولا حرز ، فما بقى لنا مقصد
سواكم والسلام علينا وعليكم ، وعلى من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى
وأطاع الملك الأعلى^(٢) .

(١) إشارة الى أن المظفر قطر هو ابن الأمير مدود ابن عم جلال الدين
بن خوارزم شاه وهو في نفس الوقت ابن أخت جلال الدين ، هرب
أثناء غزو التتر لبلاد خوارزم ثم أسس الى أن وصل مصر . كما
سبق أن ذكرنا ذلك في فصل سابق .

(٢) القلقشندی : صبح الأعشى ج ٨ ص ٦٣ ، ٦٤ ، المقریزی : السلوك
ج ١ ق ٣ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

حين وصلت هذه الرسالة الى السلطان قطز غضب للاسلام
والمسلمين فان هولاكولم يتجراً بارسال هذه الرسالة لولا المهانة التي
وصل اليها المسلمون لبعدهم عن شريعة الله فجمع الأمراء وشاورهم فسي
هذا الأمر الخطير فأجمعوا على قتل الرسل ما عدا صبي صغير كان
معهم ضمه قطز الى مماليكه ثم السير الى الصالحية^(١) بعد تجهير الجيوش
لملاقاة التتار.

كان امام قطز كثير من المهام فأسرع في بداية الأمر بتوحيد كلمة
المسلمين وأعلن رفع راية الجهاد في سبيل الله فراسل الملك الناصر
في أمر الصلح بينهما وتسوية الخلافات من أجل توحيد الصفوف أمام الخطر
المخوفى مذكرا اياه بفضل الجهاد والأجر والثوبة الكبيرة التي يجنونها منه
فاطمأن الملك الناصر لهذا التصرف وتقرر جمع الشمل لمواجهة هذا الخطر^(٢).
سار هولاكول بنفسه من بغداد الى حران للوصول الى الشام ومنها الى مصر
بعد أن بلغه ما فعله قطز برسله فحاصر حران بالمجانيق حتى سقطت في
يديه ثم انتقل منها الى حلب وهنا سارع الملك الناصر يستنجد بالملك

(١) قرية قرب الرها من أرض الجزيرة ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٨٩
والرها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، ياقوت : معجم
البلدان ج ٣ ص ١٠٦ ، والصالحية أيضا قرية كبيرة ذات أسواق
وجامع في جبل قاسيون من غوطة دمشق فيها يسكن جماعة من
الصالحين وفيها قبورهم ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٠ ،
وهذه الأخيرة هي التي سار اليها المظفر قطز ، والله أعلم .
(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤١٧ .

قطز ويعلن له عن عزمه على لقاء التتار^(١).

كان قطز حين وصله استتجاد الملك الناصر به قد بدأ بتجميع الجيوش من أجل الجهاد في سبيل الله . وحين تكامل جنده سار بهم حتى وصل الى الصالحية وكان معه مجموعة من الأمراء كرهوا الخروج للقاء التتار والمسير معهم فجمعهم قطز وقال لهم : " يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للفرقة كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبنى ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حرهم المسلمين في رقاب المتأخرين " . ثم قال لهم : " وأنا سألقى التتار بنفسى " فسار معه بعض الأمراء الموافقين له فلم يسع المراضين الا الموافقة^(٢).

ونلاحظ من هذا الموقف مدى بعد بعض أمراء المماليك عن مفهوم الجهاد في سبيل الله فقد كانت تجرى عليهم الأموال من بيت المال للدفاع عن الاسلام والمسلمين لرفع راية الجهاد وحين دنا الأمر الفعلى رغب أكثرهم في التقاعس والتخاذل عن نصره الاسلام ، فكان ذلك الموقف يتطلب رجالا أمثال قطز والظاهر بيبرس لرفع راية الجهاد خفاقة بعد أن دنس المفعول بأقدامهم بفداد وغيرها من بلاد المسلمين .

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ابن تغرى بردى :

النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٣ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

أرسل قطز الأمير يحرس البندقدارى فى مجموعة من العسكر للتعرف
على أخبار التتر فنزل غزة وملكها بعد هرب التتر منها .^(١)

وصل السلطان المظفر قطز الى غزة ثم سار الى عكا فخرج اليه الفرنج
ورحبوا به وعرضوا عليه المساعدة والمسير معه الى التتر الا أنه رفض ذلك
وطلب منهم أن يكونوا لا له ولا عليه وأقسم لهم بالله أنه متى تبعه أحد
منهم لينال من عسكر المسلمين فسيعود أدراجه اليهم ويحاربهم قبل
أن يلقى عدوه .^(٢)

وقام بعد ذلك الملك المظفر قطز بجمع الأمراء والعسكر وخطب
فيهم خطبة بليغة مؤثرة ذرفت منها العيون ، حضهم فيها على رفع راية
الجهاد فى سبيل الله مذكرا اياهم بما أعدّه الله لهم من جنات عدن ،
ومحذرا لهم عقوبة الله عز وجل ان خافوا وجبنوا عن لقاء العدو ومذكرا
اياهم بما وقع للمسلمين من قبل على يد التتر من قتل وسبى وخرق وان ذلك
سيصيبهم ان لم يخلصوا النية لله سبحانه وتعالى فى دفع التتر عن البلاد
واستتقاذ بلاد الشام منهم ، فوافقه الجميع وتحالفوا على الاجتهاد فى
محاربة التتر وذل دوائهم وأموالهم رخيصة فى سبيل الله .

(١) كان التتر حين علموا بقدوم جيش مصر قد تركوا غزة لعدم رغبتهم فى
الاشتباك معهم ، محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة ص ١٦٥ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

حين قوى المظفر قطز الوازع الدينى لدى العسكر الاسلامى ورفع
معنوياتهم وأشعل حماسهم الدينى حين بلغت فى نفوسهم أقصى درجات
التضحية ببذل النفس والمال حينما أرسل الأمير ركن الدين ~~بهم~~ بـ
البندقدارى على رأس مجموعة من العسكر لمناوشة التتر ثم لحقه هو ببقية
العسكر الى عين جالوت^(١)

عين جالوت : (٢)

قام كتبغا نائب هولاكو فى الشام حين بلغه نبأ مسير العسكر
الاسلامى بتجميع التتر فى بلاد الشام وكونوا جيشا لمحاربة المسلمين^(٣) ،
وساروا به الى عين جالوت فالتقت طليعة التتر بطليعة المسلمين فلم تستطع
الثبات أمامها فانكسرت ، وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان
التقى الجيشان وجها لوجه حيث اضطرب جناح عسكر السلطان فتخاذل
طرف منه وكان السلطان قطز قائدا محنكا ومتيقظا فحين لاحظ ما حدث
لجناحه رمى خوذته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته واسلاماه
لاستثارة الحماس الدينى واشعاله فى نفوس العسكر وحمل بنفسه على جموع التتر
حملة صادقة تبعه فيها بقية الأمراء والجند فحملوا على التتر حملة واحدة

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، عين جالوت : بليدة

لطيفة من أعمال فلسطين بين بيسان ونابلس . أنظر : يا قوت :

معجم البلدان ج ٤ ص ١٧٧ .

(٢) نرجوا الاطلاع على ملحق الخرائط خريطة رقم ٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٠ .

أيدهم الله سبحانه وتعالى فيها بنصره^(١) فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز " ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " ^(٢) ، وقتل كتبغا قائـد التتر وأسراينه فحدث الاضطراب في صفوفهم فانهزموا لا يلوون على شئ^(٣) . فتبعهم الجيش الاسلامي^(٤) الى قرب بيسان^(٥) فتجمعوا مرة أخرى وسـووا صفوفهم والتحم الجيشان مرة أخرى فحدثت بلبلة في صفوف عسكر المسلمين عرف قطز دواها فصرخ مرة أخرى والاسلاماء ثلاث مرات وقال ياالله أنصـر عـدك قطز على التتار .

فأيد الله المسلمين بنصره وهزم التتر هزيمة منكرة وقتل كثير منهم^(٦) وقضى على الاسطورة التي تقول : " ان قيل أن التتر هزموا فلا تصدق " ، فقد حدثت حقيقة وأيد الله جنده، هنا تتجلى لنا في هذه المعركة صورة رائعة للعبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى ، فبعد أن أيد بنصره عهده قطـز والمسلمين ينزل السلطان من فرسه ولا يغير بالنصر ومكانته كسلطان للمسلمين فيمرغ وجهه لله بالتراب ويصلى ركعتين شكرا لله تعالى على ما أنعم به

-
- (١) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٣٧٩ . (٢) سورة محمد ، آية ٤٧ .
 (٣) محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمه ص ١٦٥ ، ١٦٧ ، د . أحمد شلبي : الموسوعة ج ٥ ص ٢٠٢ .
 (٤) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٢٠٥ ، ابن الوردي : تنمية المختصر ج ٢ ص ٢٩٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٩ .
 (٥) مدينة بالأردن بالغور الشامي بن حوران وفلسدلين : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٥٢٧ .
 (٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢١ .

عليهم من نصر على أعداءهم^(١) إذ أن الله سبحانه وتعالى لم ينسأهم حين
أخلصوا النية له خاصة وانهم جاهدوا في سبيله وهم جياع فلم ترهبهم قوة
التر ، ولما كانت بطونهم خالية من الطعام كان زادهم التقوى ورضا الله
وحسبهم بهذا زادا يعينهم على المسير في رب الحياة خاصة وأنهم
يعلمون بأن الله على نصرهم لقدير ، وهنا تقتبس ما قاله د . ابراهيم
حيث قال : " وقد عود الله عباده من أمة محمد أن يهبهم النصر على عدوهم
إذا تحداهم في رمضان وتصدى لهم وهم جياع ، ولعل السرف في ذلك
أن للصائمين نفوسا طائعة وقلوبا ضارعة وأرواحا شافعة . . تعلم أن الله
يدافع عن الذين آمنوا " .^(٢)

ويصف لنا السيوطي حالة الترتب بعد الهزيمة فيقول : " فهزم التتار
شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل من التتار مقتله عظيمة ، وولسوا
الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم^(٣) ، وغنم المسلمون الغنائم
الكثيرة والأسرى مما لا يعد ولا يحصى .

كتب السلطان الى د . خطابا يعلمهم بأمر الانتصار في عين جالوت
ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وأسرعوا الى دور النصاري تخريبا وهدما ،
 وقتلوا الكثير منهم ، بعد ذلك قاموا بتطهير المدينة من الخونة المسلمين الذين

-
- (١) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .
(٢) د . ابراهيم شعوط ، مقاله في مجلة الوعي الاسلامي العدد ٣٣ السنة
الثالثة ص ٢٠ .
(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ .

انضموا الى التتر وأعانوهم على اخوانهم المسلمين ، فقتلوههم وأنقذوا الملال من
(١)
شهرهم .

حين بلغ هولاكو خبر الهزيمة التي منى بها جيشه غضب وانزعج حيث لم
يكسر له عسكر من قبل فتم أمر الله الذي لا مرد له فرحل عائداً أراجيه
من بلاد الشام ثم الى خراسان . . فخضعت بلاد الشام كلها من الفرات
الى مصر لحكم الملك المظفر ، الا أنه لم تطل فترة حكم المظفر فقتل
علي يد الأمير بيبرس البندقداري^(٢) الذي أصبح سلاطناً على المماليك
حيث استمرت سلسلة الصراع بين الدولتين كانت في معظمها لصالح
المسلمين .

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري :

عاود التتر جمع فلولهم المتبقية وحشدوها لمحاربة المسلمين لاعادة
ماء وجههم بعد عين جالوت ، فالتقوا مع المسلمين بظاهر حمص ولسم
تنفصم حشودهم فقد أنزل الله تعالى سكينته على المسلمين وأيدهم بنصره
رغم قلتهم ، فقد كان عدة التتر ستة آلاف وعدة المسلمين ألف وأربعمائة ،

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٣٤ ، ونعنى بالمسلمين الذين انضموا
الى التتر وأعانوهم على المسلمين مثل حسين الكردي طبردار الملك
الناصر صاحب دمشق وحلب ، حيث سلم الناصر صاحب دمشق الى
التتر وغيره من الخائنين . أنظر : ابن الوردي : تنمة المختصر ج ٢ ص
٢٩٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢١ .

(٢) كان الخلاف على أشده بين المماليك البحرية ومنهم بيبرس ومن انضم (=)

حيث ولي التتر منهزمين وتبعهم المسلمون قتلا وأسرا^(١).

كلان لحالة العداء المستحكم بين دولة المماليك في مصر ودولة المغول في العراق أن نشأت علاقات ودية بين السلطان الظاهر بيبرس ومركة خان^(٢) سلطان مغول القبيلة الذهبية^(٣) الذي أعلن إسلامه فتبادلا

(=) اليه والملك المظفر قطز إلا أنهم نسوا خلافاتهم هذه أمام الخطر المغولي ، وبعد عين جالوت قرروا تصفية الحساب بينهما فاتفق بيبرس مع مجموعة من المماليك على قتل المظفر قطز قبل أن يفسد بهم ، وحين خرج للصيد وبعد عن المعسكر اقتربوا منه وحيلة استطاع بيبرس أن يضربه بالسيف ثم رمى به عن فرسه ، وحين وصل الخبر بمقتل قطز لنائب السلطنة فارس الدين أقطاي سألهم من قتله قيل له بيبرس فقال له يا خوند أجلس في مرتبة السلطنة .

أنظر : ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(١) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٥ ص ٣٠٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٠ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٣٠٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٠ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٢٠٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٥ .

(٣) تكونت القبيلة الذهبية سنة ١٢٣٥ م حيث خرج باقوبين جوجي بسن جنكيزخان لا خضاع أوروبا الشرقية ففتح عاصمة البلغار ثم روسيا وبولندا والمجر و لحاسيا . واستقر في منطقة الفولغا فقامت مملكة جديدة للمغول في هذه المنطقة منفصلة عن الامبراطورية الأم التي أنشأها جنكيزخان . أنظر : بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

الرسائل الودية والهدايا ، كما قام السلطان بيبرس بتكريم بعض رعايا برکه خان حين التجأوا اليه فرارا من هولاكو لحالة العداء التي كانت مستحكمة بين ملكهم وهولاكو^(١) كما قام بارسال وفود التهنئة الى برکه خان بمـــــــد انتصاره على هولاكو^(٢) مما يبين لنا مدى فرحه بانهزام هولاكو لأن في هذا اضعافا له وكسرا لشوكته .

بعد وفاة هولاكو قام أيضا بارسال الرسل الى السلطان الظاهر برسالة خطية وأخرى شفوية وجاء في الأخيرة : " أنت ملوك بمـــــــت

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٩٧ ، توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

وقد كان سبب العداوة بين برکه خان وهولاكو أن العداوة المتبعة عند المغول أن يقوم هولاكو بتقسيم الغنائم بعد كل معركة ينتصر فيها الى ثلاثة أقسام قسم له وآخر لبرکه خان وآخر لدولة المغول في وسط آسيا ، الا أن هولاكو خالف هذا النظام المتبع فمنع برکه خان حقه فنشب العداء بينهما لذلك .

بينما يرى البعض أن سبب الخلاف أمر غير ذلك وهو أن برکه خان كان مخالفا لهولاكو في توسعة في بلاد المسلمين واسقاطه للخلافة العباسية ، فمن هنا نشب العداء بينهما وهذا الرأي هو ما نرجعه خاصة وأن برکه خان قد اعتنق الاسلام عن تبصر فليس غريبا أن يخالف هولاكو في توسعه على حساب بلاد الاسلام .

(٢) حيث جرت بينهما معركة هائلة قتل فيها كثير من أتباع هولاكو . أنظر :

ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٥ .

بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ، واعلم أنك لو صعدت الى السماء ، أو هبطت الى الأرض ما تخلصت منى ، فاعمل لنفسك على مصالحه السلطان ابغا ، فلم يلقي السلطان الظاهر بالا الى هذا الازدراء والتهديد من ابغا فقال لرسله أعلموه أنى من ورائه بالمطالبة ولا أزال على ذلك حتى أنتزع منه جميع البلاد التى استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر أقطار الأرض^(١).

فى سنة ٦٧٩ هـ جهز المفلول جيوشهم للمسير الى بلاد الشام ومعاودة الهجوم على المسلمين ، افترقوا ثلاث فرق من أجل الاطباق على المسلمين ، فسارت فرقه من جهة بلاد الروم وفرقة سارت من جهة الشرق وفرقة كبيرة جدا بها شرار المفلول بقيادة منكوتعربن هولاكسو أخ ابغا والمدير لمسير الجيش .

وصلت هذه الأنباء للمسلمين فخرج عسكر دمشق بقيادة الأمير ركن الدين اياجى^(٢) ولحق به عسكر مصر بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش النجمى^(٣)

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥٤ .
(٢) الأمير ركن الدين اياجى بن عبد الله الحاجب من ممالك الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الحلبي الكبير ، توفى ٦٨٦ هـ . انظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٦ .
(٣) الأمير ركن الدين بكتاش بن عبد الله الفخرى النجمى أمير سلاح ، توفى سنة ٧٠٦ هـ . انظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٩٨ ، ج ٨ ص ٢٢٤ .

واجتمعوا مع بقية المساكر الشامية في حماه .

قام المغول بالهجوم على أعمال حلب فاستولوا على : عين تساب^(١) ،
مغراض^(٢) ، ووصلوا حلب وهي خالية من العسكر حيث اجتمع للجيش
الاسلامي في حماه كما أسلفنا ، فاعمل فيها المغول القتل والسلب وأحرقوا
المدارس ودار السلطنة ودور الأمراء وتطاولوا على بيوت الله فأحرقوها
وأقاموا في المدينة يومين أكثرا فيها الفساد ولم يسلم أحد من شرهم الا من
اختفى عن أعينهم في المفائر ، ثم رحل المغول الى بلادهم بما أخذوا
قانعين بهذا الانتصار^(٣) .

السلطان المنصور قلاوون :

في سنة ٦٨٠ هـ عاود المغول هجومهم على بلاد الشام ، فقام
أبغا بجمع الجيوش وسار بها نحو الشام قاصدا حمص فبادر السلطان
المنصور بتجهيز المساكر الاسلامية وسار يريد بها حمص ليقطع دابر المغول

-
- (١) عين تاب : قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية .
أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٧٦ .
- (٢) مغراض : وتكتب بغراس وهي مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة
فراسخ على يمين القاصد الى أنطاكية من حلب .
أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ .
- (٣) المقریزی : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٦٨١ ، ٦٨٢ ابن تفری بردي :
النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية
ج ١٣ ص ٢٩٤ .

ويرد هم على أديارهم^(١) . في هذه الأثناء وصلت الأنباء الى الجيش الاسلامي بانقسام المغول الى فرقتين فسارت فرقة مع ملكهم أبغا بن هولاكو الى الرحبة^(٢) ومعه صاحب مازدين^(٣) ، وفرقة أخرى أرسلها الى حمص بقيادة أخيه منكوتر .

استغل المسلمون هذه الفرصة فبادر السلطان المنصور بالمسير بعساكره الى حمص فالتقى الفريقان بظاهر حمص فاستطاعت ميمنة وقلب الجيش الاسلامي أن تنزل الهزيمة بالتروطارد وهم يقتلونهم فانهزم منكوتر والقلب ، أما هزيمة المسلمين فقد لحقت بها الهزيمة وهربت عساكرها الى دمشق ، فسار التتر في أثرهم الى أن وصلوا حمص ، فقتلوا كثيرا من العامة والفلماني والعسكر فاجتمع الناس رجالا ونساء وأطفالا في جامع دمشق وتضرعوا الى الله سبحانه وتعالى لفك وإزاحة هذه الغمة عنهم وضجوا بالبكاء وحملوا المضاحف على الرؤوس وخرجوا الى المصلى خارج البلد سائلين الله النصر على الأعداء^(٤) .

-
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٥ .
 (٢) الرحبة : قرية بحداء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج اذا أرادوا الكوفة . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣ .
 (٣) مازدين : قلعة مشهورة على جبل الجزيرة أمامها روض عظيم به أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط ، ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩ .
 (٤) المقريزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٦٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٥ .

كان السلطان المنصور ثابتاً في المعركة رغم قلقه من حوله حيث لم يكن معه سوى ألف فارس مما دفع بقية الأمراء الذين أرادوا الهرب من المعركة أن يعودوا مرة أخرى ويحطوا على التتر حملة رجل واحد حتى كسروهم باذن الله^(١) ، ثم وصل إلى ميمنة التتر انهزام جيشهم بعد انتصارهم فبادروا بالهرب فتبعهم عسكر المسلمين قتلاً وأسراً ، وكانت عدة التتر ثمانين ألف فارس ، خمسين من المغل والبقية جموع من أجناس مختلفة من أصحاب البلاد التي استولى عليها المغول مثل الكرج والأرمن والعجم وغيرهم إلا أن كثرتهم لم تغن عنهم شيئاً فشنت الله شملهم وأنزل سكينته^(٢) على المؤمنين .

لم ييأس التتر من انهزامهم وقرر ملكهم أبغا أن يعاود الكرة ويجهز جيشاً ضخماً أكثر من السابق لكي يثأر لكرامته ويعيد اعتباره بعد هزيمة حمص إلا أن المنية قد سبقته فتوفي قبل أن يسير الجيش إلى بلاد الشام .

كان موت أبغا وتولية أخيه تكدار بداية مرحلة جديدة في تاريخ العلاقة بين المماليك والمغول في العراق ، فإعتلاء تكدار العرش بدأ

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٥ .

(٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٤ ص ١٤ ، ١٥ ، المقريزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ابن الوردي : تنمية المختصر ج ١ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٥ .

علاقته الودية مع المنصور قلاوون فيأمر بوقف سير الجيش المغولي الى الشام ويأمر بارسال الرسل الى المنصور قلاوون من أجل اقرار الصلح بينهما^(١) ، فما الذي استجد ؟ بحيث انقلبت الموازين البشرية فيرسل المغول بأنفسهم يطلبون المصالحة ووقف حالة الحرب مع المصريين فيأتينا الجواب .

دخول الايلخان تگدار أحمد دين الاسلام :

لنا أن نتعجب كيف أن هذا الشعب المتبربر والذي أذاق المسلمين صنوف العذاب والقهر ولم يسمح لهم بأداء مشاعرهم الدينية يدخل في دين هذا الشعب المقهور ، فيكون جوابنا أن الاسلام دين الفطرة ودين الحائرين المتعطشين لله ، فرغم الانتصارات وسفك الدماء وخراب المدن والديار الا أن التتر كان ينقصهم ملء فراغ أرواحهم وقلوبهم فوجدوا ضالتهم في الاسلام^(٢) .

كان تگدار أول من أسلم من ايلخانات المغول في العراق ، ويذكر لنا أرنولد أنه شب على المسيحية حيث تعمد في صباه وتسمى باسم نيقولا وحين بلغ سن الرشد اتصل ببعض المسلمين فشرح الله صدره للاسلام فاعتنقه وتسمى باسم أحمد^(٣) .

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٩ .
(٢) باقتباس من كتاب الدعوة الى الاسلام لتوماس أرنولد ص ٢٥٥ ، ٢٥٨ .
(٣) توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

وحين تولى العرش كان مسلما يخاف الله ويخشاه ويعمل على مرضاته ويحاول بكل جهده أن يهdy قومه الى طريق الحق والصواب بعد أن أحس بحلاوة الايمان الا أنه فشل فى مجهوده هذا فلم يوافقه المغول على طريقه هذا حيث كانوا شديدي التمسك بشريعة سلاطين المغول فنقموا عليه ذلك وثاروا ضده والتفوا حول ابن أخيه ويدعى أرغون الذى استغل الفرصة فقتل عمه وارتقى العرش بدلا منه سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م فشن حربا شعواء على الاسلام والمسلمين متبعا لمختلف الطرق والوسائل للتنكيل بهم لكى يكسب المغول الى صفه فبعد اقرار الصلح بين الدولتين لم يدم الحال الا حوالى سنتين مدة حكم السلطان أحمد تكدار لتعود العلاقات المتوترة من جديد وتشتد الحرب بينهما لاختلاف خط سير سلطان المغول، الذى أن ارتقى العرش السلطان غازان وكان سياسيا محنكا وقائدا مجريا أخذ يراجع حساباته ويقلب الأمور فى أسباب الهزائم المتكررة التى لحقت بالتر فمنذ موقعة عين جالوت الى موقعة حمص والتتر فى هزائم متكررة ، فرأى أنه يحكم شعبا مسلما يدين بالاسلام ، وينظر الى حكامه المغول الوثنيين نظرة ريب وتشكك فلا يتعاونون معهم فى حروبهم ضد اخوانهم المسلمين، لذلك رأى أن أفضل طريقة يستطيع بها أن يكسب شعبه الى صفه والوقوف الى جانبه فى حروبه ضد المماليك هى أن يدخل فى دين شعبه ويعلمن اسلامه فى سنة ٦٩٤هـ ^(٢) ، ولكى يزيد من التفاف شعبه حوله أظهر الفرح

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠٤.

(٢) ن.م.س: ج ١٣ ص ٣٤٠.

والسرور بذلك فنثر الذهب والفضة عليهم وشهد الجمعة وصام رمضان،
للأمان في تضليل المسلمين تسمى باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأطلق على نفسه اسم محمود غازان ، وقام بالانتصاف للمسلمين من
المسيحيين بعد ما نالهم الأذى والاضطهاد في عهد سلفه ^(١) فنجحت خطته
كما سنرى فيما بعد في موقعة وادي الخازنداران شاء الله أن لم يقتصر الأمر
على كسبه لشعبه فقط بل تعداه إلى جيش الشام ومصر الذي ألقى السلاح
حين علم أثناء المعركة بإسلام غازان لحرمة دم المسلمين ، ولعلم المسلمين
بعد بث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقَاتِل والمقتول في النار " .

لم يستطع غازان أن يستمر في خداع المسلمين بإسلامه المزيف فلم
يلبث أن كشف عن خبيثة نفسه وسطحية إسلامه من خلال الأعمال التي قام
بها جيشه في مسلمي الشام والتي لا يمكن أن تصدر عن مسلم مؤمن بالله
مصدق بالإسلام حيث قتلوا وسرقوا ونهبوا وانتهكوا حرمة بيوت الله ، فيقول
المقريزي : " واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه ... " ^(٢)

(١) مما يؤكد لنا عدم اعتناق غازان للإسلام عن اقتناع وعقيدة أنه حين أراد
التزوج بأحدى زوجات أبيه وشريعتهم لا تحرم ذلك أعلمه أحسن
العلماء بتحريم ذلك في الإسلام ففكر أن يرتد عنه لكي ينال بغيته .
أنظر: إبراهيم شعوط : مقالة في الوعي الإسلامي ص ٢٢ .

(٢) المقريزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩٣ .

هنا تنبه المسلمون الى عدم صحة اسلام التتر وكان على رأسهم ابن تيمية فأخذ يحرض الناس ويعلن أن التتر ليسوا مسلمين انما هم كجنس الخوارج يجب محاربتهم مستشهدا بأفعالهم القبيحة^(١) هذه فأحدث بذلك صحو لدى المسلمين ليراجعوا مشاعرهم ومواقفهم من هؤلاء الفزاة.

أراد غازان التمويه على المسلمين وتبرير فعلته تلك حين رأى تنبه المسلمين لمكيدته فُرسل رسالة الى السلطان الناصر قلاوون يدعى فيها الاسلام ويبرر فعلته تلك بأنها محاولة رد اعتبار بعد غزو عسكر مارد بين له^(٢) ، وانه كان ينتظر اعتذار السلطان له فلم يفعل فأرسل اليه يتهدده ويتوعده مستشهدا بآيات قرآنية تجعل من يقرأ الرسالة يصدق كاتبيها ان لم يقرأ أفعاله بالشام الا أن السلطان والمسلمين لم تنطل عليهم هذه الحيلة الجديدة ، فان عث التتر في البلاد وفسادهم لا يمكن أن تغطيه رسالة فردوا له الجواب وكالوا له الصاع صاعين بعد أن تأكدوا من عدم صحة اسلام التتر فتدربوا على القتال وأعلنوا رفع راية الجهاد في سبيل الله ضد الكفرة والملحددين المتلبسين بلباس الدين .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٥٢٠ - ٥٢١ ، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم .

(٢) سيأتى شرح لهذه النقطة في بداية موقعة وادي الخازندار وسنورد نص الرسالة في الملاحق ان شاء الله تحت رقم ٤ .

وفى سنة ٧٠٢ هـ اشتبك الفريقان فى الموقعة الفاصلة فى تل شقحب
الستى لم يبق بعدها للتر قائمة (١).

بعد موت غازان ارتقى عرش التتر خد ابنه ابن أرغون حيث أظهر الرضى
فى بلاده وقدم الروافضى على المسلمين السنيين وساءت العلاقات بينه
وبين المماليك فى مصر الى أن انتهى أمره بموته مسموماً ، فارتقى العرش
بعده ابنه أبو سعيد فمال الى العدل وإقامة السنة حيث كان من الجيل
الذى تربى على الاسلام فدخل فيه حقيقة لا رياء وسمعة فأقام الخطبة
فى بلاده بالترضى عن الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ثم عثمان وعلى
رضى الله عنهما ففرح الناس بذلك وأخذ الفتن والثورات والحروب وأرسل
للسلطان الناصر سنة ٧٢٠ هـ وحث اليه لطلب الصلح بين الدولتين
وتسوية الخلافات فثبت للناصر صدق اسلامه ونيته فى الصلح خاصة
وقد علم أنه أزال المنكرات التى كانت متفشية فى الدولة منذ عهد أسلافه
كالخمارات والحانات ومواضع الزنا وتشدد فى عقوبة من ثبت عنده ارتكابها (٢)
فأجابه الى ما أراد وأرسل له رسالة لكى يسود الحب والوئام بينهما بدلا
من الحروب واراقة الدماء فتبادلا الهدايا والتحف عدة مرات وبدأت
صفحة جديدة فى تاريخ العلاقة بين الدولتين .

(١) سيكون هناك فصل فى هذه الموقعة ان شاء الله .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

بعد وفاة أبي سعيد سنة ٧٣٦ هـ^(١) تولى سلطنة المغول أحد خلفائه وهو موسى خان حيث واصل طريقه سلفه في كسب ود وصد اقة الممالك خاصة وأنه كان مسلما شديداً التمسك بدينه ويعمل على نصرته فخرج على رأس جيش لمحاربة أحد الخارجين عليه وعلى الاسلام فنصره الله سبحانه وتعالى فأرسل الى السلطان الناصر يخبره بانتصاره على عدوه وقد كان للعلاقات الودية بين البلدين واتحادهم بالاسلام أن تجهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون لنصرة السلطان موسى خان الى أن وردته أخبار هذه الانتصارات فعاد أدراجه وأكرم رسل سلطان المغول وأحسن اليهم وأرسل الى موسى خان رسالة تنطق بالود والصفاء والمحبة لتظهر لنا في النهاية الفرق بين أول رسالة وصلت الممالك من جنكيز خان وآخر رسالة على حسب المعلومات التي وصلت من السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى السلطان موسى خان .

... ..

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٧٤

الفصل الثالث

ابن تيميم وورثته في (اصلاح) المجتمع الاسلامي

ـ جيهاد ابن تيميم في ميادين مختلفة

ـ دور ابن تيميم بعد موقعة وادي القازندار

جہاں اولیٰ بن تیمیہ فی مباحات
مختلفہ

الفصل الثالث

جهاد ابن تيمية

كان ابن تيمية رحمه الله فقيها عالما من أعظم علماء عصره ، امتساز عنهم بجهادهم في جميع الميادين لرفع راية الاسلام والرجوع بالمسلمين الى المنبع الصافي الى الكتاب والسنة فلم يكن رجل دين وعلم ، يلقي دروسه ويحث على الجهاد ليتقاعس و وقت الأزمان بل كان مسلما حقيقيا يعرف رسالته ودوره في هذه الحياة ويستغل قدرته التي وهبها الله إياها ، فحمل السيف والعلم والعلم جنبا الى جنب ، وهو في صفوف المجاهدين يذود عن حمى الاسلام والمسلمين ، فقد وجد ابن تيمية في السلف الصالح القدوة الحسنة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الامة مربيا وقائدا عظيما يقود الجيوش والفزوات وتبعه صحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم وهم حفظة القرآن الكريم والحديث الشريف ففتحت على أيديهم بلاد فارس والروم ، واستمر العمل على منهج السابقين من المبادرة الى الجهاد وفي مقدمة المجاهدين كان العلماء ورجال الدين . ومن أجل ذلك ظلت راية الاسلام مرفوعة طالما كان العلماء في مقدمة المقاتلين . ولعل آخر من عرفنا ممن حطوا السلاح من كبار العلماء هو العلامة القائد المحنك .، أسد بن الفرات (١) كان قاضي قضاة

(١) أسد بن الفرات بن بشر الاندلسي من غرناطة رحل شابا لطلب العلم الى المشرق فأخذ عن مالك بن أنس في المدينة مذهب ، ثم عاد الى أفريقية تولى قضاء القيروان ، ألف كتاب (المختلطة) في الفقه المالكي ، قام بعدة غزوات ، توفي بآخرها في صقلية بوها كان بها سنة ٢١٣ هـ . عنان ، مواقف هاسمة ص ٨٩ ، ٩٠ .

القيروان وكان من أعظم علماء عصره علما وفقها كان جنديا جريئا وبحارا مفامرا
قاد جيشا كبيرا لفتح صقلية فغبر البحر المتوسط واستطاع أن يستولى على
عدة حصون فيها (١)، فلا عجب أن يعيد ابن تيمية سيرة السلف الصالح
حين بعد الناس عن فهم العقيدة الإسلامية الصحيحة وبعد بهم المجهود
عن عصر أسلافنا الأجداد فتكاسلوا وتخاذلوا وأصابهم الوهن فقام ابن تيمية
وأعاد إلى الأذهان صورة أولئك العلماء العاطلين حيث حمل السيف بنفسه
قبل أن يأمر الناس به فكان رجل وقته فإذا ما دعت الحاجة إلى محاربة
المنكرات والموبقات وجدناه على رأس القائمين بذلك والداعين له، وإذا عرضت
مسألة أو مناظرة انبرى لها والف فيها كراريس عدة تبهر السامعين والمفكرين
فهو في كل علم يتحدث فيه كأنه لا يعرف غيره من العلوم لكثرة تبحره فيه ومعرفة
بدقائقه وخصائصه، وإذا ما تعرضت سلامة الإسلام والمسلمين للخطر رأيته
في مقدمة المجاهدين حاميا رايها الجهاد فهو كما قال السيد الجليلي:
(وقف ابن تيمية من مجتمعه موقف الطبيب الماهر بماتى المريض وكيفيته
علاجه) (٢) .

لذلك كان امام ابن تيمية أن يجاهد تارة بظمه وتارة بكلمته وأخرى
بيده بحسب ما يقتضيه الحال .

(١) عنان : مواقف حاسمة ، ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٢) ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٠ .

جهاده بالكلمة :

عرف الناس في ابن تيمية علمه الكثير وبراعته في كل علم يخوض فيه في المساجد والمدارس ، وقد كان رحمه الله لا تأخذه في الحق لومة لائم فإذا ما رأى أخطاء مستشرية في مجتمعه يادر بمحاربتها وبين خطأها فيمقد لذلك كثيرا من المجالس الكبار حيث يحضرها كثير من العامة وطلاب العلم والعلماء ، فكان يتصدى في أيام الجمع لشرح القرآن الكريم في الجامع الاموي بدمشق حيث كان يعقد فيه اكبر حلقات الدروس (١) فقد كان يرى العامة من المسلمين يصيدون عن النبع الصافي ، قد تفشت فيهم أمور بدعية منكورة سببها هذا البعد فيتحمل على عاتقه مع بقية العلماء توعية الناس بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم عليه افضل الصلاة والسلام .

ولم يقتصر أمره على القاء الدروس فقد كان على أتم استعداد للمناقشة في أمور الشريعة الاسلامية ولو أدى به الامر الى الاصطدام بمفاهيم الناس وارااء العلماء وان نال به الاذى في سبيل ذلك . فعقد مجالس للمناظرة في العقيدة والواسطية (٢) حيث حضر فيها كثير من القضاة والعلماء والمفتين والمشائخ والامراء في دمشق دافع فيها ابن تيمية

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠٣ .
- (٢) كان سبب كتابته هذه العقيدة ان احد قضاة واسط واسمه رضي الدين الواسطي قدم للحج وكان فيه خير ودين ، شكا للشيخ ابن تيمية مدى بعد الناس في بلاده وتحت ظل حكم التتر في العراق من بعد عن الشريعة الاسلامية وكثرة تفشى الجهل والظلم فيهم فسأل الشيخ ابن تيمية ان يكتب له عقيدة تكون عمدة له فاستمعاه الشيخ مسن ذلك الا ان الواسطي أصر على ذلك فكتب له هذه العقيدة وهي عقيدة اهل السنة والجماعة . ابن عبد الهادي : العقود الدرية ،

عن معتقده الذى هو اعتقاد اهل السنة والجماعة وتصدى له الشيوخ
كمال الدين ابن الزطكانى فتناظرا وكل منهما بحرف وعلمه وسعة اطلاعه
الا أن ابن تيمية أفهم مناظره بالحجة والبرهان فانتهى الامر بقبول كلام
ابن تيمية والاعتراف له بالعلم والتفوق وصحة المعتقد (١) .

كما كان رحمه الله يعقد المجالس لصرف الناس عن الشرك بالله
مبيناً لهم أحوال كثير من المتفلسفة والصوفية الذين يدعون أنهم أولياء لله
وأن مرتبتهم أفضل من مرتبة الانبياء مدعين ذلك بأعمال خارقة للمعادات
ليسلبوا بها عقول العامة ، فأخذ ابن تيمية فى التصدى لأمثال
هؤلاء مبيناً للناس أن ما يقوم به هؤلاء ليس من الكرامة انما هو احوال شيطانية
يحينهم عليها الشياطين لابعاد الناس عن عبادة الله وحده (٢) فتاب بعض
شيوخهم عن ذلك حين تبين لهم الحق واستغفروا لذنبهم (٣) كما عقـد
مجالس لرد ملابس الجهمية وادعائهم الكاذبة التى يرمون من ورائها السي
الطعن فى الاسلام وابعاد الناس عن عبادة الله وحده (٤) لتمزيق وحدة

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٦ ، ٣٧ ، ابن عبد الهادى :

المعقود الدرية ص ٢٠٣ : ٢٤٨ .

(٢) ابن تيمية : الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ٧٢ ،

والصفحات التى تليها الى ص ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٤) وذلك بادعائهم أن الايمان مجرد تصديق القلب وعلمه وليس

الا عمل من ضمن الايمان فقالوا قد يكون الانسان مؤمناً بلا ايمان

عليه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويمادى اوليائه الخ

(ابن تيمية : الايمان ص ١٦٠ : ١٦٥) .

المسلمين وصرفهم عن الاسلام فقعد مجالس تبين حقيقة الايمان بالله
وانه ما وقر في القلب وصدقه العمل فأبطل بدع أمثال هؤلاء .

— جهاده بالظلم :

اتخذ ابن تيمية سياسة جديدة في جهاده بالظلم حيث خرج به عن
نطاق بلده الذي هو فيه الى الخارج الى ملوك المسيحية يعلمهم بمحاسن
الاسلام ، ويبين لهم حقيقة النصرانية الحق ، ومدى بعدهم عنها ، مما يبين
لناسمعتهم وجراته وقدرته على مخالطة الملوك في الخارج .

فرسالت الى ملك قبرص وهو يعرض عليه فيها محاسن الاسلام ومزاياه
التي انفرد بها عن النصرانية المعروفة المتبعة في ذلك الوقت ، وطالبهم
بالاحسان الى الاسرى المسلمين الذين بحوزته ، وأن معاملته السيئة لهم
لن تكون عاقبتها حسنة له ، فهي ليست من السياسة في شيء ، اذ ان بلاد
المسلمين مليئة بالاسرى من الذميين ولكن المسلمين يعاملونهم وفق تعاليم
الشريعة الاسلامية الغراء ، فيحسنوا اليهم وينذروا عنهم ويحاولوا اطلاق
سراحهم من الاسر أسوة بالمسلمين ، مستشهدا بذلك بما حدث في أيام
غزو التتر للشام حين خاطب ابن تيمية بولاى في فك أسرى المسلمين والذميين الذين
بحوزته ، كما حذر ابن تيمية في رسالته الى ملك قبرص من خطورة سياسته
تلك والتي ستعكس على رعاياه من النصارى الذين في بلاد المسلمين فسي
محاولة منه للضغط عليه واستنقاذ الاسرى منه ، ونلاحظ ان ابن تيمية يعطيه
هذا لم يسقه أحد اليه ماعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل المقوقس
والى ملوك ورؤساء القبائل عارضاً عليهم الاسلام ، فقام ابن تيمية بهذا العمل
مقام ولى الامر حين تقاعس عنه .

(١) كذلك حمل ابن تيمية على عاتقه الجهاد الفكري في الداخل والخارج فكان اذا رأى منكراً سارع بازالته مسجلاً ذلك في كراريس ايمانه بأن الكلمة المكتوبة اكثر رسوخاً في الازهار وباقية على مرالزمان فجمع بين القاء الكلمة في دروسه وكتابتها ، خاصتوقد كثرت في عصره كتب الملاحدة والفلاسفة والروافضى واخذت تروج بين العامة وفيها الطعن والدس على الاسلام مما استلزم من ابن تيمية ان يسجل رده على أمثال هؤلاء ليكشف خططهم أمام المسلمين ويرد على بدعهم وضلالاتهم ومؤلفاته كثيرة جداً لا يمكننا أن نحصيها في هذا البحث . لذلك سنكتفي بذكر بعض آثاره ومؤلفاته (٢) التي منها :

أولاً : الاعمال العامة : ومنها :

مجموع الفتاوى وهى عبارة عن فتاوى ابن تيمية التى انفرد بها عن غيره وكانت فى غالبيتها اجابة لاسئلة موجهة اليه امثال : الفتاوى الكبرى ،

(١) فى الداخل بمحاربة اهل البدع والفسق وغيرهم . وفى الخارج الدسائس التى كانت تحاك ضد الاسلام امثال رد ابن تيمية على الرسالة القبرصية التى كتبها بولص الراهب اسقف صيدا لاناكسى حيث كتبها الى بعض اصدقائه فوقعته فى يد ابن تيمية فوجدها فيها ٦ دعاوى مضمونها ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل اليهم وانه عليه السلام اثنى على دينهم فوجب عليهم التمسك به وغيره مما فيه الكذب على الاسلام فانبرى لهم ابن تيمية وتصدى لهم بالحجة والبرهان فالف فى ذلك كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ٣-٤ .

(٢) للاستزادة من اسما مؤلفاته يرجى الاطلاع على : الكتبى : فتاوى الوفيات ج ١ ص ٧٥ : ٨٠ ، ابن عبد الهادى : العقود الدريسة ،

ص ٢٦ : ٨٧ ، Qameruddin Khan, The Political Thought, p. 186 - 205.

وهي من خمس مجلدات (١) ، ومنها مجموع فتاوى ابن تيمية في سبعة وثلاثين مجلد نسقت وجعلت في ابواب : في توحيد الربوبية - الاسماء والصفات - المنطق - اعتقاد السلف - الزكاة - الجهاد . الخ (٢) .

ثانيا : الاعمال الخاصة :

١ - في القرآن الكريم والتفسير

وهو شرح لبعض السور القرآنية والايات مثل :
تفسير سورة البقرة (٣) ، وتفسير سورة النور (٤) .
" والرسالة المعبودة " : تناول فيها الايات المتعلقة بالعبودية
في كل القرآن الكريم والاثار الشارحة لذلك من كلام سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح (٥) .

٢ - في الحديث الشريف ومنها :

اربعون حديثا رواية شيخ الاسلام ابن تيمية عن اربعين من كبار
مشايخه (٦) .

-
- (١) تحقيق محمد حسنين مخلوف .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم وابنه محمد .
(٣) البغدادي : ايضاح المكنون ج ١ ص ٣٠٦
(٤) المصدر السابق ص ٣٠٨ ، صبرى المتولى ، منهج ابن تيمية ص ٢٥٦ .
(٥) صبرى المتولى منهج ابن تيمية ص ٢٥٦ .
(٦) المصدر السابق ص ٢٧٦ .

- ٣ - في العقيدة : ومنها :
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : تحدث فيها ابن تيمية عن معنى التوسل وحارب فيه ما انتشر في زمانه من التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم ويقبور الانبياء والصالحين مستشهدا بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية وآثار السلف الصالح (١) .
- ٤ - في علم الكلام : ومنها :
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم وهي رسالة في مخالفة اعيان اليهود والنصارى وسائر امورهم التي تخالف الشريعة الاسلامية (٢) .
- ٥ - في التصوف والمتصوفة ومنها :
- مناظرة ابن تيمية العلنية لدجاجة الباطنية الرقاعية " وقد كانت الرقاعية طائفة صوفية معروفة في عصر ابن تيمية خلطوا الايمان الحقيقي بالسحر والاسطورة وشتى ضروب الباطل ، ويمسك تصدى ابن تيمية لهم احد الملامح البارزة في حياته (٣) .
- ٦ - في علم الفلسفة ومنها :
- نصيحة الايمان في الرد على منازق اليونان . وقد لخصه السيوطي في كتابه جهد القريحة في تجريد النصيحة (٤) .

(١) ابن تيمية : التوسل والوسيلة .

(٢) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم .

(٣) صبرى المتولى : منهج ابن تيمية ص ٢٧٧ .

(٤) المصدر السابق . ص ٢٧٧ .

- ٧ - في علم الفقه : ومنها :
- السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية . تعرض فيها للشروط الواجب توافرها في ولى الامر وانها تشمل القوة والامانة كما تكلم فيه عن حقوق كل من الراعى والرعية مستشهدا في ذلك بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية (١) .
- ٨ - في الاخلاق والسلوك : ومنها :
- جوامع الكلم الطيب في الادعية والاذكار : وهو في الحث على ذكر الله وذكر لا شهر الادعية عند الصوم - وفي دخول المسجد - وفي دعاء الاستخارة (٢) . . . الخ .
- ٩ - القصائد : ومنها :
- منظومة في القدر في الرسائل المنيرية وهي رد على رسالة وجهت اليه شعرا حول الجبر والاغتيار وقد اثر ابن تيمية ان يجيب عليها شعرا (٣) .

...

-
- (١) ابن تيمية : السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية .
- (٢) ابن تيمية : الكلم الطيب .
- (٣) ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٣٨٣ : ٣٥٢ ، ذكر فيها نص السؤال شعرا وجواب ابن تيمية عليه في مائة وخمسة ابیات .
- صبرى المتولى : منهج ابن تيمية ص ٢٨٠ .

جِهَادُهُ بِالْيَدِ :

يمكننا أن نقسم جهاد ابن تيمية باليد الى :

١ - جهاد بالفعل :

حين قام بنفسه بمحاربة البدع والخرافات والمعاصي والموبقات المتفشية في جسم الدولة الاسلامية في محاولة منه لرجاع المسلمين الى الكتاب والسنة والدفاع عن الاسلام وبذل ارواحهم في سبيل الله لان تفشى المعاصي والموبقات دليل على هوان الامة وتكاسلها وتخاذلها وبعدتها عن شريعة الله فكيف والحال كذلك تبغى النصر على أعداء الله وقد كان لوضع الدولة الاسلامية في ذلك الوقت - نتيجة لفترات المفل على الشام وكيف أعداء الامة في داخل الدولة - ان انتشرت كثير من البدع والضلالات اخذت تنخر في جسم الامة فكان أن هب ابن تيمية بنفسه لا يقف التيارات ومحاولة اصلاح ما فسد فقام مع تلامذته بعملية تمهيط للبلاء دار فيها على الخمسارات والحانات واماكن الرذيلة وأزال اثارها وعزز من وجدته فيها (١) . كما قضى ابن تيمية على آفة كبيرة كادت أن تهلك الامة الاسلامية ، فقد كان البعض يتوجه الى صخرة بظاهر دمشق يتبركون بها وينذرون لها النذر فقطع الصخرة وازالها فاراح المسلمون من شرها وشركها (٢) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١١ ، عبد السلام حافظ :

ابن تيمية ص ٢٧ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٤ ، عبد السلام حافظ :

ابن تيمية ص ٢٧ .

رأى ابن تيمية اقواما ضالين مضلين يهدفون الى ابتعاد المسلمين عن دينهم بطارق متعددة بحجة عبادته حق العبادة فبين بعد هؤلاء عن أساس العقيدة الاسلامية وأن افعالهم هذه باطيل لا أساس لها من الصحة فقام بتعزير احد الفقهاء يدعى الدين وهو متسخ الثياب طويل الشعر والاظافر مسبل الشارب مخالفا بذلك السنة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلق ابن تيمية راسه وقلم اظافره وهف شاربه ومنعه من أكل الحشيشة وما يغير العقل (١) .

وكان لحالة الاضطراب في الدولة الاسلامية ان اخذ المشعوذون والمضلون ينتشرون بصور كثيرة ويلاقون استعدادا كبيرا من العامة لبعدهم عن شرع الله كما كثر تشبه الصبيان بالنساء فكان لابد لابن تيمية من ان يتصدي لهمؤلاء ويضرب على أيديهم بيد من حديد فقام بخلق رؤوس الصبيان وتعزيرهم (٢) لكي يقضى على هذه البدعة كما قام باحضار شيخ يدعى تفسير الاسلام ويتناول المحرمات فاستتابه الشيخ عن هذه الافعال (٣) .

كما انتشرت في عهده الزندقة فعمل على ازالتها فأحضر شيخا اشتهر باهانته لكتاب الله وبالاسلام فاستتابه ونصحه الا انه لم يقبل ذلك فكان ان نفذ فيه حكم الحاكم بالقتل ليكون رادعا لمثاله وتنبیها للمسلمين من هذه الافعال ومدى بعدها عن الاسلام (٤) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٢٢ : ١٢٣ .

وقد كان للصوفي أثر كبير على عقول الناس فكان ابن تيمية رحمه الله يقف لهم بالمرصاد ويكشف أحوالهم وكلما أرادوا أن يخذعوا العامة بحيلهم أفسدها عليهم وفضحهم وأعلن سرائرهم بمساعدتهم للكفار من التتر وغيرهم ضد المسلمين فاجتمعوا لدى نائب الشام وشكوا إليه كثرة تعرض ابن تيمية لهم وطلبوا أن يدعمهم وحالهم وكعادتهم أرادوا خداع النائب والحاضرين بحيلهم المعروفة إلا أن ابن تيمية كشف حالهم حين أرادوا الدخول في النار لكي يدللوا على أنهم من أولياء الله فقال لهم ابن تيمية — أراد الدخول في النار فليختل بالماء والخل ثم يدخل النار ولو خرج سليماً فلا يدل ذلك على ولايته إنما هي أحوال شيطانية فقالوا له بمسند أن كشف طريقهم: إنما تتفق أحوالنا عند التتر لا عند هؤلاء فكشفوا بذلك عن خبيثة أنفسهم وكشفهم لمعورات المسلمين فاستتابهم النائب ورجع بعضهم عما كان فيه (١) .

وقد كان لأعمال ابن تيمية تلك تأثير كبير على الأمة الإسلامية
فإن كان لم يستطع أن يزيل كل آثار هذه البدع والضلالات إلا أنه رفع راية
ابطالها فأخذ المسلمون يحتنون بأمر دينهم ويميزون بين المقيم والصحيح
خاصة إذا علمنا مدى تأثير هذه المعاصي والقائمين بها لو تركوا على ما هم
عليه من إصابة الأمة الإسلامية كلها بهذه الأدواء ، كما كان ابن تيمية
نهراسا لمن جاء بعده من دعاة الإصلاح (٢) ، ونلاحظ أن أنكار ابن تيمية

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٦ ، ابن عبد الهادي: المعقود
الدريّة ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) امثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغيره .

للبدع وازالة المنكرات بيده بدون اذن ولي الامر كان في فترة الشباب والحماس وفي الوقت الذي سادت فيه الاضطرابات في الامة الاسلامية نتيجة لخارات المنقول وخروج كثير من المخربين من السجون حيث عاشوا في الارض فسادا فلم تكن هناك سلطة ضابطة دائمة نتيجة لتلك الاوضاع المضطربة فقام ابن تيمية بنفسه لازالة المنكرات واقامة الحدود من تعزير وجلد وحبس وغيره ، اما بعد استتباب الامن في البلاد اي بعد حوالي سنة ٧٠٥ هـ حيث كانت فيها المعركة التي قطع فيها دابر الكسروانيين والروافض فقد رأى ابن تيمية ان دوره في ازالة المنكر بدون اذن من ولي الامر أمر مرفوض شرعا وجهل منه بحقوق الراعي ، فذكر أن ما كان يفعله خطأ منه وهو يرجع عنه ويستغفر الله سبحانه وتعالى من ذنبه لانه تعدى على حقوق ولي الامر فقال (اما ما كنا نقوم به منذ عشرين عاما فهو غلط سببه نقص العلم وقد أوقعنا فيه الغير على السنة وحمية الشباب وشدة الجهل بما للراعي على الرعية من حقوق فعفا الله عما سلف ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) (١) . وهو يرى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل احد بعينه بل هو على الكفاية (٢) .

وهنا نلاحظ ان اعتراف ابن تيمية بخطئه لم يكن لينقص من قدره فالاعتراف بالحق فضيلة انما يزيد هذا الامر رفعة ومكانة لنزاهته ونشدانه للحق والعدل واعلانه وان كان على حساب سمعته .

(١) عبد الرحمن الشرقاوي : الاهرام مقالة ص ١٣ : ١٨ / ٨ / ٨٢ م .

سورة البقرة من اية ٢٨٦ .

(٢) ابن تيمية : الحسبة في الاسلام ص ٦١ . وهو يقول في ص ٦٢ : وليكن امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر .

الا أننا نتساءل حول هذا الموضوع فهل كان ابن تيمية يقصد
منع العلماء من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ولو لم يقيم ولي الامر
بهذا العمل ، فيتركون واجبهم الذي فرضه الله عليهم حيث قال عز وجل
” ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر “^(١) الآية . فينتشر المنكر في المجتمع الاسلامي
واولئك هم المفلحون . . . (١) الآية . فينتشر المنكر في المجتمع الاسلامي
بدون رادع او رافع بحجة ان هذا الامر من اختصاصات ولي الامر ؟

أم ان الهدف الذي كان يقصده ابن تيمية من الرجوع عن رايه هو
ان ولي الامر اذا كان ممن يقوم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ففقد
هذه الحالة لا ينبغي للعلماء ان يتولوا هذا الامر بانفسهم .

اما اذا كان ولي الامر لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ففقد هذه
الحالة يجب على العلماء ان يقوموا بالدعوة الى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر بالوسائل التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :
(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسهه فان لم يستطع
فليقلبه وذلك اضعف الايمان) .

ب - جهاده بالسيف :

كانت المهمة الطقاة على عاتق ابن تيمية مهمة عظيمة وجليلة
وكان ابن تيمية بحا وعبه الله من قدرات قادرا على حمل اعبائها والقيام بها
على اكمل وجه فقد كانت الامة الاسلامية الى جانب انتشار المعاصي والموبقات
بها كانت في نفس الوقت تتعرض لهجمات شرسة من داخل الدولة وخارجها
تهدف الى تقويض اركان الامة الاسلامية بينما نجد ان المسلمين في سببات

(١) سورة آل عمران ، آية ٣ .

عميق لا يدركون ما هم فيه ، لذلك كان لابد ان يقوم رجل بهزها هزات عنيفة لكي تستيقظ قبل فوات الاوان فكان ذلك الرجل هو ابن تيمية الذي رأى الطوائف التي تدعى انها تدن بالاسلام وهي ليست منه امثال النصيرية والروافض وسكان الجبال ممن يخيرون على المسلمين ويسلبونهم ويبيعونهم للكفار ومساعدتهم للقتل وشحاتهم بالمسلمين ، كما رأى الخطر المفولسى الذى يدعى الاسلام والاسلام منه برى يزحف كال موج الكاسح بدون أن يجد أمامه أحدا يصدده لذلك قرر أن يتصدى لهذين الخطرين معا ويعمى على تهديئة نفوس المسلمين لمجاهدة هؤلاء بعد هزيمة المسلمين فى وادى الخازندار مع تبين عدم صحة اسلامهم وادعائهم له ليتخذوه وسيلة لخداع المسلمين وتثبيط عزائمهم لذلك كان عليه أن يبدأ مع المسلمين من نقطة الصفر فقام بتوعية الناس بوجوب رفع راية الجهاد فى سبيل الله فقام بمقعد جلسات عدة مبينا فضل الجهاد فى سبيل الله (١) وان جهادا وابطا فى سبيل الله خير من الف صلاة ، كما استشهد بالآيات القرآنية وبما اعده الله من الجزاء الكبير لهم ان خرجوا من ديارهم لنصرة دينه واعلاء كلمته (٢) فالتف الناس حول القائد المربى وأخذ يدب فيهم الحماس لرفع لواء الجهاد، وحين تهيأت نفوس المسلمين للجهاد أخذ ابن تيمية ينتقل من طور الناحية النظرية الى الحالة العملية فقام بنفسه بالتدريب وتدريب المسلمين على حمل السلاح وركوب الخيل وعلم الفقهاء حرب السهام

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٥٢ .
(٢) ابن عبد الهادي : الحقود الدرية ص ١٢٠ - ١٢٥ .

والمقاتلة استعدادا ليوم المعركة المرتقب (١) فكان لمشاركته الفعلية اثر كبير في تدفق الناس لشراء السلاح والتدريب عليه كما قام بعد ذلك بالدوران على الاسوار بين المجاهدين لتثقيفهم ومشاركتهم في رباطهم في سبيل الله (٢) مذكرا اياهم بما أعدّه الله لهم من أجر كبير مع ملازمته لمعقد حلقات في المساجد لتثبيت الناس وحضهم على القتال والانفاق في سبيل الله بالمال والانفس (٣) .

لم يكتفى ابن تيمية بحلقات المساجد والدوران على المجاهدين بسبل كان يخرج بنفسه الى خارج البلد لكي يمتد نشاطه الى أولئك الذين خرجوا لمقاتلة التتر فيمكث عندهم عدة ايام غير هياب ولا وجل وهو الرجل الشجاع في كل موطن فسبتهم وقوى جأشهم وطيب قلوبهم وخواطرهم ووعدهم بالنصر والظفر على أعداء الله مستدلا بقوله تعالى : (ذلك ومن عاقب بمثل ما هو قب به ثم بنى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور (٤)

فلم يهرب من أرض المعركة حين استدعى الامر وجوده ، حيث كان على المكس على رأس القائمين باستثارة الهمم والعزائم لمجاهدة المشركين وكان رحمه الله سريع الحركة اذا استدعى الامر منه الرحيل بأقصى سرعة لاستثارة هم سلطان مصر لمحاربة التتر فرحل مسرعا وادى المهمة على أكمل وجه (٥) .

-
- (١) انور الجندی : نوابغ الفكر الاسلامي ص ٣٢٣-٣٥٥ .
 - (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١١ ، انور الجندی : نوابغ الفكر الاسلامي ص ٣٢٣ .
 - (٣) أنور الجندی : نوابغ الفكر الاسلامي ص ٣٢٣ .
 - (٤) سورة الحج آية ٦٠ .
 - (٥) ابن عبد الهادي العقود الدرية ص ١٧١ ، عبد السلام حافظ ابن تيمية ص ٢٥

كان في امكانه ان يبقى بمصر بميدان المعارك بعد ان ادى مهمته مع سلطان مصر ، ولكننا نجده يصود على جناح السرعة لتطمين جيش الشام بقرب وصول امدادات السلطان لهم ليرفع بذلك من معنوياتهم ثم قام بمشاركة المعسكر في رباطهم استعدادا ليوم المعركة الفاصلة حيث كان همه الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .

ومن قبل ذلك حين قام في سنة ٦٩٠ هـ بالاشتراك مع الجيش المسلم لقتال الفرنجة في عكا حيث أظهر في هذه المعركة من ضروب الشجاعة ما يعجز عنه الابطال (١) فحمل لواء الجهاد ضد الكفرة فكانت هذه المعركة بداية للشيخ في التمرس في القتال استعدادا لخوضها من جديد ضد التتر في سنة ٦٩٩ هـ وقد أظهر الشيخ في هذه المعركة حنكة وسياسة في فتح المدينة (٢) ، وفي ذلك يقول البزار (ولقد كان السبب في تطكك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره) (٣) .

وحين لاحت بوادر قرب وقوع المعركة الفاصلة بين المسلمين والتتر بدأ التخاذل في صفوف المسلمين في مدى مشروعية مقاتلة هؤلاء ومن أي جنس هو فهم ليسوا بغاة على الامام فلم يكونوا يوما في طاعته فسارع ابن تيمية لتوضيح هذه المسألة خاصة وان كثيرا من العلماء تحيروا ازاء هذا الموقف

(١) البزار : الاعلام العلية ص ٦٣ ، انور الجندی : نوابغ الفکر

الاسلام ص ٣٢٣ .

(٢) يقصد بها مدينة عكا .

(٣) البزار : الاعلام العلية ص ٦٣-٦٤ .

فالتتر أعطوا اسلامهم وأقاموا بعض شعائر الاسلام في بلادهم فانبرى ابن تيمية بتوضيح هذه المسألة مستشهدا بسيرة التتر بعد موقعة وادي الخزندار في اهالي الشام ففي سنة ٦٩٩ هـ وبعد اعطائهم الامان لأهل دمشق رأهم يسبون ذراري المسلمين حيث اسروا اكثر من مائة ألف مسلم وفعلوا بالصالحية ونابلس ودارها وببيت المقدس مثل ذلك كما فجرُوا بنساء المسلمين في المساجد كالمسجد الاموي وغيره من المساجد وهذا أفعال لا تصدر من مسلمين مؤمنين بالله بالاضافة الى أنهم قاموا بهدم بعض المساجد وازالة آثارها (١) .

ثم نظر الى عسكر التتر الذين يدعون الاسلام فوجد أنهم لا يصلحون ولم يصح حبهم مؤمنون ولا امام بل كان رجال دولة غازان من شرار خلق الله فكانوا بين كافر أو منافق أو زنديق لان من لا يعتقدون الاسلام فسي الباطن انما هم روافض وجهمية واتحادية . ولأنهم تاركوا الصلاة والصيام ولم يبالوا بالحج رغم قدرتهم عليه (٢) .

ثم بحث ابن تيمية في أصل خروج التتر لمحاربة المسلمين فوجد أن قتالهم للهلك على سيرة ملكهم جنكيزخان وليس لرفع راية الاسلام وأن من أطاعهم قربه وأدنوه منهم ومن عصاهم عادوه ولو كان من خيار المسلمين ثم رأى أنهم لا يحفظون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يساوون بيته وبين ملكهم الكافر جنكيزخان ولم يكتفوا بذلك بل رجحوا دين اليهود والنصارى

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٥٢٠-٥٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٢١ .

على دين الاسلام واستشهد ابن تيمية بفعلهم هذا على اثبات كفرهم وخروجهم عن طاعة الاسلام خاصة وقد اظهروا الرفض ومنعوا ذكر الخلفاء الراشدين على المنابر وقربوا اليهم القرامطة والملاحدة والزنادقة وحكموهم في رقاب المسلمين فجعلوا منهم قضاة ووزراء ليوافقوهم في احكامهم ومعاملاتهم مع التظاهر باقامتهم لشرع الاسلام ليخدعوا المسلمين باسمهم المزيف فاقاموا الجمع والصلوات في المساجد ولم يمنعوا المسلمين من ادائها (١) .

حين استمع المسلمون والعلماء لاستنتاجات ابن تيمية هذه تنبيه كثير منهم وقرروا التضامن والاتحاد ضد الكفرة والملحدتين أعداء الطاعة والدين والتفوا حول ابن تيمية لرفع راية الجهاد وشحن الهم لمقاتلة الأعداء، الى أن تم لهم التجمع في تل شقيب جهاداً في سبيل الله فحقق الله لهم وعده ونصرهم وهزم أعداءهم وشتت شملهم . (٢)

...

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٥٢٢ : ٥٢٧ .

(٢) عبد السلام حافظ : ابن تيمية ص ٢٦ ، انور الجندى : نوابغ الفكر الاسلامي ص ٣٢٤ .

دور این تبسم بعد موفقت
دلای الفتان زلال

— موقعة وادي الخازندار —

— مقدمات الموقعة —

شمر غازان (١) عن ساعديه لقصد البلاد الشامية وذلك حين قدم عليه بعض أمراء المسلمين امثال قبچق نائب الشام ورفقته (٢) فسير جيشا مكونا من خمسة وعشرين ألف من الفرسان الى بلاد الروم بقيادة ابن عمه سلامش بن أبا جوبن هولاكوليستولى على بلاد الروم ثم يتوجه بمسلك ذلك مع بقية عسكره الى الشام من جهة بلاد سيبس (٣) ، فيلحقه غازان بعد ذلك بسائر العسكر من ديار بكر وينزلوا الفرات ويجتمعون على مدينة حلب حيث ستكون نقطة لانطلاقهم للاستيلاء على بقية مدن الشام (٤) .

-
- (١) غازان بن ارغون بن ايقبا بن هولاكو بن جنكزخان صاحب المراقيسن وخوسان وفارس واذريجان والروم ملك سنة ٦٩٣ هـ فحسن له نائبه توزن الاسلام فاسلم سنة ٦٩٤ هـ واسلامه فشا بين التتر الاسلام وكان قد تسمى محمود حين اسلم ونثر الذهب والفضة على رؤوس الناس . (ابن تغرى بردى : النجوم ج ٨ ص ٢١٣ ، الكتبي : فوات الوفيات ج ٤ ص ٩٧) .
- (٢) كان الامير سيف الدين قبچق نائب السلطنة في الشام خرج على رأس جيش كبير قاصدا بلاد السيبس بأمر السلطان لاجين وحين وصل حمص بلغه وجماعة الامراء عن تغير السلطان من ناحيتهم فاتفق مع جماعة من الامراء على الدخول الى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم وهم قبچق ويكتمر السلحدار والاليكى . . ورجع بقية الجيش الى دمشق . (ابن كثير البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢) .
- (٣) يقال لها سيسة من اعظم مدن الثغور الشامية بين انطاكية وطرسوس . الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٩٧ .
- (٤) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٧٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١١٧ .

لم تجهيز الأمور كما أراد غازان ، فما ان استطاع سلامش أن يدخل بلاد الروم حتى داخله الطمع في الاستقلال بالملك فخلع طاعة غازان وملك بلاد الروم ولكن يكسب الجند اليه أتفق عليهم الاموال الكثيرة ، كما خلع على أكابر الامراء الروم الذين دخلوا في طاعته وكان عددهم فوق العشرة آلاف فارس فأرسل سلامش الى مصر يطلب النجدة ضد غازان ويعلمهم بتملكه ببلاد الروم (١) .

حين وصل خبر سلامش الى غازان غير خطة سيره الى الشام وشرع في تجهيز المعسكر فبلغ عدده خمسة وثلاثين ألف فارس وسيره الى الروم بقيادة بولات لقتال سلامش ، ثم رحل هو الى تبريز ومعه الامير قهچق المنصوري والامير يكتمر السلاح دار الالهكي ، وصل بولات الى الروم فوجد سلامش قد جمع له جيشا كثيفا قوامه أكثر من ستين ألف فارس فلما تقارب الجيشان فرائت الروم من جيشه وانضموا الى بولات كذلك تركه التركمان الذين كانوا في جيشه وصعدوا الى الجبال فتلفت سلامش حواليه فوجد نفسه في جميع دون الخمسمائة فارس وكان السلطان الناصر قد أصدر مرسوما الى نائب الشام بارسال خمسة عشر اميرا مع عساكره لنجدة سلامش فلما انكسر ورجع منهمزما توقف المعسكر عن المسير ثم وصل سلامش الى دمشق حيث تلقاه نائب الشام بالحفاوة والترحيب واقام احتفال كبير لملاقاته كما أكرمه النائب اكراميا

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٧٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١١٨ .

زائدا (١) ثم سار سلامش الى الديار المصرية فأكرمهُ السلطان الناصر وأنزلهُ
في ضيافته بضمعق يام التقى فيها باركان دولة الناصر وتحادثوا عن الوضع
ومدى خطورة التتر وغزوهم لبلاد الشام وغيره من احداث تلك الساعة (٢) .

ثم رجع سلامش الى حلب ليمعدها لتكون المنطلق في دفع الخطر
المفول عن بلاد الشام .

بمقد خروج سلامش من مصر جهز السلطان الناصر خلفه أربعمائة
آلاف فارس من عسكر مصر لمساعدته في قتال التتار وجعله كمقدمة لجيشه
حيث أزمع السلطان على الخروج بنفسه لوقف الخطر المفول (٣) .

وصلت العساكر الى حلب فلقاها سلامش وخرج مع الامراء لمقاتلة
التتر الذين أعدوا كميناً لسلامش وهزموه هزيمة منكرة ففر منهم الى بعض
القلاع فتلاحق فرسان التتر لمطاردة الى ان تمكنوا من القبض عليه وارسالهِ
الى غازان حيث أمر بقتله (٤) .

-
- (١) المقرئى : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٧٦ : ٨٧٧ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٧٨ .

— موقعة وادي الخزندار :

— أسبابها :

- ١ — رغبة التتر التوسع وامتلاك البلاد واكمال غطتهم بالسيطرة الكاملة على العالم الاسلامي واخضاعه لنفوذهم .
- ٢ — غزو سلامش بعسكر حلب الاسلامي لماردين وهي تحت حمايته غازان والى ذلك يشير المقرئى حيث قال : وكان سلامش هذا من أكبر الاسباب فى حركة غازان الى بلاد الشام ، وذلك انه نهى بعسكر حلب ماردين فى شهر رمضان حتى أخذ ما كان بجامعها وفعل افعالا قبيحة فحرك فطه ما عند غازان وجعله حجة لسيره (١) .

فان اذا كان الامر كما ذكرنا كان سلامش من الاسباب وان كانت ذريعة تدرع بها غازان لئلا يغزو البلاد الشامية ويخضعها لسيطرته .

...

(١) السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٢٨ وما يوضح لنا هذه النقطة طاجاء فى نص الرسالة التى بعثها غازان قبل الموقعة للسلطان الناصر قلاوون المقرئى . السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ١٠١٦ : ١٠١٨ وماردين قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دارا ونصيبين امامها رينى عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط . (ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩٠) .

— سير المعركة : (١)

كانت العلاقة بين التتر وحكام مصر علاقة عداء مستحكم ووقائع حربية كما ذكرنا في فصل سابق ، كان النصر فيها يحالف جيش المسلمين — مما جعل التتر يراجعون انفسهم باتباع خطة جديدة في حربهم ضد المسلمين فوجدوا أنهم يحكمون شعبا مسلما يميل الى اخوانه من المسلمين في مصر والشام فلا يتعاون مع الحكام الوثنيين ضد اخوانه المسلمين فقرر غسان الدخول في دين الاسلام حين أشار عليه نائبه توزون بذلك فنثر الذهب والفضة على الناس ففرح الناس بذلك كثيرا (٢) وكان ذلك في عام ٦٩٤ هـ .

فلما كانت سنة ٦٩٩ هـ كان السلطان قد تحرك بمساركه من مصر الى الشام حين بلغه أن التتر قصدوا تلك البلاد فوصل دمشق بمسكوه فخرج أهلها لتلقيه رغم الامطار الشديدة والبلل والوهل لشدة فرحتهم بحضور السلطان لحمايتهم من المفلول وصد هم عن دخول بلاد الشام (٣) .

-
- (١) نرجو مراجعة ملحق الخرائط الخريطة رقم (٤) .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٤٠ .
(٣) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢١ .

كان الناس في بلاء عظيم وهم كبير ومحنة شديدة فأخذوا يتضرعون بالدعاء لله سبحانه وتعالى لنصر الاسلام والمسلمين . ومن الطبيعي أنه عند الشدة يلجأ المباد الى الله ، فاشتدت صلتهم به وكثر الدعاء والابتهال والتضرع الى الله سبحانه وتعالى لكشف هذه الغمة بطوب خاشعة خاضعة متذلة مؤمنة بأن الله قوى عزيز قادر على ان يخزي عدوهم وينصرهم ان اخلصوا النية له وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيله (١) .

تحرك السلطان الناصر وعساكره من دمشق لملاقاة غازان فوصل بجيوشه الى وادي الخزندار عند وادي سلمية (٢) حيث ظهرت له طواليع التتر الكثيفة بعد أن كان قد أشيع أن غازان عزم على الرجوع عن الشام لمابلغه من كثرة الجيوش الشامية ومسير السلطان من مصر لمساعدتها ضد التتار وكانت هذه مكيدة من غازان لكي يفت في عضد الجيش المسلم (٣) .

أصدر السلطان أوامره للجيش فأمر العساكر برمي الرماح وعدم استخدامها والاعتماد على ضرب السيف والدبوس (٤) ، فامتل العساكر

-
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١ ص ٦ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢١ .
- (٢) سلفية بليده من ناحية البرية من اعمال حماه بينهما مسيرة يومين يا قوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٠ .
- (٣) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢١ .
- (٤) آلة حربية عرفها محيط المحيط (الدبوس هراوة مد ملكة الراس كالابرة من النحاس في طرفها كتلة صغيرة) . المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٨٦ حاشية رقم ٢ .

للاوامر ثم تم ترتيبهم في المرج وكان عدد هم بضعة وعشرين الف فارس بيننا
كان عدد التتر نحو مائة الف فارس . كان جيش المسلمين يتألف من مئنة
وميسرة وقلب ، وكان راس الميمنة الامير عيسى بن مهنا امير العرب ومعه
سائر العربان ثم يليهم الامير بلبان الطباخي نائب حلب بمسك حلب وحماة
وفي الميسرة وقف الامير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ومعه مجموعة من
الامراء بمساکرهم بينما وقف في القلب الامير سار ومعه بقية الامراء بمساکرهم
اما مقدمة الجيش فكانت تتألف من . . . ٥٠٠ خصمئة ملوك من الزراقيين . (١)

أما السلطان الناصر فقد كان على بعد من المعركة يراقب سيرها
بحيث تصله اخبار المعركة وذلك حتى لا يعرف مكانه فيقصد التتر .

قام ابن تيمية والعلماء والفقهاء بالتجول في المعسكر الاسلامي
والالتقاء بالجند لتشجيعهم ولتقوية عزائمهم على الجهاد . اكرين لهم ما أعده
الله لهم من جنات الخلد ان رزقوا الشهادة والعز والتمكين في الارض ان هم
انتصروا على التتار الى أن كثر بكاء الجند من كثرة الوعظ وصموا على الجهاد
في سبيل الله (٢) .

(١) المقرئى : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٨٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٨٧ .

أمر غازان جيشه بعدم التحرك مهما تكن الاسباب الا اذا رأى قسدا
تحرك فيتحركون بذلك يدا واحدة مما يؤدي الى اضعاف الجيش المسلم .

تحرك المسلمون لملاقاة التتر فاشمل الزراقون النفط الا ان غازان
لم يتحرك لملاقاتهم مما اضطر المسلمين لقطع مسافة طويلة حتى يصلوا اليهم
ففترت خيولهم لسرعة العدو وحيث طال عليها المدى (١) كما ان النفط فسى
ايدى الزرافين خمدت ناره .

هنا تحرك غازان هو وجيشه مستغلا هذه الفرصة وحملوا على المسلمين
حملة واحدة بعد ان جعل فى مقدمة جيشه عشرة الاف من المشاة يرمسون
عساكر المسلمين بالنشاب فاصابوا بها كثيرا من خيول المسلمين حيث سقطت
عنها فرسانها فاضطربت ميمنة المسلمين وتكبدت خسائر فادحة نتيجة لرمسى
النشاب فانهزمت وولى العربان هاربين من المعركة ثم تبعهم جيش حمالة
وحلب فانتصرت ميسرة غازان على ميمنة المسلمين (٢) .

رأى المسلمون ما حل بالميمنة فقامت الميسرة بشن حملات قوية ومركزة
على ميمنة غازان ففرقت شملها وهزمتها عن اخرها وقتلت منها حوالى خمسة
الاف جندى او اكثر بينما لم يقتل من المسلمين الا القليل (٣) . ثم عسان

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٢ .

(٢) المقريزى : السلوك : ج ١ ق ٣ ص ٨٨٧ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٢ ، المقريزى : السلوك

ج ١ ق ٣ ص ٨٨٧ .

غازان وجمع قلول جيشه وهاجم المسلمين هجوما قويا مركزا ادى لاضطراب صفوفهم وانهزام العسكر الاسلامى الى دمشق (١) ، فأخذ التتر فى تجميع الفنائم مما لا حصر له ان أن الجيش الاسلامى حين ولى هاربا ترك جميع أثقاله وعدده وسلاحه طقى على الارض كما ان الجند رموا هوذهم عن رؤوسهم وسلاحهم تخفيفا عن الخيل لكى تنجيتهم بانفسهم . ويصور لنا ابن تفرى بردى ارض المعركة بعد فرار المسلمين منها فقال (وتركوا جميع الاثقال طقاة لمهقيت العدد والسلاح والفنائم والاثقال ملأت تلك الاراضى حتى بقيت الرماح فى الطرق كأنها القصب) (٢) .

انتهت المعركة بمقتل كثير من امراء المماليك ونحو الف من الجنود ان أن غالبية الجيش الاسلامى قد فر من المعركة كما ذكرنا ، أما من المفول فقد قتل منهم نحو اربعة عشر ألفا (٣) .

أما غازان فقد نزل حمص بعد أن كف عن مطاردة جيش المسلمين وغنم مغلقاتهم وكثيرا من الاموال والنقائس السلطانية التى كانت بخزانة حمص بالاضافة الى من وقع بايديهم من الاسرى . وعلى العموم فقد خرج التتر من هذه الموقعة بالفنائم والارض (٤) .

-
- (١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٢ .
- (٢) ابن تفرى بردى : النجوم ج ٨ ص ١٢٢ .
- (٣) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٨٨ .
- (٤) المصدر السابق ص ٨٨٨ : ٨٨٩ .

أسباب انهزام الجيش الاسلامي :

لقد تضافرت عدة اسباب في انهزام المسلمين في هذه الموقعة

أهمها :

- ١ - اشاعة اسلام غازان وجيشه مما جعل كثيرا من عسكر المسلمين يلقي سلاحه ويمسك عن معاربة التتر (١) لحديث رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فــــــي النار) .
- ٢ - استهتار المسلمين بالتتر لانهم هزموهم في عدة مواقع سابقة بمــــدد عين جالوت .
- ٣ - فساد النيات وانضمام بعض الامراء المسلمين الى غازان امــــــال تحقيق وغيره .

حالة البلاد بعد هزيمة المسلمين في وادي الخازندار :

حين بلغ اهل دمشق ما حل بعسكر المسلمين في وادي الخزنــــدار خافوا خوفا شديدا من التتر لما كان قد بلغهم من شدة قسوتهم وتنكيلهم باصحاب البلاد المفتوحة ، فلم يكونوا يتركون لا اخضر ولا يابساً فترك كثير من الناس اموالهم وممتلكاتهم وهربوا نجاة بانفسهم الى مصر والحجاز وكان لهول الموقف ان خرجت النساء سافرات لا يعرفن اين يذهبن مــــمع أطفالهن (٢) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٣١ .
(٢) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٢ .

فمعظم ضجيجهم وبكاؤهم وتزاحمهم مع الرجال على الابواب للخروج
فمات الكثير منهم على الابواب (١) .

كان لهذا الوضع المضطرب في البلد أن فقد الحكام القدرة على
السيطرة على البلاد فكسر العايشون ابواب السجون وخرج منها المفسدون
فعاثوا في الارض فسادا فسرقت ونهبوا وانتشرت الفوضى في كل مكان حتى -
اصبح المسلم لا يأمن على نفسه وأهله وماله (٢) . ونحن نلاحظ دوما ان فوضى
وقت الازمات والاضطرابات التي تحل بالبلاد تنتشر الفوضى وينعدم الامن
ويفقد الحكام القدرة على السيطرة على البلاد .

وكان سبب ذلك هو البعد عن شرع الله حيث ان المسلمين ضعفت
صلتهم بالله وضعفت العقيدة الاسلامية في نفوسهم فحل بهم هذا البلاء ،
وأخذ كل منهم يكيد للاخر بدلا من اتحادهم ضد عدوهم وصور الخيانة
منتشرة بينهم في سبيل الرياسة والوصول اليها مثل انضمام قبجق وبعض
الامراء الى صفوف غازان ضد السلطان بمصر ، ومثل تحاسد الامراء المماليك
فيما بينهم من اجل الوصول للسلطة حتى في اثناء سير الجيش الاسلامي
لمحاربة التتر (٣) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧ ، المقرئزي : السلوك ،

ج ١ ق ٣ ص ٨٨٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧ ، ابن خلدون : المعبر ،

ج ٥ ص ٤١٣ .

(٣) المقرئزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٨٣ ، ٨٨٤ .

وصلت الاخبار لاهل دمشق بقرب وصول التتر اليهم فخافوا خوفا عظيما وتوقعوا شرا كبيرا فاصبح كل واحد في شغل شاغل عن صاحبه بل وحتى عن اهل بيته (١) ، الى أن وردهم قصة اسلام غازان المزيف وانه لم يتعرض للمسلمين بسوء ولم يتعقب قلوبهم المنهزمة ، فاستكانوا واطمانوا بعد خوف وكانت هذه مكيدة من التتر حتى لا تكون هناك امامهم مقاومة من المسلمين ان بالفعل ما ان علم الناس باسلامهم حتى سكنوا وتوقعوا خيرا تحت ظيل حكمهم فماداموا مسلمين فسيان عندهم ان يبقوا تحت حكم الممالك او المفلول بل نجدهم حين راوا نائب قلعة دمشق يتحصن بها ويرفض تسليمها يرسلوه عدة مرات للصلح مع التتر وفتح ابواب القلعة لهم . بل اكثر من ذلك قررروا ارسال وفد من كبار علماء ورجال مدينة دمشق لطلب الامان لأهلها (٢) .

— دور ابن تيمية في مجاهدة التتر بعد الواقعة :

تكون على عجل مجلس من كبار العلماء والفقهاء للمسير الى غازان بطلب الامان فخرج العلماء وكان منهم قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة (٣)

- (١) ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤١٣ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢٢ .
- (٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٣ . ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤١٣
- (٣) بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الحموى الشافعى وسيد سنة ٦٣٩ هـ كان اماما عالما مصنفنا اخذ النحو عن ابن مالك افتنى وعرض فتواه على محي الدين النووى فاستحسن ما جاء به ولى قضاة القدس والخطابة بها ثم نقل الى قضاة مصر . توفي ٧٣٣ هـ . ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٨ .

والشيخ زين الدين الفارقي (١) والشيخ تقي الدين ابن تيمية وقاضي قضاة الشافعية نجم الدين صصري (٢) وغيرهم من العلماء والقراء وعند النيك (٣) ، حيث كان غازان معسكرا هناك تمت المقابلة مع العلماء (٤) والقراء وألب ابن تيمية الامان لاهل دمشق فأعطاه غازان وعدا بالامان بعد ان تكلم معه الشيخ كلاما شديدا موضحا له فيه العدل والاحسان في المعاملة مستشهدا بذلك بآيات من القرآن الكريم وأحاديث من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مثل قوله تعالى : " اعدلوا هو اقرب للتقوى " (٥) .

-
- (١) سبق تقديم ترجمته .
- (٢) ابوالعباس احمد بن عماد الدين بن محمد بن امين الدين بن هبة الله بن صصري الشافعي قاضي قضاة الشام ولد سنة ٦٥٥ هـ سمع الحديث وكتب عن القاضي شمس الدين بن خلكان وفيات الاعيان ، وسمعها عليه . تفقه على الشيخ تاج الدين القزافي . توفي سنة ٧٢٣ هـ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠٦ .
- (٣) النيك : قرية بين حمص ودمشق . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٥٨ .
- (٤) المقرئ : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٨٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧ ، ابن تقي بردي : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٣ .
- (٥) سورة المائدة آية ٨ .

وكان الشيخ أثناء كلامه مع غازان يقرب منه ويخاطبه بصوت عال
وغازان مصفى اليه بكليته رغم شدة لهجته فيسأل عنه ليتعرف عليه فأخبره
المترجم بأنه رجل العلم والعمل وكان مما قال ابن تيمية لغازان معترضاً
على طريقته في معاملة المسلمين بالشام حيث قال له : أبوك وجدك كانوا
كافرين ولم يفعلوا ما فعلت فعاهدوا ووفوا وأنت عاهدت وما وفيت وأنت
تدعى الاسلام وشهرت سيفك في وجه المسلمين (١) .

أراد غازان أن تناله بركة دعاء الشيخ ابن تيمية فطلب منه
أن يدعى له فأجابه ابن تيمية الى طلبه فقال (اللهم ان كان هذا
عبدك محمود انما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك
فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد وان كان انما قام رياء وسمعه وطلباً
للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الاسلام واهله فأخذله وزلزله ودمره
واقطع دابره) (٢) .

ورغم شدة هذا الدعاء الا أن غازان كان يؤمن على دعائه ولم يفعل
شيئاً للشيخ لان الله سبحانه وتعالى ألقى في قلبه محبته والهيبة منه ،
وما ذلك الا لأن الشيخ قام بعمله لله ولم يخش سواه وبلغ من فرط محبة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨٩ ، الجليلند : الامام
ابن تيمية ص ١٩ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨٩ ، محمد بهجة البيطار:
حياة شيخ الاسلام ص ١٣ ، ١٤ .

غازان للشيخ أن عرض عليه أن يعمر له حران بلد آبائه واجداده وأن ينتقل إليها الشيخ وتكون تحت يده إلا أن ابن تيمية رفض هذا الموضوع ولم يرغب به عن دمشق (١) ، ثم قام المفلول بتقريب طعام إلى وفد دمشق فأكل الجميع ما هذا ابن تيمية حيث لم يرض أن يطعمه وحين سأل عن سبب عدم أكله من الطعام قال : كيف أكل من طعامكم وكمه مما نهبتم من اغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس (٢) .

حين انتهت مهمة الوفد قرر العودة إلى دمشق خاصة وأن الله بلغ ابن تيمية ما أراد فحقن دماء المسلمين وخلص كثيرا من الأسرى من يده غازان وردهم إلى أهاليهم .

اعترض بعض العلماء المصاحبيين لابن تيمية على طريقته في مخاطبة غازان خوفا من بطش غازان وشعبه وقالوا : كدت تهلكنا معك . فرفضوا مصاحبته في طريق العودة واختاروا طريقا آخر غير طريقه . فخرج ابن تيمية مع مجموعة من أصحابه فتسامع بعض أفراد التترو بطلانهم به فصحبوه السبي أن أوصلوه إلى قرب دمشق تبركا بدعائه (٣) وقال الشيخ البالسي (٤) وكان

-
- (١) البزار : الاعلام العملية ص ٦٥ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٨٩ .
(٤) الشيخ الصالح العابد الناسك ابو عبد الله محمد بن عمر بن ابي بكر البالسي ولد سنة ٦٥٠ هـ كان شيخا جليلا كثير الوقار عليه سيما العبادة والخير توفي سنة ٧١٨ هـ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨٩ - ٩٠ .

من ضمن الوفد : (والله ما وصل الى دمشق الا فى نحو ثلثمائة فارس فسى ركا به . . . اما اولئك الذين أبوا ان يصحبوه فقد خرج عليهم جماعة من التتر فسلحوهم عن آخرهم (١) . وكان هذا من نعم الله تعالى على ابن تيمية لانه نصر دينه ولم يخشى غازان ولم يداهنه ليصل الى ما يريد . وقد كان يقول رحمه الله (لا يخشى رجل غير الله الا لمرض فى قلبه) .

فطبق هذا القول على نفسه ولم يخش الا الله سبحانه وتعالى فكان مثال العالم العامل الذى يشعر ان الله مراقبه فى قوله وعمله كيف لا وهو أعرف الناس بقول سيد الخلق : " ليس الايمان بالتخلي ولا بالتمنى ولكن ما قر فى القلب وصدقة العمل " او كما قال .

بعد انتصار التتر فى موقعة وادى الخزندار وفرار الجيش الاسلامى من أمامه اكمل الجيش المصرى الفرار الى ان عاد الى بلاده وتركوا بلاد الشام بدون مقاومة فخضعت لنفوذ التتر فأصدر غازان اوامره بتميين قهق نائبا عنه فى بلاد الشام بعد ان اصدر فرمان الامان لهم حيث قرى على الناس يوم الجمعة (٢) وقام قهق بنشر الذهب والفضة على الناس لكى يكسبهم اليه والى التتر ففرح الناس بذلك كثيرا وتوقعوا من فترة حكمه خيرا كثيرا (٣) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩٠ .
(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩٠-٨٩١ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٧ ، المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩١ .

لم يف غازان بوعده بتأمين اهل دمشق ان نجده ثانی يوم المنارة بالامان قام التتر بالاستيلاء على الخيول والاموال والاسلحة المخبأة عندهم بل قام جيشه باشاعة الفوضى والاضطراب خارج دمشق قتل على اثرها جماعة من المسلمين . (١)

هنا أخذ ابن تيمية يفكر مليا في امر غازان وقصة اسلامه وهـذـه الـفاعـيل الـتي تصـدر من جيشه خرج منها بكون ذلك مكيدة من غازان لكي يخمد صوت المقاومة الاسلامية التي يمكن ان تقوم في وجهه فأراد ابن تيمية أن يتدارك الموقف قبل استفحاله فسارع وارسل الى ارجواش (٢) نائب قلعة دمشق حيث كان قد تحصن بها بأن لا يسلمها لهم وان يستميت في الدفاع عنها ولولم يبق فيها الا حجر واحد (٣) .

بعد أن استتب الامر لقبجق في دمشق أرسل الى ارجواش يطلب منه التسليم فرفض ارجواش طلبه فارسل اليه مجموعة من اعيان دمشق لكي يؤثروا عليه ليغيرو موقفه الا انه كان مصرا على عدم التسليم وكان ابن تيمية

(١) ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤١٤ ، المقرئزي : السلوك

ج ١ ق ٣ ص ٨٩٠ .

(٢) علم الدين ارجواش بن عبد الله المنصوري نائب قلعة دمشق كان ذا همة عالية وهيبة وشهامة قد رآه على يديه حفظ معقل المسلمين أثناء غزو التتر للشام توفي سنة ٧٠١ هـ . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله . ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧ ، الجليند : الامام ابن تيمية ص ١٩ .

يشجعه على الثبات ما يدلنا على بعد نظر ابن تيمية وهنكته الحربية
لان الاستبسال في الدفاع عن القطعة سيكون له أثر كبير فيط بعد لاسترداد
بقية بلاد الشام من يد التتر ، بل نجده يقوم مع ارجواش بتحسين الدروب ،
والا سوار ووضع المقاتلة فيها تحسبا لاي هجوم على القطعة من قبل التتر (١) .

واصل التتر نقض الفرمان الذي أصدره غازان بتأمين الناس فسي
أرواحهم واموالهم وممتلكاتهم فقاموا بالسلب والنهب والتعريض للمسلمين
فنهبوا الصالحية (٢) وعددا من المساجد وأنزلوا في الناس النكبات قتلا وتشريدا
وسلبا ونهبيا (٣) فهرب كثير منهم الى رباط الحنابلة من شدة الخوف ،
فتبعهم التتر وهاصروا الرباط ، ثم اقتحموه وسبوا كثيرا من الناس وبنات
المشائخ وأولادهم ، وأصيب الناس بأذى كثير على يد التتر ، ابتداء
بالانفس والاموال وانتهاء بالمساكن والكتب حيث سرقوا الكتب وبيعت رغم
انه مكتوب عليها الوقفية ، وبلغ عدد القتلى من الصالحية وحدها اربعمائة
وعدد الاسرى حوالي أربعة آلاف (٤) .

-
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧ ، ٨ .
(٢) قرية كبيرة ذات اسواق وجامع في غوطة دمشق فيها قبور جماعية
من الصالحين . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٩٠ ، وقد
سبق تعريفها .
(٣) ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤١٤ .
(٤) المقرئ : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩٢ ، ابن كثير: البداية والنهاية
ج ١٤ ص ٨ .

كان يساعد التتر في أفعالهم القبيحة هذه ضد المسلمين صاحب
سيس والكرج والارمن من النصارى فقد استغلوا هذه الفرصة ليكيدوا للمسلمين
وينفسوا عن أنفسهم في عداوتهم للمسلمين فقال أهل الشام منهم أذى
كثير (١) .

لم يكتف التترومن والاهم بالصالحية وربما الحنابلة بل امتد
أذا هم وخطرهم الى مناطق اخرى مثل المزة (٢) ، وقد نالها ما نال الصالحية
ثم توجهوا بعد ذلك الى داريا (٣) فأسرع الناس الى الجامع فتحصنوا داخله
حتى لا ينالهم التتر بأذى وهم يظنون بأنهم سيكونون بأمن منهم ، الا أن
التتر لم يراعوا حرمة بيوت الله رغم ادعائهم الاسلام فاقحموا المسجد وقتلوا
كثيرا من الناس داخله وسبوا كثير من النساء والاولاد . فانا لله وانا اليه
راجعون (٤) .

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨ . ابن عبد الهادي :

الحقوق الدرية ص ١٧٣ .

(٢) المزة قرية كبيرة قنات في وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق

نصف فرسخ (ياقوت : المعجم ج ٤ ص ٢٢٢) .

(٣) داريا قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق الفوطة ينسب اليها

كثيرين . ياقوت : المعجم ج ٢ ص ٤٣١ .

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨ .

ما ان سمع ابن تيمية بأفعال التتر وما أصاب الناس منهم همتي زاد يقينه بعدم صحة اسلامهم لان المسلم لا يعامل اغناه المسلم بههذه المعاملة العدائية فتوجه مرة أخرى لمقابلة غازان والتحدث اليه بما يفعله جنده بالشام وصعرفة ما اذا كان يقر هذا العمل أم لا ، فخرج بالفعل لمقابلة غازان ومكث يومين في معسكر غازان لمقابلته الا انه لم يتمكن من ذلك لان وزيره سعد الدين والرشيد المسلماني حجبوه عنه متعللين بكثرة انشغاله ووعدها بأنهما سيخبراه بطلب ابن تيمية بوقف هذه الاعمال العدائية التي عللوها بأن كثيرا من التتر لم يحصل على أموال وسبايا لذلك يفعلون هذه الافعال (١) بأهل دمشق وتناسى الوزيران ، انه لو كان التتر مسلمين حقا لما كان همهم الخروج بسبايا واموال المسلمين فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) أو كما قال .

بعد أن التهم التتر المناطق المحيطة بدمشق جاء دورها لتذوق ألوان العذاب على ايديهم فقرر بعض أهل دمشق الفرار الى خارج البلاد الا أن التتر لم يمهلوهم ان أسرعوا بدخول البلد وأعطوا فيها السيف فقتل الكثيرون كما قاموا بسلب ونهب المدينة وحصلوا على اكثر من عشرة الاف فرس

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٤ ص ٨ . المقرئى : السلوك ،

ج ١ ق ٣ هـ ٨٩٢ .

والرشيد المسلماني كان اصله عطار يهودى تقدم بالطب وكانت له منزلة كبيرة عند غازان وحصل على اموال واملاك كثيرة ثم تقلبت به الاحوال فى عهد ابي سعيد سلطان المفلول فاستولى على امواله وحواسله وقتل فى سنة ٧١٨ هـ وابنه ابراهيم . ابن كثير: البداية والنهاية

ج ٤ ص ١٥٢ .

ثم فرضوا على أهل الاسواق والتجار اموالا كثيرة يقد مونها لهم (١) .

تقدم التتر بعد ذلك لمحاصرة قلعة دمشق فنصبوا لها عدة مجانيق وبالفوا في حصارها فقام نائب القلعة ارجواش بالدفاع عنها وابن تيمية يشدد من أزره ويعينه في هذا العمل العظيم فأحرق كثيرا من المساكن المحيطة بالقلعة حتى لا يستغلها التتر لضرب القلعة والاستتار بها (٢) وذلك لجعل المنطقة المحيطة بالقلعة منطقة مكشوفة مما يسهل عليهم رؤية تحرك التتار.

قام ارجواش بخطوة جريئة فحين لاحظ انشغال التتر بتوديع فطلوا شاه نائب قازان أسرع بارسال مجموعة من المسلمين عطلوا عمل المجانيق (٣) وصحبوا معهم بعض المسلمين الذين كانوا مغلوبين على أمرهم لدى التتر ثم عادوا سريعا الى القلعة سالمين (٤) .

حين بلغ قازان أفعال جنده بالشام خاف من التعدي على بيوت الله فأرسل اليهم يأمرهم بترك الجوامع وصيانتها مع أوقافها لا يمسها

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨ . المقرئى : السلوك ،

ج ١ ق ٣ ص ٨٩٢-٨٩٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩ ، المقرئى : السلوك

ج ١ ق ٣ ص ٨٩٣ ، ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤١٤ .

(٣) ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤١٤ ، المقرئى : السلوك ج ١ ،

ق ٣ ص ٩٠٠ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩٠ .

أحد ، أما ما عدا ذلك فلم يتعرض لغيرهم غازان فيها بل تركهم يفعلون ما يشاؤون
ثم أكمل مسيره للمعراق بعد أن ترك نوابه على بلاد الشام وفي نيتــــه
أن يعود اليها ليكمل فتح بقية البلاد والوصول الى مصر (١) .

بعد رحيل غازان وجنده انفسرد قبجق بأمر البلاد فميين الامراء في الولايات
وأساء السيرة في البلاد فقد أشاع المنكرات من خطارات ومواضع الزنا وغيره
مما لا يقره الشرع فضمن هذه المنكرات وفرغ عليهم دفع اموال له تقدر بألف
درهم في اليوم لقاء هذه الاعمال وفي المقابل سلب الكثير من الاوقاف
والمدارس (٢) ، وهنا نتساءل كيف يريد المسلمون الانتصار على عدوهم
وهذه المنكرات والموبقات في البلاد ؟ .

لاقي أهل دمشق الامرين من قبجق وحين بدأوا يتنفسون الصعداء
بزوال كابوس التتر عنهم ما لبث ان عاد اليهم مرة اخرى ، بزعامة بولاي حيث
قاموا بسلب الاموال وسبى النساء والاطفال وتخريب البلاد ونشر الفساد ،
فساءت الاحوال أكثر من الاول واضطربت امور البلاد وانتشر الغلاء حتى
قال أحدهم :

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٩ ، ١٠ ، المقريزي : السلوك ج ١ ق ٣
ص ٨٩٦ .

رمتنا صروف الدهر حقا بسبمة . . . فما أهدنا من السبع سالم
غلا* وغازان وغزو وغارة . . . وغدر واغبان وغم ——— لازم (١)

لم يجد ابن تيمية بدا من وقف أعمال التتر هذه ضد مسلمي الشام
ورفع هذا البلا* الا بالذهاب الى بولاي ومقابلته والتحدث معه بافعال
التتر هذه فذهب اليه واقام عنده ثلاثة ايام استطاع فيها رحمه الله ان يستنقذ
كثيرا من اسرى المسلمين بل ومن الذميين الذين كان بولاي قد سباهم وكان
هذا من كريم خصال ابن تيمية ، فان بطش بولاي وقوته لم ترهبه كعادته فسي
قول الحق وعدم الخوف من اى كان سوى الله سبحانه وتعالى (٢) .

لم يقف ارجواش والمسلمون فى القطعة موقف المتفرج ازاء انتهاكات
التتر التى مارسوها ضد المسلمين فقد خرجوا من القطعة واغاروا على التتر
والحقوا بهم الهزيمة ونكلوا بهم فقتلوا البعض وسبوا اخرين ثم عادوا الى القطعة
سالمين ولله الحمد (٣) .

بعد انهزام التتر امام ارجواش بلغهم نبأ خروج العسكر المصرى
لمحاربتهم واستنقذ البلاد منهم فرأى التتر ان يعودوا ادراجهم الى
بلادهم مكتفين بما غنموه من البلاد وتركوا البلاد لا مرقب حتى الذى خرج بعد
ذلك مع جماعة من كبار رؤساء واعيان دمشق لاستقبال الجيش المصرى (٤) .

-
- (١) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٦ ، المقرئى : السلوك
ج ١ ق ٣ ص ٨٩٤ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠ ، المقرئى : السلوك ج ١
ق ٣ ص ٨٩٦ ، ابن خلدون : المعبر ج ٥ ص ٤١٤ .
- (٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩ ، ابن تفرى بردى : النجوم
الزاهرة ج ٨ ص ١٢٧-١٢٨ .
- (٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١١ ، ابن تفرى بردى :
النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٩ .

حين رأى ارجواش خلو البلد قام بحركة سريعة فسيطر على دمشق وخطب فيها للسلطان الناصر بعد أن كان يخطب فيها للخازن مائة يوم^(١).

قام ارجواش وصحه ابن تيمية وأصحابه بحفظ الاسوار وأخرج ما عند الناس من أسلحة لاستخدامها في الدفاع عن البلد وأصدر ارجواش أوامره بأن على كل من يستطيع حمل السلاح ألا يبيت الا على السور^(٢) وبلغ من تشدده في تنفيذ هذا الامر أن أصدر أوامره بأن من لا يفعل ذلك يشنق، وذلك لحث الناس على الجهاد ثم قام ابن تيمية يحث الناس على القتال والجهاد فأخذ يدور عليهم في الاسوار لتثبيتهم مذكرا اياهم بوعده الله لهم بالنصر ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط في سبيل الله^(٣) مثل قوله تعالى : " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير " ^(٤) وقوله تعالى : " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم " ^(٥) الآية . وفــــي الحديث : " رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه مــــن

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٤ ص ١١ ، المقرئ : السلوك ،

ج ١ ق ٣ ص ٩٠٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٤ ص ١١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ١١ .

(٤) سورة الحج : الآية ٣٩ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

المنازل * (١) . وقال عليه السلام عمن لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله * (٢) ، مما كان له أثر كبير في رفع معنويات المسلمين وتثبيتهم ، فقد كان ابن تيمية رحمه الله مثال العالم العامل فكان قدوة صالحة ، فلم يكن يدور عليهم في الليل ويحثهم على السهر لحماية البلد ثم يعود الى فراشه لينام بل كان يتنقل بينهم ويحمل معهم كالألم الرؤوم مما كان له اطيب الاثر في نفوسهم حيث ساعدتهم على الثبات جهادا في سبيل الله وحفظا للبلد ولا رواحهم واموالهم (٣) .

بعد أن أخضع أرجاء البلد دار ابن تيمية مع مجموعة من أصحابه لازالة المنكرات عن البلد قد خلوا الخمارات والحانات فكسروا أواني الخمر وأراقوها وأزالوا آثار الفواحش من الحانات وعزروا أهلها فاستبشر الناس بهذا العمل وفرحوا كثيرا مما يدلنا ان الاسلام طزال يعمر القلوب التي أساءتها اشاعة المنكرات بينهم (٤) .

أرسل السلطان الناصر عدة رسائل لتحقيق ومن معه يدعو فيها للرجوع للطاعة فاجابه لما اراد فانضموا الى السلطان حيث قابلهم وعاتبهم عتابا رقيقا ثم أنعم عليهم بالخلع والاموال (٥) فكان ذلك بداية حياة

-
- (١) السنن .
 (٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن .
 (٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١ ص ١١ .
 (٤) المصدر السابق ص ١١ ، المقرئى: السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٠٠ .
 (٥) المقرئى: السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٠٣ . ابن خلدون: المعبر ص ٤١٥ .

جديدة في حياة الامة الاسلامية في ذلك الوقت لتوحيد الجبهات ضد
العدو المشترك .

— غزوة الجرد والروافض :

بعد أن استتب الامر في دمشق للسلطان الناصر قام ناشئــــب
السلطنة بالشام جمال الدين آقوش الا فرم بتجهيز جيش لمحاربة اهل جبال
الجرد وكسروان (١) وكان الذي دفعه الى ذلك هو الشيخ ابن تيمية
فقد كان رحمه الله قد لاحظ ان اهل هذه الجبال كانوا يعينون التتر على
المسلمين (٢) وكانوا يعارضون من يعربهم من عسكر المسلمين فحرك عزمات
المسلمين لمحاربة هؤلاء وأعلن انهم بغاة خارجون على الامام وأن هذه
الغزوة ستكون جهادا في سبيل الله فالتف حوله المسلمون وخرج معه
أصحابه واتجه العسكر الاسلاص الى جبال الجرد وكسروان وحاصروا
الجبل وكان منيما صعب المرتقى فزحفوا اليه صفا فكثر عليهم رمى النبال
وجرح كثير منهم وكان ابن تيمية يشاركهم ويثبتهم ثم غير الجيش الاسلاص
خطة حربه بان اقترق العسكر عدة فرق من كل جهة لتشتت عزيمته وانتهاه اهل الجبال
التتر وقاتلوه ستة ايام اظهر فيها ابن تيمية من ضروب الشجاعة والثبات

(١) قوم بغاة خرجوا على الامام واخافوا المسلمين وعارضوا الجيش
الماربهم بكل سوء وهم من الدروز وقد سبق التصريف بهم .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ص ٥٠ .

ما يعجز عنه الابطال ان اشترك مشاركة فعالة في مقاومة هؤلاء الروافض فلم يثبتوا له فيمد ستة ايام قتل فيها كثير منهم طلبوا الامان فكف المسلمون عن قتالهم وطلبوهم بما تهبوه من العسكر الاسلحة أثناء فراره من التستر فاحضروا كثيرا من المال والسلاح والخيول ثم حضر مشائخهم الى الشيخ ابن تيمية فاستتابهم وبين لهم فساد عقائدهم وانها خارجة عن طريق الاسلام الصحيح وكان ذلك خيرا كبيرا نال الامة الاسلامية من الله ثم على يد ابن تيمية (١) .

...

(١) ابن كثير: الهداية والنهاية ج ١ ص ١٤ ، ابن الوردي: تتممة المختصر ج ٢ ص ٣٥٤ ، المقرئ: السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩٦
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢٩ .

الفصل الرابع

دور ابن تيمية القيادي في محاربة التأثير المسمم بجهنم ووفائنا

- دور ابن تيمية في موقعة تل شقيب

- سجن ابن تيمية الوقائي والتأديبي

- وفاته

دور ابن نعيم في موفقة
تل شقيب

موقعة تل شقحسب

أوائل موقعة تل شقحسب :

عزم التتر على معاودة الكرة بالهجوم على الشام والوصول الى مصر، فتخاذل كثير من الناس عن مدافعتهم ورغب أكثرهم بالفرار بنفسه وأهلــــه فاضطربت أحوال البلاد وانتشر الفلاء وبذل الناس أموالا طائلة في سبيل الفرار من الشام مما دفع ابن تيمية للوقوف في وجه هذا التيار الجارف فكثف من دروس الجهاد ورغب في الدفاع عن الاسلام والمسلمين وبذل الأموال في الدفاع عن الاسلام وفي الاستعداد للجهاد وتجهيز جيش المسلمين بدلا من الهرب الى خارج البلاد (١).

واصل ابن تيمية بذل قواه في النفير العام فخرج الى جيش الشام المرابط في المرج فقوى من عزيمتهم في مجاهدة التتر وحشهم على الصبر وبشرهم بالنصر والظفر على الأعداء حتما في هذه الكرة (٢) مستشهدا بآيات قرآنية مثل : " ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بنى عليه لينصره الله " (٣) الآية . ثم أكمل مسيرته الى الجيوش الاسلامية في حماه حيث دار على الجند ورفع من حالتهم المعنوية وثبتهم وقوى من جأشهم واعداء اياهم بالنصر لانهم على حق والتتر على باطل (٤) وكان المسلمون قد طوا في انتظار التتر واضطربت

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٠ .

(٣) سورة الحج آية ٦٠ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ١٥٠ .

أحوالهم لكثرة الثلوج والامطار المظلمة وأخذ اليأس يتسرب اليهم فشكسوا همهم الوابن تيمية فكان عند حسن ظنهم فثبتهم وبين لهم أن هذا الامر خير لهم . " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم " (١) . وأن لله في ذلك حكمة بالغلة مذكرا اياهم بما حدث أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) في غزوة الخندق حين تأرب عليه المشركون فسلط الله عليهم الرياح الشديدة الباردة وفرق بين قلوبهم وشتت شملهم (٣) فكذلك الحال الآن حين سلط الله الثلوج والامطار والبرد الشديد والرياح العاصف والجوع المزيج على التتر فكان سبب الانهزامهم واهلاك معظم جندهم وفرارهم من الشام (٤) (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (٥) .

كان لشخصية ابن تيمية الفذة وقدرته على استنفار الهمم ودفعها للجهاد أن انتدبه نائب الشام جمال الدين الافرم وبقية أمراء الجيش الاسلامي لاستنفار أهل مصر للجهاد وحث السلطان على مساعدة أهل الشام فرحل من يومه وجد في المسير حتى وصل الى السلطان واستحثه على تجهيز المعسكر لنصرة مسلمي الشام وكنسه بلهجة شديدة حين رأى تقاعسهم

-
- (١) سورة البقرة آية ٢١٦ .
 (٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣٢ .
 (٣) ابن عبد الهادي العقود الدرية ص ١٧٠ ، المقرئ : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٠٩ .
 (٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٤٥ .
 (٥) سور قلا حزاب : آية ٢٥ .

وتخاذلهم عن المسير ولم يخش أميراً ولا سلطاناً في قول الحق ، فأنكر عليهم أخذهم أموال الشام والاستفادة منه ومن خيراته في وقت السلم وفي وقت الحرب يتخلون عنه ويخذلونه ثم أخذ يبين لهم أنهم ولو لم يكونوا سلاطين الشام ، وحكامه وطلب منهم أهل الشام النصر لوجب عليهم نصرتهم فكيف وهم حكامه وسلاطينه ؟ (١) ، مستشهداً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " . وما زال في أمثال هذا الكلام حتى شحذ الهمم واستثار حماسهم الذي فنادى السلطان بتجهيز المعسكر والمسير إلى الشام لطر التتر منها . وفي حينها وصل الخبر إليهم بعودة غازان عن البلاد وهلاك معظم جنده (٢) ، فعمل ابن تيمية انصراف التتر هذا عن الشام فيقول : (لما ثبت الله غلب المسلمين صرف العدو جزاءً منه وبياناً أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وإن لم يقع الفعل وإن تعاقدت الديار) (٣) ، فحين صدق المسلمون في جهادهم وعزموا على رفع راية الاسلام صرف الله عنهم عدوهم .

حين رجع غازان عن الشام بعد موت أكثر جنده رغب في أن يعيد ماء وجهه ورد اعتباره فأرسل رسالة إلى سلطان مصر يتهدده فيها ويتوعده أن لم يبادر بطلب الصلح (٤) مما أدى إلى رفض السلطان الناصر لصلح يتم

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٥ ، الجلنيد : الامام ابن تيمية ص ١٩ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٦ .
- (٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٦٣ ، ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ١٧١ .
- (٤) المقرئ : السلوك ج ١ ق ٣ ص ١٥١-١٥٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٨ ص ٦٩-٧١ .

بهذه الطريقة فأجابه على رسالته بأشد منها (١) ، وأخذ يستعد ليوم المعركة الفاصلة الذي أوشك أن تبدأ تباشيره فأعلن النفير العام في جميع أرجاء المملكة الإسلامية حيث كانت هناك مهمة جليلة تنتظر ابن تيمية ليكمل طريقه الذي بدأه في سبيل الدفاع عن الاسلام والمسلمين ورفع راية الجهاد عالية ضد من يريد ذل الاسلام والمسلمين .

ذكرنا من قبل فرار كثير من أهل الشام خوفاً من التتر وتدارك ابن تيمية للوضع وحث الناس على الثبات ومنعهم عن الرحيل وأمرهم ببذل الأموال والأنفس في سبيل الدفاع عن البلاد (٢) فبعد هدوء الأحوال نسبياً أخذ ابن تيمية يكثف جهوده ويزيد من نشاطه في مجالسه ودروسه في ثواب الجهاد وما أعده الله للمجاهدين من أجر وثواب عظيمين كذلك بين لهم ولمن سبق لهم الفرار عن البلاد أن رحمة الله واسعة لمن أراد الاستغفار والتوبة إذا صدقوا العزم والنية في هذه المرة لنصرة الاسلام ومجاهدة العدو فيسبب التوبة مفتوح لمن اراده (٣) وقد فتح الله باباً من قبل المغرب عرضه أربعون سنة لا يفلقه حتى تطلع الشمس من قبله . فالتف الناس حول ابن تيمية وأخذوا في الاستعداد وقد قويت نفوسهم ونياتهم لقتال التتر وتعاهدوا

(١) المقرئزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ١٠١٨-١٠٢٣ ، الطقشندي :

صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٤٣ - ٢٥٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٤٠ .

(٣) ابن عبد الهادي : المعقود الدرية ص ١٦٩ .

الامراء والعامة على الثبات والمدافعة حتى الموت (١) ، علم ابن تيمية مسدى تأثير الراحة للنفسية للجيش الاسلامي ، فخرج لجيش حماة المرباط فسي المرج لتقوية نفوسهم واعلامهم بما اتفق عليه أهل الشام من نجدتهم ومعاونتهم وبشرهم وبين لهم ابن تيمية أنهم منصورون هذه المرة لا محالة فكان يقول لـه الامراء قل ان شاء الله ، فيقول : " ان شاء الله تحقيقا لا تعليقاً " (٢) .

سار قازان بجيوشه وعبر الفرات واراد محاصرة الرحبة والاستيلاء عليها فجرت بينه وبين صاحبها مفاوضات (٣) انتهت بعودة قازان الى العراق بمصد ترك جيش قوامه ثمانون الف مقاتل بقيادة نائبه على الشام فطلوشاه كما قام بمراسلة نائب دمشق يطلب منه الدخول في طاعته ، وكانت خطة من غازان ليضرب المسلمين بعضهم ببعض الا أنه فشل في ذلك فلم يجبه النائب لما يريد (٤) .

بدأت المناوشات بين التتر والعسكر الشامي حين بعث فطلوشاه طائفة من عسكره بلغت حوالي اربعة آلاف مقاتل ليستطلع بها مدى قوة جيش المسلمين ، فتصدى لهم عسكر حماة وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة وغنموا منهم

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٣ .
 (٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ .
 (٣) حيث لا طفه نائبها الا مير علم الدين سنجر الفنص وقال له : هذا المكان قريب المأخذ والملك بقصد المدن الكبار فلا نمتنع عليك ان طكست البلاد . المقرئزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٠ .
 (٤) المقرئزي : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٠ ، ابن تفرى بردي : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٥٧ .

بعض الأسرى. فكان ذلك بداية خير للعسكر الاسلامي (١).

حين عاد التتر المنهزمون الى قائدهم استطلع منهم عن أحوال العسكر الاسلامي فأخبروه عن تخلف عسكر مصر ، فأراد قتلوشاه أن يستغل الفرصة ويعجل بضرب عسكر الشام قبل وصول اى امدادات مصرية لهم (٢).

لم يجد عسكر الشام بدا من التصدى لمعسكر المفلول حيث أن انتظار وصول السلطان من مصر قد يؤدى الى هزيمة جديدة من التتر لذلك سادروا بالتحرك لملاقاة التتر (٣) وفي نفس الوقت انتدبوا الشيخ ابن تيمية للسير مرة أخرى ليحث السلطان الناصر على الاسراع الى الشام واعلامه بحالة البلاد فكان ابن تيمية عند حسن ظن عسكر الشام فأسرع بالمسير الى مصر ولم يلتفت لمن اتهمه بالفرار من المعركة لكى لا يضيع الوقت (٤) وأكمل مسيره الى أن وصل الى السلطان بعد أن كاد السلطان ان يرجع الى مصر بجيشه فجيش مصر لم يكن يريد الاشتباك مرة أخرى مع جيش التتر المسلم بعد ان بث فيه دعاة الهزيمة عدم مشروعية محاربتهم فهم ليسوا بفاة على الامام تجب محاربتهم فانبرى لهم ابن تيمية يبين لهم أنهم خوارج تجب محاربتهم وبين لهم أفعال التتر

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣١ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٥٨ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣١ .

(٣) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٥٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٤ .

بأهالي الشام ما يوجب تكفيرهم (١) . وما زال معهم يحشهم ويحد ثيابهم طويلا الى أن استثارهمهم وتكللت مهمته بالنجاح فسار السلطان ومعه الخليفة الى جهة الشام وطلب من الشيخ أن يلازمه في المعركة الا أن الشيخ كعادته في اتباع السنة لم يرد الا الوقوف تحت راية قومه فقال له (السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف الا معهم) (٢) ثم جد بالمسير الى أن لحق بجند الشام ووصل أرض المعركة قبل السلطان ليعلمهم بحضوره .

— سیر المعركة (*) :

كان التوقيت الرباني لهذه المعركة في رمضان ٢٠٢ هـ يحل به القدر لحكمة عرفها المسلمون حين ظهرت نفحات رمضان في بدر في السنة الثانية للهجرة وفي فتح مكة على مصراعيها ، والقضاء على آخر مقاومة لقريش في رمضان في السنة الثالثة ثم في غزوة تبوك حيث حقق الله وعده لرسوله حيث اهتز كيان دولة الروم في رمضان سنة ٩ هـ (٣) .

وفي هذه السنة كانت هذه الموقعة الحاسمة التي عرف فيها المسلمون أن الله سينصرهم على عدوهم كما تعودوا ذلك منه فدخلوا المعركة بطوبى وثقة

-
- (١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٥٠٩ — ٥٤٣ .
(٢) ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٦ ، عبد السلام حافظ : ابن تيمية ص ٢٧ .
(٣) نقلا عن مقالة د . ابراهيم شعوط : مجلة الوعي الاسلامي ص ٢٣ .
(*) نرجو مراجعة ملحق الخرائط شكل رقم (٥) .

بالنصر الالهى الذى وعدهم به ابن تيمية فحين التقوا بمعسكر التتر ففسى
 مرج الصفرا (١) قاتلوهم قتالا شديدا ألحقوا بقتلو شاه هزيمة منكرة لولا
 أن تداركه بولاي بنجدة استطاع بها أن يسترد أنفاسه (٢) ويجمع قلوبهم
 ويضرب ميمنة جيش المسلمين فانهزمت وقتل كثير من الامراء وولى الجنود
 منهزمين (٣) فضج الناس بالدعاء والبكاء والتضرع الى العزيز القوى لنصر
 الاسلام والمسلمين (٤) ، حينها وصل السلطان الناصر بمعسكره وأمر
 بتقييد فرسه حتى لا يهرب من المعركة وباع الله سبحانه وتعالى على بئذ
 روحه فى سبيل الله وصعد الخليفة العباسى (٥) وأخذ الخليفة ينادى
 بأعلى صوته لاستشارة عم المعسكر فقال : يا مجاهدون " لا تنظروا لسلطانكم
 قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم صلى الله عليه وسلم " (٦) ، وثبت المسلمون
 فى المعركة ودار العلماء والفقهاء على المعسكر يحرضونهم على الثبات والجهاد (٧)

-
- (١) مرج الصفرا : موضع بين دمشق والجولان وهو صحراء . ياقوت :
 معجم البلدان ج ٣ ص ٤١٣ . والجولان : قرية وقيل جبل بنوا حسي
 دمشق . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٨ .
- (٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم
 الزاهرة ج ٨ ص ١٦١ .
- (٣) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٤ ، ابن تغرى بردى :
 النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦١ .
- (٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٤٠ ، ابن تغرى بردى :
 النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦١ .
- (٥) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٣ . ابن كثير : البداية والنهاية
 ج ١٤ ص ٢٦٠ .
- (٦) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم
 الزاهرة ج ٨ ص ١٦٠ .
- (٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦٠ ، المقرئى : السلوك
 ج ١ ق ٣ ص ٩٣٣ .

وكان لابن تيمية دور كبير في تثبيت المعسكر وتقويتهم فقد دار على الاجنساد وأفتاهم بالفطرا أثناء القتال لكسب يتقووا على قتال التتر ، وأفطر هو أيضا معهم مستدلا على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفتح " انكم ملاقوا العدو غدا والفطر أقوى لكم " (١) . ثم وقف ابن تيمية موقف الموت وشارك في القتال وظهر من ضروب الشجاعة ما يعجز عنه الابطال فارتدى عدة القتال والتجأ الى الله بالدعاء لنصرة الاسلام والمسلمين ، ثم غاض بنفسه المعركة والتحم مع جيش المغول (٢) مما كان له اثر كبير في نفسية الجنود فثبتوا في ارض المعركة الى ان استطاعوا حصر التتر في سفح جبل هلك فيه كثير منهم عطشا فأرانبوا الخروج الى الماء فتركهم المسلمون الى أن خرجوا ثم اطبقوا عليهم وقتلوا منهم الكثير (٣) ، وكانت الهزيمة التي حلت بهم ساحقة فكان الصبيان والعمامة يلعبون بالتتر ويقتلونهم ولا يستطيعون دفعا عن انفسهم ، وكان العربان ياخذونهم ويتركونهم في البرية الى أن يموتوا عطشا ويصف لنا المقرئى حالة التتر بعد انهزامهم فقال : وقد كلت خيول التتر وضعت نفوسهم والقوا أسلحتهم واستسلموا للقتل والمعسكر تقتلهم بغير مدافعة حتى ان أرادل العمامة والغلمان قتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا عدة عنائم (٤) .

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٦ ، الجليلند : الامام ابن تيمية ص ١٨ .

(٢) ابن عبد الهادي : المعقود الدرية ص ١٧٧-١٧٨ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٦ ، ابن تغرى بردى :

النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦٢-١٦٣ .

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٣٦ .

وصلت أنباء الانتصار الى دمشق والقاهرة ففرح الناس بذلك واستبشروا وشكروا الله على هذه النعمة العظيمة وتساقطت دموعهم فرحاً بذلك (١) فعملوا الزينات وخرجوا لاستقبال الجيش الاسلامي وابن تيمية واصحابه وكان احتفالهم به كبيراً فالتفوا حوله فرحين بما يسر الله على يديه من نصر للاسلام والمسلمين (٢) وقد كان لابن تيمية دور كبير في حماية المسلمين والعالم اجمع من التدفـسـق المغولي ان أن انهزامهم في هذه المعركة أوقف سيرهم وحد من نشاطهم في اكتساح العالم ، وعرف العالم ان المسلمين قد هطموا قوة المغول الذين ارتعد الناس منهم ومن وهشيتهم التي وصلت الى اطراف اوربا وفي ذلك يقول جيون ان بعض سكان السويد قد سمعوا عن طريق روسيا نبأ ذلك الطوفان المغولي فلم يستطيعوا ان يخرجوا كعادتهم للصيد في سواحل انجلترا خوفاً من المغول (٣) .

...

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٢٥ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٩٣٦ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٢٥ .
- (٣) الاستانولي : ابن تيمية بطل الاصلاح الديني ص ٤٢ .

— غزوة الجرد والروافض : —

واصل ابن تيمية جهاده ضد الكفرة فبانهمزام التتر وكسر شوكتهم لم تزل هناك شوكة تؤرق الجسم الاسلامي في قسم جبال لبنان وسوريا حيث كان الروافض والجرد (١) والنصيرية قابضين بمأمن من المسلمين بمعد أن أذاقوهم صنوف العذاب والتنكيل أثناء الغزو التتري لبلاد المسلمين فكانوا يمترضون سبيل الجيش الاسلامي بدلا من مساعدته كما يفترون على القوافل الاسلامية فيأسرونهم ويبيعونهم للكفار (٢) فأفتى ابن تيمية بوجوب محاربة هؤلاء وانها جهاد في سبيل الله (٣) وراسل سلطان المسلمين بوجوب محاربتهم وكف أذاهم عن المسلمين (٤) ، وحث الناس على جهادهم السعي أن تجمع له جيش كبير خرج على راسه في سنة ٧٠٥ هـ الى بلادهم ثم تبعه نائب دمشق (٥) بجيش آخر ، حاصروا به بلادهم وقتلواهم قتالا شديدا اظهر فيه الشيخ شجاعة يضرب بها المثل ، وأفتى بجواز قطع شجرهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود بني النضير وكانت خطاة من ابن تيمية ليقضى بها على مقاومتهم باتلاف ثمرهم فلا يستطيعون الصمود لفترة طويلة (٦) .

-
- (١) جماعة من البغاة كانوا يروعون المسلمين ، وهم من سكان الجبال في بلاد الشام — ابن عبد الهادي : المقود الدرية ص ١٧٩ .
- (٢) ابن عبد الهادي : المقود الدرية ص ١٨٧ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٧٨ .
- (٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٤٦٨ — ٥٠١ ، ابن عبد الهادي : المقود الدرية ص ١٧٩ .
- (٤) ابن عبد الهادي : المقود الدرية ص ١٧٩ .
- (٥) هو جمال الدين اقوش الاخرم — ابن عبد الهادي : المرجع السابق ، ص ١٨١ — ١٨٢ .
- (٦) ابن عبد الهادي : المرجع السابق ص ١٩٠ — ١٩١ .

وقتل كثير من الروافض وانتصر المسلمون ورجعوا سالمين غانمين (١) وكان فتحا عظيما لشدة حصانة تلك البلاد وصعوبة سالكها لدرجة أن هولاكو هجز عن فتح بلادهم فقبض الله للمسلمين بهركة دعاء واشترك ابن تيمية النصر عليهم .

خرج أهل دمشق جماعات لاستقبال الشيخ ابن تيمية وتهنئته بالنصر وقاموا بزيارته في منزله للسؤال عن كيفية حصاره للجبل وعن سير القتال السوي أن حقق الله لهم النصر عليهم (٢) .

وقد كان لهذه الفزوة أثر كبير في بلاد الشام حيث انتشر الأمن بعدها في البلاد وسكنت الأمور واطمأن الناس بعد أن كانوا يغشون السير قرب بلادهم لكثرة ترويعهم للمارين بهم وسلمهم وقتلهم وفي ذلك يقول ابن الوردي : وأضنت الطرق بعدهم وكانوا يتخطفون المسلمين ويمنعونهم من الكفار وكان الذي أفتى بذلك ابن تيمية وتوجه مع المساكين (٣) .

...

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٥ ، ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ١٧٩ .
- (٢) ابن عبد الهادي : المرجع السابق ص ١٨٠ .
- (٣) ابن الوردي : تتميم المختصر ج ٤ ص ٣٦٣ .

سبحانك يا ذا الجلال والإكرام

سجن ابن تيمية

انتهى جهاد ابن تيمية في الميدان الحربي بعد أن نصره الله وثبته في المعارك التي خاضها ضد أعداء الاسلام ليبدأ مرحلة جديدة من الجهاد والصراع ضد البدع والمنكرات التي أثارت حسد وحقد البعض ضده فكانوا له حتى استطاعوا حبسه عدة مرات ويصور لنا موقفه هذا مصطفى عبد الرزاق حيث قال : "لم يكد يفرغ الشيخ من قتال النصيرية في بلادهم المنيمة حتى استدعى في نفس السنة الى مصر وعقد له مجلس بحضور القضاة وأكابر الدولة ثم حبس في الحب بقطعة الجبل ومعه أخواه سنة ونصف بسبب مانسب اليه من التجسيم" (١) .

كان سبب تلك المحنة يعود الى شخصية ابن تيمية وقوله للحق يسدون خوف ولا وجل بالاضافة الى تضلعه في كثير من العلوم ومجاهدته للبدع والخرافات الى جانب حدة في البحث وسرعة الغضب في وجه خصه ان لم يستطع فهمه (٢) . كل هذه الامور ساعدت على تأليب الحاقدين عليه واشارة حسدهم وغضبهم منه خاصة اذا علمنا ان بعض خصومه وحاسديه كانوا شيوخا له بينما لم يزل هو في الاربعين من عمره ، لذلك قاموا عليه وما حجوه في بعض فتاويه التي عارضهم فيها ، فزجوه في السجن عدة قمرات ، فسجن وأوزى وتأليب

(١) مصطفى عبد الرزاق : خمسة من أعلام الفكر الاسلامي ص ١١٤ .

(٢) محمد أبوزهرة : ابن تيمية ص ٥٣ .

عليه كثير من العلماء^(١) وهرضوا عليه العامة فأذوه (١) ، وكان موقف العاصمة مترددا بين حبهم للشيخ ابن تيمية وبين ما يذيعه خصومه ويشيرون عنده بعض الآراء التي تغضب العامة ولكن ثورة العامة لم تلبث أن تخمد إذا وقف الشيخ بينهم وشرح لهم وجهة نظره . فكان موقف ابن تيمية بين أعدائهم وأنصاره في اضطراب ، مما أدى بالسلطة أن تأمر بسجنه لا خمار تلك الفتن والمحافظة على حياة الشيخ ، وفي نفس الوقت ارضا^٢ خصومه الذين كانت لهم مكانتهم ووزنهم في الدولة .

— ابن تيمية في سجنه :

كان لا ندلاع الفتن والاضطرابات في البلاد بسبب فتاوى ابن تيمية الجريئة التي مست الاعراف والتقاليد في تلك الفترة ، وان كانت غير مخالفة للشريعة الاسلامية ، أن فكرت السلطة التي كانت ترى الحق في جانبهم في حماية الشيخ من كيد خصومه وتسكين الفتن والاضطرابات كما ذكرنا ، فتأمر بسجنه حيث تكرر حبسه خمس مرات ، وان كان في أغلبها حماية له اكثر منه انتقاما منه لفتاويه ، لذلك نرى انه يمكننا تقسيم سجن ابن تيمية الى ما يأتي :

(١) وذلك حين تألب عليه جماعة في مصر وضربوه وأذوه . ابن عبد الهادي : المقود الدرية ص ٢٨٦ .

١ - سجن وقائي : وهو وضعه في حبس يليق به مع توفير سبل العناية والخدمة والاطلاع والتدريس له وان لم يسمح له بالخروج من سجنه لكي يتحقق له الامن والحماية اللازمة مع تأمين الجو الملائم له للتأليف والبحث .

٢ - سجن تأديبي : وهو الذي كان في آخر حياته حيث ص ابن تيمية في فتواه بمنع شد الرجال الى قبور الانبياء والملاحين اعتقاد العامة بل والسلطة بالنسبة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يسمرون أنه لا ينبغي ان يتعرض احد الى منع زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . فاستفلمها خصومه وألبوا عليه السلطان والعامة الى أن تمكنوا من اثارة عواطف السلطان الذي أمر باضطهاده وسلب اوراقه وكتبه ومنعه من الاجتماع بالناس .

١ - السجن الوقائي :

في سنة ٧٠٥ هـ نجح خصوم ابن تيمية في مصر بالدس ضده لدى الامير بيبرس الجاشنكير (١) ، فأمر بحضوره على البريد الى مصر (٢) ، فسار اليهم الشيخ غير هيب ولا وجل كعادته في مواجهة الامور والصعاب بنفس مطمئنة واثقة بالنصر الالهى وهو يعلم ما يبيت له أعداؤه في مصر حيث كان اتباعه ومحبيه

-
- (١) كان الامير بيبرس في تلك الفترة بيده الحل والمقد في البلاد بعد تحكمه وتسلمه على السلطان الناصر محمد بن قلاوون .
- (٢) ابن عبد الهادى : المقنود الدرية ص ١٩٦ ، ابن كثير : البدائية والنهاية ج ١ ص ٣٧ .

فى الشام ولا يعرفه فى مصر الا القليل . الا انه يعلم ان الله تعالى لمن يتخلى عنه وسيمنحه الكرامة لا المهانة ، ورغم ما كان يتوقعه من شرفانه رأى أن فى ذهابه الى مصر مصالح كثيرة (١) . فلم يكذب ابن تيمية يحط رحاله مع أخويه فى مصر حتى استدعى الى مجلس عقد له فى القطعة بتدبير من خصوميه حضره كبار القضاة ورجال الدولة وواجهوه مباشرة بالاتهام وادعى عليه قاضى المالكية زين الدين بن مخلوف بانه يقول : ان الله فوق العرش حقيقة وأن الله يتكلم بحرف وصوت فأخذ الشيخ يستفتح كعادته بحمد الله والثناء عليه ليرد على هذا الادعاء فزجر وقيل له لا تخطب . اجب على الاتهام فعلم الشيخ انها محاكمة اتهام لا محاكمة اثبات حق او مجلس مناظرة . فسأل - ومن حقه ذلك - من الحاكم فى ؟ فقيل له : ابن مخلوف . فقال له ابن تيمية : كيف تحكم فى وأنت خصم ؟ فغضب عليه ابن مخلوف وأمر بحبسائه فى الجب بدون الاستماع الى مدى صحة نسبة هذا الكلام الى ابن تيمية - أوعده (٢) .

-
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٨ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٥٥ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠ - ابن عبد الهادى : المقود الدرية ص ١٩٧ ، البدرى : الاسلام بين العلماء والحكام ص ٢٠١ ، الجليند : الامام ابن تيمية ص ٢٣ .
- ولعل السبب فى قول ابن تيمية ذلك لابن مخلوف كما قال محمد ابوزهرة أن كل من ابن تيمية وابن مخلوف على طرفى نقيض فى التفكير فابن مخلوف يتقيد بمذهب اللاحمى ويرى ماعداه باطل . بينما ابن تيمية يرجع الى الكتاب والسنة و عليه السلف الصالح . وقد يكون ايضا رفعا ابن تيمية ان يكون ابن مخلوف حكاميه ما هو معروف عن ابن مخلوف من قسوة وسرعة فى اصدار الاحكام . كتاب ابن تيمية ص ٥٦ : ٥٧ .

كان أمر البلاد في تلك الفترة كما ذكرنا سابقا بيد الامير بن سـلار
وسيرس الجاشكنير يفعلان ما يحلوا لهما ، وكان لابن مخلوف منزلة كبيرة
لديهما فلا يرد له طلب وهو قاضي قضاة المالكية بمصر لذلك لم يكن ممن
السهل انصاف ابن تيمية منه كما أن عداوة بعض العلماء له كقيلة بأن تشير
الاضطرابات والفوضى في البلاد اذا ترك ابن تيمية حرا طليقا ، بالاضافة
الى أن كيد خصومه له كان شديدا بلغ الى درجة اصابته بالاذى والضرب فكان
لا بد من حمايته منهم مع توفير الجو الملائم له في القراءة والتأليف والاجتماع
بالناس .

استمر الشيخ في الحب لمدة سنة وهو بما عين من كيد اعدائه يتسرد
عليه تلامذته ومعه اخواه يقومون بخدمته الى أن فكر الامير سـلار أن يخرجـه
منه فجمع القضاة الثلاثة الحنفى والمالكي والشافعى وشاورهم في اخراج الشيخ
فوافقوه لما أراد بشروط منها رجوع الشيخ عن بعض ما أعلن في المسألة الحموية
وغيره نرفغى ابن تيمية هذه المساومة لعلـه برغبتهم في فرض الامر عليه لاعـن
طريق المناظرة والاعتناع بالحجة والبرهان (١) فكان أمره كما قلنا سيدنا
يوسف عليه السلام : (رب السجن أحب الى مما يدعونى اليه) الآية (٢).

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٤٣ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٥٨ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٣٣ .

لم ينس أهل الشام كبيرهم وصغيرهم الشيخ ابن تيمية فهو وان كان غائبا عنهم بجسده فهو بين قلوبهم يتحسسون أخباره ويدعون له بالنصر والتأييد على أعدائه . فحين أرسل ابن تيمية إلى أهله بالشام رسالة من السجن يخبرهم فيها بحاله وما أنعم الله عليه من نعم كثيرة سارع أمير الشام بطلب الرسالة ليطمئن على الشيخ ويطمئن العامة (١) على أخباره . وحين بلغ ما أصاب الشيخ في مصر لا مير العرب عيسى بن مهنا - وهو يعرف لابن تيمية قدره وفضله - سارع بالمسير إلى مصر وكلم ذوي الأمر فيها بأخراج الشيخ وعقد مجلس مناظرة له حيث يقرر فيه أهل الحل والعقد مدى صحة الاتهامات الموجهة إليه فوافق الأمير سار على ذلك فذهب أمير العرب بنفسه إلى الشيخ في السجن وأخبره بما تم عليه الأمر فوافق الشيخ على الخروج بهذه الطريقة الشريفة فما كان ليرضى بالخروج من السجن وهو مهضوم الحق رغم أنه وارضاء لخصومه فخرج حرا طليقا بعد حبس ثمانية عشر شهرا في سنة ٧٠٧ هـ (٢) .

اعتذر خصومه القضاة عن الحضور باعذار واهية بينما حضر كثير من العلماء والفقهاء لمناظرته ومناقشته فيهمهم ببيان وجهته وبلاغ أدلته وكثرة علومه وقرروا تبرئته مما نسب إليه .

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣ ، محمد ابوزهرة: ابن

تيمية ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٥ ، البدرى : الاسلام بين

العلماء والحكام ص ٢٠١ ، محمد ابوزهرة: ابن تيمية ص ٦٠ .

بعد خروج الشيخ معززا مكرما من السجن رغب أمير العرب - امانا
في الحرص على سلامة الشيخ ابن تيمية - السير به الى الشام حيث أهله
ومحبوه واتباعه بينما انهر الامير سارا معلوم ابن تيمية وقوة شخصيته فرغب في
بقائه بمصر لكي يستفيد منه أهلها كما استفاد منه أهل الشام (١) وترك القرار
النهائي لابن تيمية الذي رأى أن المصلحة تقتضى منه البقاء في مصر. فها
هي هذه المصلحة التي رآها ؟ أهى منصب ومال وجاه في دار السلطنة ؟
ليس هذا من خلق ابن تيمية وهو الذي لم يتدنس بهدايا السلطنة انما هي
نشر الهداية بين الناس وارشادهم الى طريق الحق والصواب بعيدا عن
تلبيسات أهل البدع والمنكرات (٢) .

لم يكن الطريق مهيدا له لكسب قلوب العامة فقد سبقه حاقدوه باساءة
سمعته وترصد حركاته مع عدم معرفة أهل مصر بابن تيمية وعلمه ومواهبه
الا أن الشيخ اتبع خطة يتجنب بها سخط العامة فكان يجذبهم اليه بالقاء
دروسه في المساجد وعلى المنابر في شرح آيات من القرآن الكريم وفي الوعظ ،
والارشاد، بينما يقوم في المدارس الخاصة كالمدرسة الصالحية بمقعد مجالس
مناظرة يبين فيها آراءه بالحجة الواضحة والبرهان (٣) .

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٤٥ .
(٢) محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٦١ .
(٣) محمد ابوزهرة : المرجع السابق ص ٦٢ .

رأى ابن تيمية في مصر بدءا جديدة فرأى للصوفية سلطانا قويا
في مصر (١) وهم اتباع ابن عربي الذي ينادى بوحدة الوجود ووضع الولي فوق
مرتبة النبي لان بزعمه ان الولي ياخذ عن الله بلا واسطة في حين يأخذها
النبي بواسطة جبريل وكان أتباعه يرون انهم اذا وصلوا الى مرحلة الفناء في
الله يرتفعون بها عن التكليف فنادى ابن تيمية بتكفيرهم ورماهم بالاحسان
والزندقة (٢) .

وأخذ يقيم المجالس في تبيين خطئهم بالحجة الواضحة والدليل حتى
سقطت منزلتهم عند الناس مما أثار حفيظتهم عليه خاصة حين انقسم الصوفية
على أنفسهم بعد أن ساق لهم ابن تيمية قصصا من الصوفية الحق لا التمس
لا ترفع نفسها عن التكليف (٣) .

حين رأى الصوفية ما حل بهم وبمكانتهم في قلوب العامة في مصر
سارعوا بالشكوى الى السلطنة بما اصابهم ومشائخهم على يد الشيخ فذهب
منهم جموع كبيرة الى القطعة (٤) مما أثار الاضطراب واذن ببداية اندلاع
الفتن (٥) وكثرت المناظرات والمجادلات الى ان ظفر الصوفية برسالة لابن
تيمية يمنع فيها الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال انه لا يستغاث

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٥ .
(٢) محمد الزين : منطق ابن تيمية ص ٣١٢ .
(٣) كما استشهد بقول الشيخ الشاذلي وهو من ائمة الصوفية عن اتباع
ابن عربي (هو لا كفار يعتقدون ان الصنعة هي الصانع) - الشرقاوي
مقالة الاهرام ص ١٣ بتاريخ ٨/٩/١٩٨٢ م .
(٤) يقصد بها قلعة الجبل مقر السلطنة بمصر .
(٥) ابن عبد الهادي : الحقوق الدرية ص ٢٦٧ . محمد ابوزهرة : ابن تيمية
ص ٦٦ .

الا بالله سبحانه وتعالى فنشروها بين الناس ما أدى الى سخط العامة
لان ابن تيمية من اعتقادهم بالنبي صلى الله عليه وسلم (١) فثارت بلبلة
في البلاد فأراد الامير سلاار حماية ابن تيمية من سخط العامة فحبسه ففى
سجن القضاة ووفر له جميع سبل الراحة فكان المكان فسيحا وعنده من يقوم
بخدمته وطلاب العلم يترددون عليه ويستفتونه فيما اشكل عليهم (٢) وهو
بما من من غوغاء الصوفية الذين يترصبون به الدوائر .

بعد ذلك تم اطلاق سراح الشيخ ابن تيمية باجماع من الفقهاء
والقضاة فخرج منصورا مؤيدا .

كثر كيد شيخ الصوفية نصر بن المنبجى لابن تيمية وكان معظما عند
الامير بيبرس الجاشنكير ولا يرد له طلب ففكروا فى التخلص من الشيخ بارساله
الى الاسكندرية بدون ان يصحبه احد لعل احدا من العامة او قطاع الطرق
يتعرض له بسوء (٣) . رأى الامير سلاار شريك بيبرس فى الحكم - ان فى ذلك
مصلحة كبيرة للشيخ فوافق على ارساله الى الاسكندرية لكى يضمن حماية الشيخ
من كيدهم مع توفير جميع سبل الراحة له حيث وضع فى مكان فسيح يتردد عليه
فيه الناس وطلاب العلم حيث يعقد حلقات الدرس كما يخرج لحضور الجماعات

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٧٠ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية
ص ٦٦ .

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٧١ ، الشرقاوى : مقالة فى
الاهرام ص ١٣ بتاريخ ٨ / ٩ / ١٢٨٢ م .

(٣) ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١ ص ٤٩ . ابن عبد الهادى : العقود
الدرية ص ١٩٨ . محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٦٩ .

ويعقد الدروس في المساجد ثم سمحوا بأن يلحقه أهله وتلامذته فالتف الناس حوله وأحبوه وانتقموا به .

ويعلق ابن كثير على الفترة التي قضاها الشيخ ابن تيمية في الاسكندرية فقال : (أقام بثغر الاسكندرية ثمانية أشهر مقيما بـ برج متسع طيح نظيف له شباكان احدهما الى جهة البحر والاخر الى جهة المدينه وكان يدخل عليه من شاء ويتردد اليه الاكابر والاعيان والفقهاء وهو في أطيب عيش وأشـرح صدر (١) . لم يكن الشيخ في حبس بمفهوم هذه الكلمة ان وضعه بهذه الصورة كأنه نزيل دار ضيافة راعى فيها المضيف خاطر ضيفه فوفر له سبل الراحة وبالح في اكرامه ولم يدع ممكنا في تهيئة جميع الظروف التي تساعد على العلم والبحث واللقاء الدروس وكان ذلك من نعم الله سبحانه وتعالى على الشيخ لان قصده نصره الشريعة فنصره الله .

(٢)

عاد السلطان الناصر محمد الى السلطنة فكان أول أمر أصدره هو

الافراج عن الشيخ واحضاره من الاسكندرية (٣) وكان السلطان محبا له ومعظما

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٤ ص ٥٠ هـ . ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢٧٧ .

(٢) وقد ذكرنا سابقا تسلط الأميرين سلا ر وبيرس على السلطان الناصر فكان ان خلع الناصر نفسه وذهب الى الكرك ثم عاد مرقا خري الى الحكم بعد غيابه عشرة شهور .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٤ ص ٥٣ هـ . ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ١٩٨ - ٢٧٨ .

يعرف علمه فأحضر الشيخ وبالح في اكرامه والاحتفاء به فأقام الشيخ بمصر
يدرس ويفتي وينظر ويبدل النصيحة للسلطان الى أن قرر الخروج مع السلطان
للغزاة حين بلغهم مسير التتر الى الشام فوصلوا دمشق وخرج الناس لاستقبالهم
وبالفوا في الحفاوة والترحيب بالشيخ بعد غيبة سبع سنين ثم عاد السلطان الى
مصر بعد انصراف التتر عن البلاد وترك الشيخ بين أهله ووطنه فمكث فيها الشيخ
على الدروس والتحصيل (١) .

رأى ابن تيمية انهيار كثير من العلاقات الزوجية في الشام بسبب
الحلف بالطلاق فساء له هذا الامر كثيرا وهو المعروف بمعطفه ومحبة الناس
فأراد أن يصل الى أصل ذلك في الكتاب والسنة والسلف الصالح فلم يجد له
اصلا . لذلك افتى أن الحلف بالطلاق لا يقع . فرح الناس بذلك كثيرا فقد
انقذ علاقاتهم الاسرية من الانهيار والتفوا حوله مما أثار عليه حفيظة كبار
المفتين فلم يصحبهم قوله (٢) . فذهبوا الى قاضي الحنابلة وطلبوا منه نصيح
الشيخ بترك هذه الفتوى فاجابه الشيخ ابن تيمية الى ما أراد الى أن جاءت

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٤ ص ٦٧ . محمد ابوزهرة : ابن
تيمية ص ٧٣ . وكان سبب انصراف التتر عن البلاد قلة المظف وغلاء
الاسعار وموت كثير منهم . ابن كثير: البداية والنهاية ج ٤ ص ٦٦ .
(٢) محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٧٩ .

أوامر السلطان بمنع الشيخ عن هذه الفتوى (١) وذلك بسبب خصومه بمصر
عندها رأى ابن تيمية في هذه الطريقة انه ان قبلها فقد قبل الدنية في الدين
فماورد الافتاء بها فسجن في قلعة دمشق سنة ٧٢٠ هـ (٢) . وظل في السجن
لمدة خمسة شهور الى أن ورد أمر سلطانى باخراجه ٧٢١ هـ (٣) .

بعد خروج ابن تيمية من السجن أقبل على الفقه دراسة وتدرسا السى
جانب اهتماماته بالعلوم الاخرى (٤)

٢- السجن التأديبى :

زادت نقمة حاسديه وهم يرونه في كل يوم تزداد رفمته ويلتسف
الناس حوله فأرادوا ان يكيدوا له في هذه المرة كيدا لا يستطيع منه فكأكا فأخذوا
يحصون عليه أنفاسه وحركاته وسكناته الى ان ظفروا له بفتوى افتاها منـذ
١٧ سنة يمنع فيها من شد الرحال لزيارة قهور الانبياء والصالحين (٥) ويشمل

-
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٨٧ ، عبد الهادى : المقنود
الدرية ص ٣٢٥ .
- (٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩٧ ، ابن عبد الهادى : المقنود
الدرية ص ٣٢٦ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٨٠ .
- (٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩٧ . محمد ابوزهرة : ابن تيمية
ص ٨٢ . وقد كان اخراج ابن تيمية من السجن بسبب اصحابه في مصر
لدى السلطان الى أن صدر امرا بالافراج عنه . الشرقاوى . الاحرام ،
ص ١٣ - ٢٠ / ١٠ / ١٩٨٢ م .
- (٤) محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٨٢ .
- (٥) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٢٣ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية ،
ص ٨٣ - ٨٤ .

ذلك قبره عليه الصلاة والسلام فسمعوا به عند ولاية الامور وكادوا له لما يملكون من مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في القلوب وأثاروا المصاحبة عليه فكاتبوا السلطان الناصر بذلك فأمر بمقعد مجلس من القضاة يقرر مدى صحة هذه الفتوى فحرف أعداؤه فيها وبدلوا الى ان رأى السلطان حماية للشيخ من سخط العامة لفتواه تلك بعد أن أحدثت بلبلة في جميع الاوساط فأمر بسجنه في قطعة دمشق حيث أخلى له قاعة فيها وأجرى اليها الماء وأذن لآخيه زين الدين بخدمته بأمر السلطان وتقديم جميع ما يحتاج اليه (١) . يقول ابن عبد الهادي : (وما زال الشيخ تقي الدين رحمه الله في هذه المدة معظما مكرما يكرمه نقيب القطعة ونائبها اكراما كثيرا ويستعرضان هوائجه ويبالغان في قضائها) (٢) .

كان حبس الشيخ ابن تيمية فيه خير كثير له حيث اتجه الى المباداة وتلاوة القرآن الكريم وتمحيص آرائه وتدوينها وتفسير بعض آيات القرآن الكريم والاجابة على الفتاوى التي ترده في القطعة من الناس (٣) ولم يعجب خصومه الحالة التي فيها ابن تيمية فهو في عيش رغد هنيء فأرادوا التضييق عليه وحرمانه من الكتب

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٢٣ . محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٨٥ .

(٢) المقود الدرية ص ٣٦٣ . وكانت زيارة القبور في نظر ابن تيمية أحسن اشكال تقديس الاولياء وهذا من اكبر الشرك بالله خاصة وان الروافض يرون ان زيارة قبور اوليائهم تماثل الحج عند اهل السنة . هنري لاورست : نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٨٠ .

(٣) محمد ابوزهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ج ٢ ص ٤٣٤-٤٣٥ .

والقراءة والكتابة فاستطاعوا اصدار أمر من السلطان باخراج مامعه من الكتب
والاوراق والدواة والظم مع منعه من القراءة والمطالعة ومنع الناس من زيارته
وحبس تلامذته وتمزيقهم (١) .

أخذ ابن تيمية يسجل خواطره على ورق متناثر او على الجدران بفحس
وجده في الحبس (٢) ذكر فيها انه في جهاد عظيم لا يقل عن جهاده للتتبر
والروافض (٣) فقد كان ابن تيمية رحمه الله شاكرا لانعم الله عليه راضيا بقضائه
فهو يعلم ان كل امر المسلم الى خير اذا مسته سراة شكر واذا مسته ضراة صبره .

اتجه الشيخ مع اخيه الى الاستزادة من القراءة والتامل في كتاب الله
فختموا ثمانين ختمة وشرعوا في الواحدة والثمانين الى ان وصلوا اية " ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند طيب مقدر . . . " الاية . فمرغى الشيخ بضعا
وعشرين يوما توفي بعدها في سنة ٧٢٨ هـ .

...

-
- (١) ابن كثير: البداية والنهاية ص ١٣٤ . انور الجندی : نوابغ الفکر
الاسلامی ص ٣١٩ .
- (٢) البدری : الاسلام بين العلماء والحكام ص ٢٢٠ ، محمد بهجت
البيطار: حياة شيخ الاسلام ص ٣١ .
- (٣) ابن عبد الهادی : العقود الدرية ص ٣٦٦ .

وفائے

— وفاته وثناء الأئمة عليه :

خرجت دمشق على بكرة أبيها في يوم الاثنين لمشرين خلت من
ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ لرؤية جنازة الشيخ ابن تيمية قبل ان يوارى التراب
وخرج كثير من النساء والصبيان حين سمعوا بخبر وفاته وحضر جماعة للتبرك
به وتقيله ثم صلى عليه بالقبعة ثم حمل الى جامع دمشق للصلاة عليه بمسند
صلاة الظهر فامتألت الطرقات بالناس واشتد الزحام حتى حمل النعش على
الرؤوس الى أن وورى الجثمان التراب ، بلغ عدد الرجال الذين مشوا فسي
جنازته حوالي ستين ألفاً أو أكثر وعدد النساء خمسة عشر ألفاً (١) .

وللتبرك به شرب جماعة الماء الذي فضل من غسله واقتسموا بقيصة
السدر الذي غسل به وقاموا بشراء لوازمه بأثمان باهظة فدفع في طاقيته
خمسمائة درهم وفي خيط الزئبق الذي يضعه في عنقه لدفع القمل مائة وخمسين
درهماً (٢) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٤ ص ١٣٥ ز ١٣٦ . ، ابن عبد الهادي :
المقود الدرية ص ٣٦٢ ، ٣٧١ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٤ ص ١٣٦ .

— ثناء الأئمة عليه :

كان رحمه الله نموذجاً للعالم المسلم في علمه وزهده وعبادته كما كان في شجاعته وصبره وعفوه، جذب إليه كثيراً من العلماء بقوة شخصيته ووفورة علومه كما نفر منه البعض لهذه الأسباب حسداً منهم وحقداً فأثنى عليه علماء عصره ومن أتى بعدهم ثناءً لم ير له مثيل حتى عدوه بمكان الفقهاء الأربعة لولا بعد الزمن بينه وبينهم (١) .

وهنا سنذكر بعض أقوال العلماء في الثناء عليه إذ لا يمكننا حصر ذلك مهما حاولنا لكثرتة :

قال عنه ابن الزطكانى : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ... الى أن قال :

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر (٢)

وقال عنه ابن الوردي :

(كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الا حاطة لله تعالى ، غير أنه يفترق من بحر وغيره من الأئمة يفترقون من السواقى) (٣) .

(١) د. ناصر بن سعد الرشيد : مقالة في رسالة المسجد ٤ / ٣ / ١٤٠١ هـ

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٣٧ ، ابن عبد الهادي : المعقود الدرية ص ٩ .

(٣) الالوس جلاء العيينين ص ١٠ .

وقال عنه البزار (أما مصرفته بصحيح الضقول وسقيه فانه في ذلك من الجبال التي لا ترتقى الودوتها ولا ينال سنامها قل ان ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله أو اشره او راوا الا وقد عرف حاله من جرح وتمديد باجمال وتفصيل (١) .

وقال عنه ابن عبد الهادي (كان بحرا لا تكدره الدلاء وحبيرا يقتدى به الاخبار الالباء طنت بذكره الا مزار وضنت بحمله الا عصار (٢) .

وقال عنه الحافظ المزي (ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه (٣) .

وقال عنه الحافظ الذهبي : (شيخنا الامام العالم العلامة الأوحدي شيخ الاسلام مفتي الفرق قدوة الأئمة أعجوبة الزمان بحر العلوم هجر القرآن ، تقى الدين سيد العباد أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٤) .

وقال عنه ابن سيد الناس اليمري المصري " ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذا روايته ، أو حاضر بالنحل والطل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من روايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه . . " (٥)

(١) الاعلام العلية ص ٣٢ .

(٢) (٣) العقود الدرية ص ٧ .

(٤) المصذر السابق ص ٩ .

(٥) ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ١٠ .

وابن سيد الناس هو الشيخ فتح الدين محمد بن ابي عمرو بن محمد بن يحيى

ابن سيد الناس الربيعي اليمري الاندلسي الاشيلي ثم المصري ولد سنة

٦٧١ هـ سمع الكثير واجازله الرواية جماعة من المشايخ ، لم يكن في مصر مثله (=)

وقال عنه ابن دقيق العيد : " لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا
كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ، وقلت له ما كنت أظن
أن يخلق مثلك " (١) .

وقال عنه شيخ النحاة ابوحيان حين اجتمع به : مارأت عيناى مثله
ومدحه بأبيات فى وقتها فقال :

لما أتينا تقى الدين لاح لنا داع الى الله فردا ماله وزر
على محياه سيما الألى صحبوا خير البرية نور دونه القصر (٢)

وقال عنه الشيخ الامام بهاء الدين القاسم بن عساكر :

تقى الدين أضفى بحر علم يجيب السائلين بلا قنوط
أحاط بكل علم فيه نفوس فقل ما شئت فى البحر المحيط (٣)

وقد قيلت فى الشيخ عدة مراثى فقد كان لموته وقع كبير على النفوس من علماء
وعامة فعبروا عن هزנם لمصابه بأبيات شعرية وقصائد مطولة .

(=) فى حفظ الاسانيد والمتون والمطل والفقه والطح والاشعار
توفى سنة ٧٣٤ هـ .

ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٦٩ .

(١) الاستانبولي : ابن تيمية بطل الاصلاح الدينى ص ١٢

(٢) المرجع السابق ص ١٣ ، ابن اللوسى : جلاء العينين ص ١٢

(٣) ابن عبد الهادى : المقود الدرية ص ٣٩٦ .

ومن رثاء زين الدين عمر بن الوردى ، والشيخ أمين الدين
عبد الوهاب بن سلار الشافعى (١) ، والامام تقى الدين الدقوى (٢) والشيخ
مجير الدين الجوخى الدمشقى الذى قال يرثيه :

ولقد علا الا سلام جل مصابه	لكنها لا تدفع الا قـدار
لو كان فى الدنيا يدوم مخلدا	بشر لخلد أحمد المختار
ولكل حى خلع ثوب حياته	علما بأن ثوب الحياة مـزار (٣)

...

(١) أمين الدين عبد الوهاب بن يوسف بن ابراهيم بن السلار الدمشقى
ولد سنة ٦٩٨ هـ سمع من المزمى وغيره اتقن العربية والفرائض والقراءات
وله فيها مؤلفات كثيرة توفى سنة ٧٨٢ هـ . ابن العماد : شذرات
الذهب ج ٦ ص ٢٧٥ .

(٢) هو امام المحققين وقدوة أئمة المحدثين تقى الدين ابوالثناء محمود بن
على بن داود الدقوى توفى سنة ٧٣٣ هـ . ابن عبد الهادى : المعقود
الدريّة ص ٣٩٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٠٦ .

(٣) ابن عبد الهادى : المعقود الدريّة ص ٤١٨ : ٤١٩ ، وهى من قصيدة
طويلة اخترنا منها هذا المقطع .

أهم الأحداث فى حياة شيخ الاسلام أحمد بن تيمية

	السنة	
	هجريه	ميلاديه
مولده بحران .	٦٦١	١٢٦٢
قدومه مع أسرته الى دمشق .	٦٦٧	١٢٦٨
وفاة والده الشيخ عبد الحليم بن عبد السلام .	٦٨٢	١٢٨٣
أول درس يلقيه الشيخ فى مكان أبيه .	٦٨٣	١٢٨٤
الامام شرف الدين المقدس يأذن لابن تيمية بالافتاء .	٦٩٤	١٢٩٤
تدريسه فى المدرسة الحنبليه بعد وفاة أبيه .	٦٩٥	١٢٩٥
محنة الشيخ بسبب المسألة الحموية .	٦٩٨	١٢٩٨
موقعة وادى الخازندار وانكسار المسلمين فيها ، ولقضاء الشيخ ابن تيمية لغازان مع مجموعة من العلماء .	٦٩٩	١٢٩٩
مجابهة الشيخ لأهل جبل الكسروان والرافضة وانتصاره .	٦٩٩	١٢٩٩
ذهاب الشيخ الى مصر لبحث السلطان على الجهاد ومعاونة أهل دمشق .	٧٠٠	١٣٠٠
وقعة تل شقيب ودور ابن تيمية فيها وانتصار المسلمين فيها .	٧٠٢	١٣٠٢
معاربة الشيخ للروافض .	٧٠٥	١٣٠٥
محنة الشيخ فى القاهرة وسجنه فى الحبس .	٧٠٥	١٣٠٥
خروج الشيخ من السجن .	٧٠٧	١٣٠٧
سجن الشيخ فى الاسكندرية فى مكان فسيح .	٧٠٩	١٣٠٩

السنة		
هجري	ميلادي	
٧٠٩	١٣٠٩	الافراج عن الشيخ بأمر السلطان محمد الناصر وحضوره الى القاهرة .
٧١٢	١٣١٢	عودة الشيخ الى دمشق بعد غياب ٧ سنوات بنية محاربة التتر (حيث عاد التتر وكفى الله المؤمنين القتال) .
٧١٨	١٣١٨	طلب قاضي الحنايلة من الشيخ ترك الافتاء في مسألة الطلاق منعا لاثارة الفتن فأجابه الشيخ الى ذلك ، ثم ورود كتاب سلطاني بمنعه من الفتاوى فعاد للافتاء .
٧٢٠	١٣٢٠	اعتقال الشيخ بقلعة دمشق بسبب معاودته الافتاء .
٧٢١	١٣٢١	الافراج عن الشيخ بعد سجن خمسة شهور وثمانية عشر يوما .
٧٢٦	١٣٢٥	اعتقال الشيخ بقلعة دمشق ومنعه من الافتاء بعد فتواه في السفر واعمال المطي الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين .
٧٢٨	١٣٢٧	اخراج الكتب والأوراق والأقلام من عند الشيخ ومنعه من الكتابة والمطالعة .
٧٢٨	١٣٢٧	وفاة الشيخ رضى الله عنه ليلة الاثنين في عشرين ذى القعدة ودفنه بمقابر الصوفية .

اسخاتمة
نناجم البحت

الخاتمة

وبعد أن استعرضنا أحوال العالم الاسلامي والأحداث التي مرت به ودور ابن تيمية في هذه الأحداث نرى أننا مهما حاولنا أن نوفى الموضوع حقه فلن نستطيع ونبقى مقصرين فيه لعجزنا البشرى عن الكمال . ولقد سبقنا الكثيرون من الكتاب والباحثين فى تناول حياة ابن تيمية وعصره ومؤلفاته الا أننا فى هذا البحث ركزنا على نقاط معينة فى حياة ابن تيمية وما يرتبط بها من أحداث . ندعو الله أن نكون قد وفقنا فى القاء الضوء على أمور لم تكن واضحة فى المراجع والمصادر التى بأيدينا ويكون ذلك بداية لأبحاث متتالية تبرز دور ابن تيمية القيادى فى الممارك ضد أعداء الاسلام وقد ذكرنا فى البحث :

١ - دور ابن تيمية الجهادى فى مختلف الميادين حيث قسمنا جهاده الى :

(١) جهاده بالكلمة .

(٢) جهاده بالقلم .

(٣) جهاده باليد ، ويشمل :

أ - محاربته وإزالته للبدع والمنكرات .

ب - حمله للسيف والجهاد فى سبيل الله .

١ - جهاده بالكلمة :

وتمثل ذلك فى إقامته للمحاضرات والندوات ودروس العلم لتوعية المسلمين بأمور دينهم ومحاولة إرجاعهم الى الكتاب والسنة

ومحاربتة في هذه المجالس لأهل البدع والمنكرات وكشف عيوبهم
ودبائسهم على الأمة الإسلامية أمثال الصوفية والأحمدية وغيرهم .
وكذلك موقفه من كشف القناع عن اسلام المغول بعد موقعة
وادي الخازندار مما أعاد للمسلمين حماسهم ضد المغول وانتصارهم
بعد ذلك في موقعة تل شقحب .

٢ - جهاده بالقلم :

ونقصد به المؤلفات الكثيرة التي أثرت مكتبتنا الإسلامية
بمختلف أنواع العلوم وكانت في معظمها اماردا على تساؤلات بعض
الناس في النواحي الفقهية وغيرها ، واما ردا على مؤلفات
الروافض والمنطقيين والملاحدة ففي كتاب منهاج السنة النبوية
في نقض كلام الشيعة والقدرية حيث رد فيه على ادعاءات المطهر
الحلي الراقضي مؤلف منهاج الكرامة في معرفة الامامة ، كذلك كتابه :
في الرد على المنطقيين وغيره من الكتب القيمة التي تصدى فيها
ابن تيمية للفكر الاحادي والفكر الاجنبي المتمثل في أعداء الأمة
الإسلامية من النصاري وغيرهم ، وانتقاله في جهاده الى خارج بلده
حيث أرسل رسالة الى ملك قبرص يعرض عليه الاسلام ، والاحسان
الى أسرى المسلمين الذين بحوزته .

٣ - جهاده باليد :

أ - ازالته للبدع والمنكرات بنفسه بدون اذن من ولي الأمر واقامته
للحدود من تعزير وحلق رؤوس الصبيان وغيره ، وكان ذلك

فى عهد اضطراب أحوال العالم الاسلامى أثناء الغزو المغولى حيث صاحب ذلك اضطراب فى أحوال البلاد واختلال الأمور فى يد السلطة المركزية فى دمشق مما أدى الى انتشار المفسدين الذين خرجوا من السجون وأهل البدع والضلالات بدون رادع حيث رأى ابن تيمية أن من واجبه القيام بهذه الأعمال وأن كانت ليست من اختصاصه . لذلك فنجده فيما بعد يرجع عن رأيه هذا ويبين خطأه ويعترف بذلك ويقول " هذا الأمر من اختصاص ولى الأمر والواجب طاعته وعدم سلب اختصاصاته تلك " .

ونلاحظ أن رجوع ابن تيمية عن الجهاد باليد لا ينبغى أن يكون على إطلاقه وإنما يكون ذلك إذا تولى ولى الأمر القضاء على المنكرات أما إذا كان ولى الأمر لا يبالى بانتشار المعاصى فإن على العلماء أن يقوموا بذلك تحقيقاً لقول الله سبحانه : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . . . الخ .

ب - جهاد بالسيف أبرزنا فيه دور ابن تيمية فى تهيئة نفوس المسلمين للجهاد فى سبيل الله ووجوب محاربة التتر لأنهم كفار وملحدون وذلك عن طريق دروس الجهاد التى كان يلقيها على الناس لتقوية قلوبهم على لقاء العدو وانتظار احدى الحسنيين ، أما النصر واما الشهادة ثم انتقلنا الى تطوّر

دور ابن تيمية من الدروس النظرية الى الناحية العملية حيث
اشترك في فتح عكا ودوره في ذلك ، فكان اشتراكه هذا
بمثابة بداية تمرس على القتال لكي يشترك فيما بعد في موقعة
تل شقيب ، حيث ذكرنا في موقعة تل شقيب دور ابن
تيمية في تثبيت المسلمين على لقاء العدو وفتاويه العديدة
في المعركة من وجوب حرب التتر لأنهم كفرة .

ثم افتاؤه بجواز الفطر في رمضان في خضم المعركة
ثم حمله للسيف ومحاربته للتتر وظهره لضروب الشجاعة
الى أن كتب الله النصر على الأعداء كما أبرزنا نتائج عداوة
خصوم ابن تيمية والتي تمثلت في سجنه خمس مرات وقلنا
ان دور الحكام كان كبيرا في تخفيف وطأة السجن عليه حيث
جعلوا منه سجن وقاية له من كيد أعدائه وخصومه ومن سخط
العامة عليه لفتاويه الجريئة التي هاجمت العرف السائد في تلك
الفترة رغم استنادها الى آيات وأحاديث من الكتاب والسنة
أو سيرة السلف الصالح ، ودليلنا على أن سجنه كان وقاية
له أن الشيخ كان في راحة عظيمة حيث كان هناك من يقوم
بخدمته وهم اخوته كما كانت مؤلفاته وكتبه وأوراقه وأقلامه
تحت يده وتصرفه كما كان طالب العلم يترددون عليه يسألونه
ويستفتونه بل كان في بعض الأحيان يخرج من السجن لحضور
صلاة الجمعة في الجامع ، وما عدا ذلك فقد منع من
الخروج منه وما ذلك الا امعانا في حمايته من خصومه .

الا أن الوضع تغير في آخر سجن له في سنة ٧٢٦ هـ في قلعة دمشق حيث كان في بداية أمره في راحة عظيمة بين كتبه ومولفاته الى أن تمكن خصومه من الكيد له وهو داخل السجن لأنه لم يكفهم أنه منع من الخروج منه فقاموا بسلب أعز ما يملكه فأخرجوا كتبه وأوراقه والقلم والدواة ومنع الناس من زيارته الى أن مرض وتوفي سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م .

وقد استطعنا أن نرد على ابن عبد الهادي ومن شايعه من المؤرخين في وصفهم جميع العلماء الذين خالفوا ابن تيمية بأن هذا الخلاف كان ناتجا عن الحقد والحسد وأثبتنا أن هذه التهمة للعلماء كانت غير صحيحة إذ أن معظم خصومه من العلماء كانوا على درجة كبيرة من العلم والديانة ، فقد كانت خصومتهم له ناتجة من الاختلاف في الرأي والحوار العلمي الذي كان يسود في تلك الفترة بينهم . وما يدلنا على ذلك ثناء بعض خصومه عليه أمثال ابن مغلوب وغيره . وجانب هؤلاء العلماء كان هناك طائفة قليلة من غير العلماء كانوا يحسدونه فاستطاعوا أن يثيروا عليه الأمراء حيث نالهم الأذى منهم ، ونجد ابن تيمية نفسه يذكر لنا ما يحدث له على يد خصومه حيث يقول : " ولا عندي عتب على أحد منهم ولا لوم أصلا ولا يخلو الرجل . اما أن يكون مجتهدا مصيبا . . . أو مخطئا . . . أو مذنباً فالأول مأجور مشكور . . والثاني مع أجره على الاجتهاد محفو عنه مغفور له ، والثالث فالله يخفر لنا وله " (١) .

ويصور أيضا ابن تيمية هذا الحوار العلمي والمناقشة للوصول للحقيقة بأنه من مصالح المؤمنين أن يصلح الله بعضهم ببعض . فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . والمؤمن للمؤمن كاليد في تفسيل أحدهما الأخرى ، وقد لا يزول الوسخ إلا بشيء من الخشونة حيث ينتج عنه من النظافة والنعومة ما نحمد ذلك التخشين^(١) .

وقد ألحقنا بالبحث رسائل تعد بمثابة وثائق تاريخية تصور لنا مدى العلاقة التي كانت بين سلاطين الممولى وسلاطين المماليك وعن أسباب العداء بين الدولتين ثم هدوء الأحوال بينهما وقيام الصلح بعد أن حسن اسلام التتار في عهد السلطان سعيد بهادر خان .

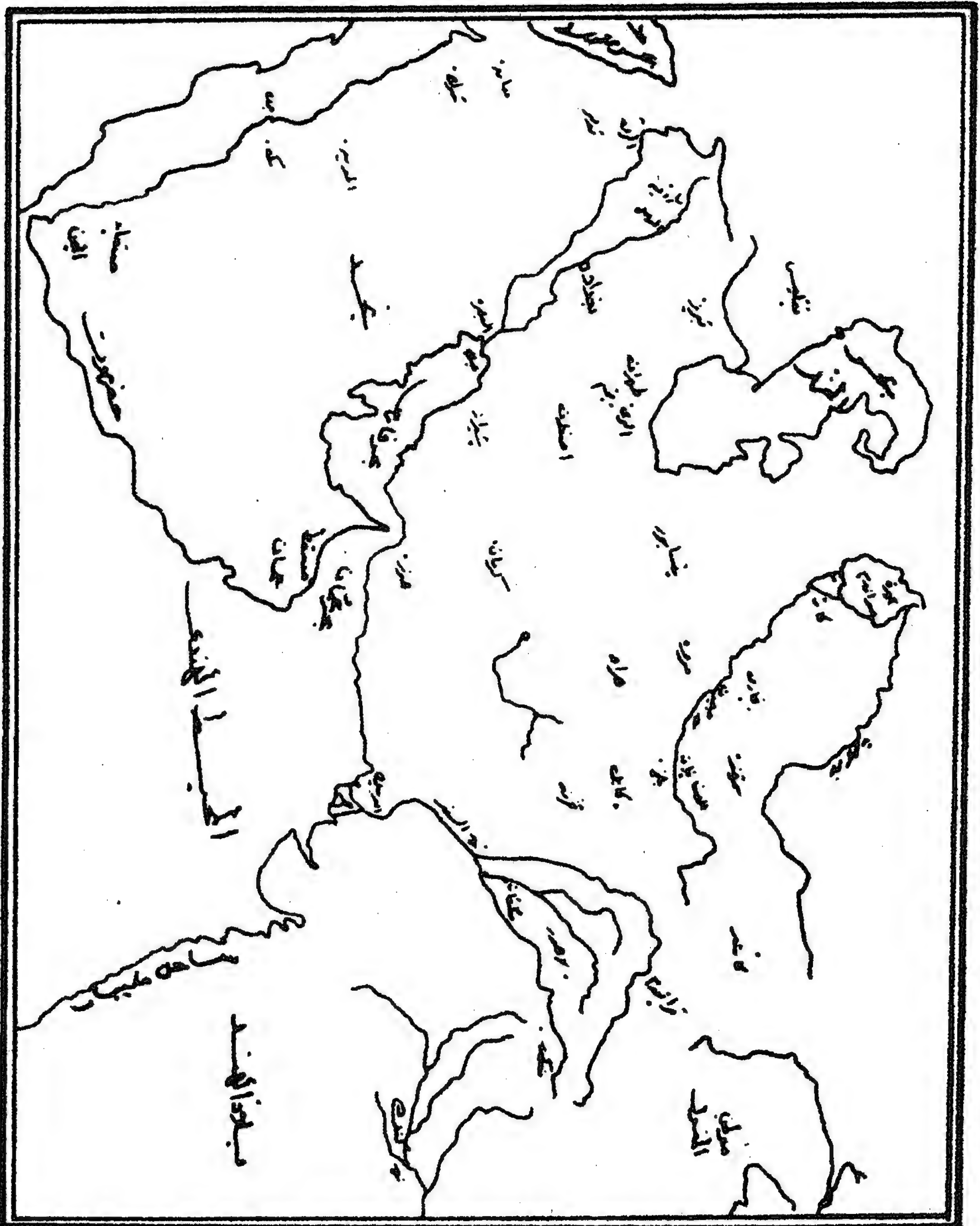
كما كان هناك نص فرمان السلطان غازان بعد انتصاره في موقعة وادي الخازندار متولية الأمير قبچق بلاد الشام واعطائه الأمان للسكان ، وتبين لنا هذه الوثيقة كذب اسلام غازان وعدم التزامه لمعهوده ومواثيقه التي كانت مجرد حبر على ورق .

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا في ابراز نقاط البحث بوضوح وان كان فيها شيء من التقصير فليغفره لنا القاري ، لأننا أولا وأخيرا بشر فينا التقصير ، فالكمال لله وحده .

وأخبر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ملحق البحث

ملحق الخزانة



خريطة رقم (١١)

خريطة مدت المشرق الإسلامى . فتلا من المشرق المشرقى
لبنين فيها موطن المذبح والكنساحهر للعالم الإسلامى حتى استقرت بغداد



خزینة عالم (۱۰)

بلاد فارس و الشراة من كتاب تاريخ المشهور بالاسلامية و كتاب بروج الملائكة ص ۱۵۱
 و بیان عملکة خوارزمشاه و جلای الدین منکدطف



شكل رقم (٤)

خريطة توضح موقعة وادي الخازندار بالقرب من سليمانية

نقلا عن أطلس العالم الصحيح ص ٢٥

ملحق الرسائل

(ملحق رقم ١)

(١) نص رسالة من هولاكو الى الملك الناصر صاحب دمشق وحلب

(٢)

" يعلم سلطان مصر ناصر طال بقاءه أنا لما توجهنا الى العراق
وخرج اليها جنودهم فقتلناهم بسيف الله ثم خرج اليها رؤساء البلد
ومقدموها فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق الهلاك وأما
ما كان من صاحب البلد فانه خرج الى خدمتنا ودخل تحت عبودتنا
فسألناه عن أشياء كذبنا فيها فاستحق الاعدام وكان كذبه ظاهرا ووجدوا
ما عطاوا حاضرا أجب ملك البسيطة ولا تقولن قلاعي المانعات ورجالتي
المقاتلات ولقد بلغنا أن شذرة من العسكر التجأت اليك هاربة والى
جانبك لائذة :

انى المعز ولا معز لهارب .. ولنا البسيطان الثرى والماء

فساعه وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضها وطولها
عرضها . والسلام ."

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٢) هكذا وجد في النص ، ولعل مخاطبة هولاكو للناصر صاحب دمشق وحلب
لسلطان مصر لظنه بأن مصر خاضعة لصاحب دمشق بصفته من كبار أمراء
الأسرة الأيوبية .

(ملحق رقم ٢)

نص رسالة السلطان أحمد تكدار الى السلطان المنصور قلاوون
سلطان المماليك سنة ٦٨١ هـ / سنة ١٢٨٢ م

بقوة الله
تعالى

" باقبال قان
فرمان أحمد "

بسم الله
الرحمن الرحيم

الى سلطان مصر، أما بعد فان الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ونور هدايته قد
كان أرشدنا في عنفوان الصبا، وريمان الحداثة الى الاقرار بربوبيته والاعتراف
بوحدايته، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، بصدق نبوته، وحسن
الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده وزيته (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للاسلام) فلم نزل نميل الى اعلاء كلمة الدين واصلاح أمور الاسلام والمسلمين الى
أن أفضى الينا بعد أبينا الجليل وأخينا الكبير نوه الملك فأضفى علينا من جلابيب
الطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه وجلى هذه المملكة علينا،
وأهدى عقيلتها اليها فاجتمع عندنا في قوريليان المبارك - وهو المجتمع الذي تقدر
فيه الآراء - جميع الاخوان والأولاد والأمرء الكبار ومقدموا العساكر وزعماء البلاد
واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير في انفاذ الجم الغفير من عساكرنا
التي ضاقت الأرض برحبها من كثرتها، وامتلات الأرض رعبا من عظيم صولتها، وشديده
بطشتها، الى تلك الجهة بهمة تخضع لها صم الأطواد، وعزيمة تلين لها الصم الصلاد،
ففكرنا فيما تمخضت زبد هوائهم عنه، واجتمعت أهواؤهم عليه فوجدناه مخالفا لما كان في
ضميرنا من اقتفاء الخير العام، الذي هو عبارة عن تقوية شعار الاسلام، وان لا يصدر عن
أوامرنا ما أمكننا الا ما يوجب حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وتجري به في الأقطار،
رخاء نسائم الأمن والأمان، ويستريح به المسلمون في سائر الأمصار، في مهاد الشفقة والاحسان
تمظيما لأمر الله، وشفقة على خلق الله، فإلهنا الله تعالى أطفا تلك النائرة، وتسكين الفتن

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٨ ص ٦٥ - ٦٨، المقرئزي: السلوك : ج ١ ق ٣ ص

٩٧٧ - ٩٨٠ ومشيء من الاختصار أوردها آرنولد توينبي في الدعوة الى الاسلام

ص ٢٦١ - ٢٦٢.

الثائرة، واعلام من اشار بذلك الراى بما ارشدنا الله اليه : من تقديم ما يرجى به شفاء مزاج العالم من الاءاء ، وتأخير ما يجب ان يكون اخر الاءاء واننا لانحب المسارعة الى هز النصال للنضال الا بعد ايضاح المحجة ولا نبادر لهما الا بعد تبين الحق وتركيب الحجة بقوة عزمنا على ما راينا من دواعى الصلاح ، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح ، ان كان الشيخ قدوة المارفين " كمال الدين عبدالرحمن " الذى هو نعم العون لنا فى امور الدين فارسلناه رحمة من الله لمن (لبي) دعاه ونقمة على من اعرض عنه وعصاه وانفذنا اقضى القضاة قطب الملة والدين والاثابك بها ، الدين اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة ليعرفوهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما تنطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا وبيننا لهم انا من الله تعالى على بصيرة وان الاسلام يجب ما قبله وانه تعالى القى فى قلوبنا ان نتبع الحق واهله ، ونشهد ان عظيم نعمة الله للكافة بما دعانا اليه من تقديم اسباب احسان ان لا يحرموها بالنظر الى سائر الاحوال فكل يوم هو فى شان فان تطلعت فى نفوسهم الى دليل تستحكم بسببه دواعى الاعتماد ، وحجة يثقون بها من بلوغ المراد فلينظروا الى ما ظهر من امرنا مما اشتهر خبره ، وعم اثره ، فانا ابتداء بتوفيق الله بااعلاء اعلام الدين واظهاره ، فى ايراد كل امر واصداره ، تقديم لنا مرسى الشرع المحمدى ، على مقتضى قانون العدل الاحمدى ، اجلالا وتمظيما ، وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اجترح سيئة واقترب وقابلناه بالصفح وقلنا عفا الله عما سلف وتقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس ، وعمارة بقاء الدين واربط الدارس بوايصال حاصلها بموجب عوائدها القائمة الى مستحقها بشروط واقفيها ، ومنعنا ان يلتمس شىء مما استحدث عليها ، وأن لا يغير احد شيئا مما قرر اولاء ، وامرنا بتمظيم امر الحجاج وتجهيز وفد هـا ،

وتأمين سبلها، وتسيير قوافلها وانا اطلقنا سبيل التجار المترددين الى تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على احسن قواعدهم وحرمانا على المعساكر والقراغولات والشحاني في الاطراف المعرضين لهم في مصادرههم ومواردهم ، وقد كان قراغول صادف جاسوسا في زى الفقراء كان سبيله ان يهلك فلم نهرق دمه بحرمته ما حرمه الله تعالى واعدناه اليهم . ولا يخفى عنهم ما كان في انفسهم من الجواسيس من الضرر العام للمسلمين ، فان عساكرنا طالما رأوهم في زى الفقراء والنساک واهل الصلاح ، فساءت ظنونهم في تلك الطوائف فقتلوا منهم من قتلوا وفعلوا بهم ما فعلوا ، وارتفعت الحاجة بحمد الله الى ذلك بما صدرنا من اننا به من فتح الطريق وتردد التجار فاذا امعنوا الفكر في هذه الامور وامثالها لا يخفى عنهم انها اخلاق جبلية طبيعية وعن شوائب التكلف والتصنع عريضة ، واذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المضرة التي كانت موجبة للمخالفة ، وانها ان كانت طريقا للذب والذود عن حوزة الاسلام فقد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين ، وان كانت لما سبق من الاسباب ، فمن يتحرى الان طريق الصواب فان له عندنا الزلفى وحسن مآب . وقد رفعنا الحجاب واتينا بفصل الخطاب وعرفناهم (طريقتنا و) ما عزمنا بنية خالصة لله تعالى على استئنائها وحرمانا على جميع المعساكر العمل بخلافها لنرضى الله والرسول ويلوح على صفحاتها اثار الاقبال والقبول وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الامة وتتجلى بنور الائتلاف ، ظلمة الاختلاف والغممة ، ويشكر سابغ ظلمها البوادي والحواسر ، وتقر القلوب التي بلغت من الجهل الحناجر ويمضي عن سالف الجرائر ، فان وفق الله سلطان مصر الى ما فيه صلاح العالم وانتظام امور بني آدم ، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك الطريقة المثلى ، بفتح

أبواب الطاعة والاتحاد ، وبذل الاخلاص بحيث تعمرك تلك الممالك وتيك البلاد ،
وتسكن الفتنة النائرة وتغمد السيوف البائرة ، وتحل العامة ارض الهوينى
وروي الهدون ، وتخلص رقاب المسلمين من اغلال الذل والهوان ، وان غلب
سوء الشين بما تفضل به واهب الرحمة ، ومنع معرفة هذه النعمة فقد شكر الله
مساعدنا وأبلى عذرنا ، (وما كنا معذبين حتى ننبعث رسولا) والله تعالى
الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيمن على البلاد والعباد ، ان شاء الله
تعالى .

...

(ملحق رقم ٣)

نص رسالة السلطان المنصور قلاوون
الى السلطان أحمد تگدار^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

باقبال دولة
السلطان الملك المنصور

بقوة الله
تعالى

كلام قلاوون

الى السلطان احمد

أما بعد حمد الله الذى اوضح لنا وبنا الحق منهاجا ، وجسا
نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد الذى فضله الله على كل نبي نجي به امته وعلى كل نبي نجي ، صلاة
تنير ما دجا ، فقد وصل الكتاب الكريم ، المتلقى بالتكريم ، المشتمل على النبأ
العظيم من دخوله فى الدين ، وخروجه عن سلف من المشيرة لا قريبين ، ولما فتح هذا
الكتاب بهذا الخبر العلم المعلم ، والحديث الذى صحح عند اهل الاسلام اسلامه
واصح الحديث ما روى عن مسلم ، توجهت الوجوه بالدعاء الى الله سبحانه فى
ان يثبت على ذلك بالقول الثابت وان ينبت حب حب هذا الدين فى قلبه كما
انبت احسن النبت من اخشن المنابت وحصل التأمل للفصل المتبدأ بذكره
من حديث اخلاصه فى اول عنفوان الصبا الى الاقرار بالوحدانية ، ودخوله فى
المطة المحمدية ، بالقول والعمل والنية ، فالحمد لله على ان شرح صدره للاسلام ،
والهمم شريف هذا الالهام ، فحمدنا الله على ان جعلنا من السابقين الى هذا
المقال والمقام ، وثبت اقدامنا فى كل موقف اجتهاد وجهاد تتزلزل دونه الاقدام .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٣٧ - ٢٤٢ ، المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣

واما افناء النوبة في الملك وميراثه بعد والده واخيه الكبير اليه، وافاضة جلابيب هذه النعمة العظيمة عليه، وتوقه للأسرة التي طهرها الله بايمانه واظهرها بسلطانه، فلقد اورثها الله من اصطفاه من عباده، وصدق المبشرات من كراما ولياء الله وعباده .

واما حكاية الاخوان والامراء الكبار ومقد من المساكر وزعماء البلاد فسي مجمع قوريلتاي الذي ينقدح فيه زند الاراء، وان كلمتهم اتفقت على ما سبقت به كلمتاخيه الكبير في انفاذ المساكر الى هذا الجانب، وانه قد فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم وانتهت اليه اهواؤهم فوجده مغالفا لما في ضميره : ان قصده الصلاح ورأيه الاصلاح وانه اطفأ تلك النائرة وسكن تلك النائرة فهذا فصل الملك المتقي المشفق من قومه على من بقي، المفكر في العواقب، بالرأي الثاقب ، والا فلو تركوا وآراءهم حتى تحطمهم الفرة، لكانت تكون هذه هي الكرة، لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فلم يوافق قول من ضل ولا فعل من غوى .

واما القول منه انه لا يجب المسارعة الى المقارعة الا بعد ايضاح المحجة بتركيب المحجة، فبان نظامه في سلك الايمان صارت هجتنا وهجته مركبة على من غدت طواغيته عن سلوك هذه المحجة متنبهة، فان الله سبحانه وتعالى والناس كافة قد علموا ان قيامنا انما هو لنصرة هذه المطة، وجهادنا واجتهادنا انما هو لله، وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول، فقد ذهبست الاحقاد، وزالت الدخول، وبارتفاع المناصرة، تحصل المظافرة، فالايان كالبنيان

يشد بعضه ببعض، ومن أقام مناره فله اهل باهل في كل مكان وجيران بجيران بكل ارض .

واما ترتيب هذه الفوائد الجمة على انكار شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن، اعاد الله تعالى من بركاته، فلم ير لولى قبله كرامة كهذه الكرامة والرجاء ببركته وبركة الصالحين ان تصبح كل دار اسلام دار اقامة حتى تتم شرائط الايمان، ويعود شمل الاسلام مجتمعا كاحسن ماكلن، ولا ينكر لمن بكرامته ابتداء هذا التمكين في الوجود ان كل حق ببركته السبى نصابه يعود .

واما انفاذ اقضى القضاة قطب المطلة والدين، والالتابك بهاء الدين الموثوق بنقلهما في ابلاغ رسائل هذه البلاغة، فقد حضرا واعادا كل قول حسن من احوال احواله وخيارات خاتمه، ومسارات ناطره، ومن كل ما يشكر ويحمد ويمنن حد يشهما فيه عن مسند احمد .

وأما الاشارة الى أن النفوس ان كانت تتطلع في اقامة دليل تستحكم (به) دواعي الود الجميل فليتنظر الى ما ظهر من آثاره في موارد الامر ومصادره من العدل والاحسان بالقدير واللسان، والتقدم باصلاح الاوقات، فهذه صفات من يريد لملكه الدوام، فلما ملك عدل، ولم يلتفت الى لؤم من عدا ولا لسوم من عدل . على انها وان كانت من الافعال الحسنة والمثوبات التي تستنطق بالدعاء اللسنة، فهي واجبات تؤدي، وهو اكبر من ان يؤخر غيره او عليه يقتصر اوله يدخر، انما يفتخر الملك العظيم بان يعطى ممالك واقاليم وحصون، او يبذل في تشييد ملكه اعز مصون .

واما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالا طراف التصرف الى احد بالاذى (وتحتيم) اصفاء موارد الواردين والصادرين من القذى فمن حين بلغنا تقدمه بذلك تقدمنا ايضا بمثله الى سائر النواب بالرهبة وحلب وعينتاب وتقدمنا الى مقدم العساكر باطراف تلك الممالك، بمثل ذلك، واذ اتحد الايمان وانعمدت الايمان تحتم احكام هذه الاحكام، وترتب عليه جميع الاحكام.

واما الجاسوس الفقير الذى امسك واطلق وان بسبب من تزييا من الجواسيس بزي الفقراء قتل جماعة من الفقراء الملحاه ربما بالظن، فهذا باب من ذلك الجانب ستروه والى الاطلاع على الامور صوره، فظفر النواب منهم بجماعة فرفع عنهم السيف ولم يكشف ما غمته خرقه الفقر ولا كيف.

واما الاشارة الى أن فى اتفاق الكمقيكون صلاح العالم وينتظم شمل بنى آدم، فلا راد لمن طارق باب الاتحاد، ومن جنح للسلم فما جار ولا حاد ومن شئ عنانه عن المكافحة كمن يريد المصافحة للمصالحة والصلح وان كان سيد الاحكام فلا بد من امور تبني عليها قواعده وتعلم من مدلولها فوائده، فان الامور المستورة فى كتابه عن كليات لازمة ينعم بها كل معنى معلوم ان تهياً صلح اولم ، وثم امور لا بد ان تحكم وفى سلكها عقود الصهود تنظم ، قد تحملها لسان المشافهة التى اذا اوردت اقبلت من معنى دغوله فى الدين وانتظام عقده بسلك المؤمنين وما بسطه من عدل واحسان وسيرة مشهورة بكل لسان، فالمنة لله فى ذلك فلا يشيها منه بامتنان وقد انزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم فى حق من امتن باسلامه (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) .

ومن المشافهة انه قد اعطاه الله من العطاء ما اغناه به عن امتداد
الطرف الى ما في يد غيره من ارض ومال ، فان حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك
فالا من حاصل فالجواب ان ثم امورا متى حصلت عليها الموافقة تمت المصاحبة
والمصادقة وراى الله تعالى والناس كيف يكون اذلال معاديننا واعزاز مصافيننا
فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الاب والاخ والقراية ، وماتم امر الدين
المحمدى واستحكم فى صدر الاسلام الا بمظاهرة المصاحبة فان كانت له رغبة
مصروفة الى الاتحاد ، وحسن الوداد ، وجميل الاعتقاد ، وكبت الاعداء والاضداد
والاستناد الى من يشتد به الازر عند الاستناد فقد فهم المراد .

ومن المشافهة اذا كانت رغبتنا غير ممتد الى ما في يده من ارض ومال
فلا حاجة الى انفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود ،
فالجواب انه لو كف كف العدو ان من هنالك ، وخلق لطوك المسلمين
مالهم من ممالك سكنت الدهماء ، وحقت الدماء ، وما أحقه بان لا ينهى عن
خلق وياتى مثله ولا يأمر بشىء وينسى فعله وقنصر طاب بالروم الان وببين
بلاد فسسى أيدىكم خراجها يجبى اليكم فقد سفك فيها وفتك وسبى وهتك
وباع الا هرا وأبى الا التماذى على ذلك والاصرار .

ومن المشافهة انه ان حصل التصميم على ان لا تبطل هذه الاغارات
ولا يقتصر عن هذه الاغارات فتعين مكانا يكون فيه اللقاء ويعطى الله النصر
لمن يشاء ،

فالجواب عن ذلك ان الاماكن التى اتفق فيها لطفى الجمعيين مرة ومرة
ومرة قد عاف مواردنا من سلف من اولئك القوم وخاف ان يعاودها فيماوده مصرع

ذلك اليوم ، ووقت اللقاء علمه عند الله لا يقدر ، وما النصر الا من عند الله
لمن أقدر لا لمن قدر ، وما نحن ممن ينتظر قلته ، ولا ممن له الى غير ذلك لفته،
وما أمر ساعة النصر الا كالساعة التي لا تأتى الا بغتة ، والله تعالى الموفق
لما فيه صلاح هذه الامة، والقادر على اتمام كل خير ونعمة ، ان شاء الله
تعالى . مستهل شهر رمضان المعظم قدره سنة احدى وثمانين وستمائة،
الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه . حسبنا الله
ونعم الوكيل .

...

(ملحق رقم ٤)

(١) نص رسالة السلطان غازان الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون

بسم الله الرحمن الرحيم
بقوة الله تعالى
وميامين الملة المحمدية
فرمان السلطان محمود غازان

ليعلم السلطان الملك الناصر ، أنه في العام الماضي بعض عساكرهم
المفسدة دخلوا اطراف بلادنا ، وافسدوا فيها لحناد الله وعنادنا كما ريين
ونواهيها ، وجاهروا الله بالمعاصي فيمن غفروا به من اهلها واقدوا على
أمر بديمة وارتكبوا اثاما شنيعة من محاربة الله وخرق ناموس الشريعة ،
فأنفنا من تهجمهم وغرنا ، من تقصيرهم واخذنا الحمية الاسلامية فجذبنا
الى دخول بلادهم ومقابلتهم على فسادهم ، فركبنا بمن كان لدينا من العساكر ،
وتوجهنا بمن اتفق منهم انه حاضر ، وقبل وقوع الفعل منا واشتجار الفتك عنا
سلطنا سنن سيد المرسلين ، واقتفينا اثار المتقدمين واقتدينا بقول الله
(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وانفذنا صحبة يعقوب السكرجي
جماعة من القضاة والائمة الثقات وقلنا (هذا نذير من النذر الاولى اذفت الازفة
ليس لها من دون الله كاشفة) فقابلتم ذلك بالاصرار ، وحكمتم عليكم وعلى
المسلمين بالاضرار ، وخالفتم سنن الطوك ، وفي حسن السلوك ، وصبرنا على تمامكم ،
في غيكم وغلودكم الى بغيكم الى ان نصرنا الله واراكم في انفسكم قصاصة
(أفأضوا مكر الله فلا يأمن مكر الله) وظننا انهم حيث تحققوا كنه الحال ،
وآل بهم الامر الى ما آل انهم تداركوا الغارط من امرهم ورتقوا ما فتقوا بفدرهم
ووجه الينا وجه عذرهم فانهم ربما سيروا الينا حال دخولهم الى الديار المصرية ،
رسلا لا صلاح تلك القضية فبقينا بدمشق غير متحسين وتثبطنا تثبط
المتمكنين فصددهم عن السعى في صلاح حالهم التواني وعطقوا نفوسهم عن اليقين

(١) القلقشندي : صبح الأمشق ج ٨ ص ٦٩ - ٧١ ، المقرئ : السلوك ج (ق) ٣

بالاماني ثم بلغنا بعد عودنا الى بلادنا انهم القوا في قلوب المساكين والمعوزين،
وراموا جبر ما اوهنوا من الاسلام، انهم فيما بعد يلقوننا على حلب والفراه، وان
عزمهم مصر على ذلك لا سواه فجمعنا المساكين وتوجهنا لطلبهم ووصلنا الفرات
مرتقبين ثبوت دعواهم وقتلنا لعل وعساهم، فما لمع لهم بارق، ولا نذر شارق
فقد منا الى اطراف حلب وعجبنا من تبطيمهم غاية العجب وفكرنا في انه متى
تقد منا بمساكننا الهامة، وجعلنا المظيمة القاهرة، ربما اخرج البلاد مرورها،
وباقاتهم فيها فسدت امورها، وعم الضرر العباد، والخراب البلاد، فعدنا بقيا
عليها ونظرة لطف من الله اليها . وهانحن الان مهتمون بجمع المساكين
المنصورة ومشهدون غرار عزائنا المشهورة ومشتغلون بمنع المجانيق
والات الحصار، وعازمون بعد الانذار (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)
وقد سيرنا حاملي هذا الكتاب الامير الكبير ناصر الدين على خواجا والامام
العالم طك القضاة جمال الدين موسى ابن يوسف وقد حملناهم كلاما
شافهناهما به فلتثقوا بطاقتنا به المهمتان من الاعيان، المعتمدين
عليهما في الديوان كما قال الله تعالى (قلله الحجة البالغة فلو شاء
لهذاكم اجمعين) فلتعدوا لنا الهدايا والتحف فما بعد الانذار من
عاذر، وان لم تتداركوا الارض فدماء المسلمين واموالهم مطلوبة بتدبيرهم،
ومطلوبة عند الله في طول تقصيرهم .

فليمنع السلطان لرعيته النظر في امره فقد قال صلى الله عليه وسلم
" من ولاه الله امرا من امور هذه الامة فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم، احتجب
دون حاجته وخلته وفقره " وقد اعذر من انذر وانصف من حذر والسلام على

من اتبع الهدى - فى العشر الاوسط من شهر رمضان سنة سبعمائة
- بجبال الاكراد . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا
(محمد) المصطفى واله وصحبه وعترته الطاهرين .

...

فائزۃ المصاوير والملاحم

أولا : المصادر العربية :

- القرآن الكريم .

- الألوسى

السيد نعمان غير الدين (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م)

- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

- ابن الأثير

عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٤م)

- الكامل في التاريخ ١٢ مجلد + فهرس

صادر دار بيروت - بيروت - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

- البزار

(ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)

عمر بن علي

- الأعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية
تحقيق : صلاح الدين المنجد
دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى
١٣٩١ هـ / ١٩٧٦ م
- ابن تيمية
تقى الدين أحمد عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م)
الايان
صححه وعلق عليه محمد خليل هراس
دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣ أجزاء
مطابع المجد التجارية
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
المكتب الاسلامي - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٤٠١ هـ /
١٩٨١ م
- التوسل والوسيلة
الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان -
١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م
- الحسبة في الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية
دار الكاتب العربي

- الصارم المسلول على شاتم الرسول
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- الكلم الطيب
الناشر : مكتبة الجمهورية العربية
- الرسالة القبرصية
تحقيق : علي السيد صبح المدني
نشر وتوزيع : رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة
والارشاد - المملكة العربية السعودية .
- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية
دار الكتاب العربي - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م .
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم
مطابع المجد التجارية
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٤ أجزاء
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- الفتاوى الكبرى ٥ أجزاء
قدم له وعرف به حسنين محمد مخلوف
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان
- مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧ جزء
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد
مكتبة المعارف - الرباط - المغرب

- ابن تغرى بردى
جمال الدين يوسف الأتابكى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
١٤ جزء
دار الكتب المصرية - الطبعة الأولى
- ابن حجر
شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)
- الدبر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة
تحقيق محمد سيد جاد الحق
دار الكتب الحديثة - القاهرة
- حاجى خليفة
مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت ١٠٦٢ هـ / ١٦٥٦ م)
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون
جزئين
مكتبة المثنى بغداد - مكتبة المثنى - بيروت
- ابن خلدون
عبد الرحمن بن محمد الحضرمى المخرمى (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
- تاريخ ابن خلدون
١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م
- ابن دقيق العيد
محمد بن علي بن وهب - تقى الدين (ت ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م)
- شرح الأربعين حديثا النووية
مكتبة التراث الاسلامى

- المذهبي

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م)

- تذكرة الحفاظ ٤ أجزاء
- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد -
- الدكن - الهند - الطبعة الرابعة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

- ابن رجب

عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي (٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)

- الذيل على طبقات الحنابلة ٢ جزئين
- دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

- السيوطي

عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

- تاريخ الخلفاء
- تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
- مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م)

- السبكي

عبد الوهاب ابن تقى الدين (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م)

- طبقات الشافعية الكبرى ٦ أجزاء
- دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان -
- الطبعة الثانية

- ابن الطقطقى

محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية

مطبعة محمد على صبيح . وأولاده ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

- ابن العماد

عبد الحى ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

دار الآفاق الجديدة - بيروت

- ابن عبد الهادى (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م)

الامام الحافظ محمد بن عبد الهادى

- المقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية

تحقيق محمد حامد الفقى

دار الكتب العلمية - بيروت

- الغياث

عبد الله بن فتح الله البغدادى الطقب بالغيث (كان حيا قبل

سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) .

- التاريخ الغياثى

تحقيق : طارق نافع الحمدانى

مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٧٥ م .

- أبو الفداء
الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
- المختصر في أخبار البشر ٤ أجزاء
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان
- القلقشندي
أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
- صبح الأعشى في صناعة الانشا ١٤ جزء
مطابع كوستاتسو ماس وشركاه - القاهرة
- الكتبي
محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)
- فوات الوفيات ٥ أجزاء
تحقيق : احسان عباس
دار صادر - بيروت - ١٩٧٣ م
- ابن كثير
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)
- البداية والنهاية ١٤ جزء
مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٧ م
- المقرئ
أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)
- السلوك لمعرفة دول الملوك
صححه محمد مصطفى زياده
لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثانية

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرنية)

٢ جزئين

دار صادر - بيروت

- النسوى

محمد بن أحمد (كان حيا قبل ٦٣٩هـ / ١٢٤١م)

- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي

تحقيق : حافظ أحمد حمدى

دار الفكر العربى

- ابن هشام

أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (٢١٣هـ /

٨٢٨ م)

- السيرة النبوية

تحقيق : مصطفى السقا - ابراهيم الابيارى - عبد الحفيظ

شلبى .

مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده - مصر - الطبعة

الثانية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

- ابن واصل

جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)

- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ٥ أجزاء

تحقيق : حسنين محمد ربيع

دار الكتب ١٩٧٢م

- ابن الموردي

زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

- تنمة المختصر في أخبار البشر ٢ جزئين

تحقيق : أحمد رفعت البدر اوى

دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م

... ..

ثانيا : المراجع العربية :

- الاستانبولي

محمود مهدي

- ابن تيمية بطل الاصلاح الديني

مكتبة دار المعرفة - دمشق - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ /

٠ م١٩٧٧

- البدرى

عبد العزيز

- الاسلام بين العلماء والحكام

دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٦ م .

- البدوي

عبد الرحمن

- تاريخ التصوف الاسلامي

وكالة المطبوعات - الكويت - الطبعة الأولى ١٩٧٥ م .

- البغدادي

اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م)

- هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين جزئين

مكتبة المثنى - بغداد ١٩٥١ م .

- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون

تصحيح : محمد شرف الدين - رفعت بيلكه الكيس

مكتبة المثنى - بغداد .

- الجليلند
محمد السيد
- الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة ١٩٧٣ م.
- الجندى
أنور الجندى
- نوايح الفكر الاسلامى
دار الرائد العربى - بيروت - لبنان ١٩٧٩ م.
- حافظ
عبد السلام هاشم
- الامام ابن تيمية
مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده - مصر - الطبعة
الأولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- أبو خليل
شوقي أبو خليل
- عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الاسلامى
دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- الزين
محمد حسنى
- منطق ابن تيمية ومنهجه الفكرى
المكتب الاسلامى - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ /
١٩٧٩ م.
- أبو زهرة
محمد
- ابن تيمية ، حياته وعصره - آراؤه وفقهه
دار الفكر العربى .

٢ جزئين

- تاريخ المذاهب الاسلامية

دار الفكر العربي

- عبد الرزاق

مصطفى

- خمسة من أعلام الفكر الاسلامي

دار الكاتب العربي

- عبد الله

محمد حسن

- عزالدين بن عبد السلام بائع الطوك !!

مطبعة الاستقلال الكبرى ١٩٦٢ م

- على

محمد كرد

- ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية

تحقيق : زهير الشاويش

المكتب الاسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٣٩٨ هـ /

١٩٧٨ م

- عنان

محمد عبد الله

- مواقف خاسمة

لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الرابعة

١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م

- غنام

طلعت

- أضواء على التصوف

عالم الكتب - القاهرة

- المتولى

صبرى

- منهج ابن تيمية فى تفسير القرآن الكريم

عالم الكتب - القاهرة - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

- الندوى

أبو الحسن على الحسنى

- رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ٢ جزئين

تعريب : سعيد الأعظمى الندوى

دار القلم - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

ثالثا : المعاجم والموسوعات :

- الرازى

محمد بن أبى بكر بن عبد القادر

- مختار الصحاح

ترتيب محمود خاطر

الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- الزركلى

خير الدين

- الأعلام - قاموس تراجم ٨ أجزاء

دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة

١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- شلبى

أحمد

- موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ٥ أجزاء

مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .

- غريمال

محمد شفيق ، مع مجموعة مؤلفين

- الموسوعة العربية الميسرة

دار الشعب ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر - الطبعة

الثانية - ١٩٧٢ م .

- كحلالة

عمر رضا

- معجم المؤلفين : تراجم مصنفى الكتب العربية ١٥ جزء

مكتبة المثنى - دار احياء التراث العربى - بيروت

- ماجد

عبد المنعم

- الأطلس التاريخى للعالم الاسلامى فى العصور الوسطى

رسم خرائطه وحققه : على البنا

دار الفكر العربى - الطبعة الثانية ١٩٦٧ م

- مكى

محمد على

- أطلس العالم الصحيح

دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٧٨ م

- ابن منظور

جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

- لسان العرب

الدار المصرية للتأليف والترجمة

- ياقوت

شهاب الدين بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ م)

- معجم البلدان ٥ أجزاء

دار صادر - دار بيروت - بيروت

رابعاً : الدوريات :

- مجلة رسالة المسجد

العدد الرابع - السنة الرابعة - ربيع الأول ١٤٠١ هـ / يناير

١٩٨١ م.

- مجلة هذه سبيلى

العدد الرابع - اصدار المعهد العالى للدعوة الاسلامية بالرياض

مقالة محمد عبد العليم المدوى بعنوان : الداعية المجاهد شيخ

الاسلام ابن تيمية .

- جريدة الأهرام - القاهرة

عدة مقالات بقلم : عبد الرحمن الشرقاوى

بتاريخ : ١٨ / ٨ / ١٩٨٢ م

٨ / ٩ / ١٩٨٢ م

٢٢ / ٩ / ١٩٨٢ م

- مجلة الوعي الاسلامى

العدد (٣٣) السنة الثالثة - غرة رمضان ١٣٨٧ هـ / ديسمبر

١٩٦٧ م.

خامسا : مراجع أجنبية :

- آرنولد

توماس

- الدعوة الى الاسلام

ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ،

اسماعيل النحراوى .

الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م .

- بروكلمان

كارل

- تاريخ الشعوب الاسلامية

ترجمة : نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي

دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السابعة ١٩٧٧ م .

- لا ووست

هنرى

- نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية فى السياسة والاجتماع

ترجمة : محمد عبد العظيم على

تقديم وتعليق : مصطفى حلمى

دار الأنصار - القاهرة - ١٩٧٩ م .

- Khan

- Qamarueldin

- The Political Thought of IBn. Taymiyah
Islamabad - 1973.

ويستفاد

جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها مسن
السنين الميلادية بأيامها وشهورها .

ترجمة : عبد المنعم ماجد ، عبد المحسن رمضان
مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م .

.....